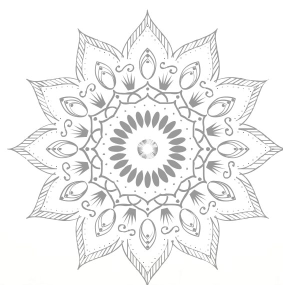
نجدة أهل المقابر

تأليف

توفيق بن خلف الرّفاعي



نجدة أهل المقابر



اسم الكتاب: نجدة أهل المقابر.
المؤلـــــف: توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي.

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ -٢٠٢٥م

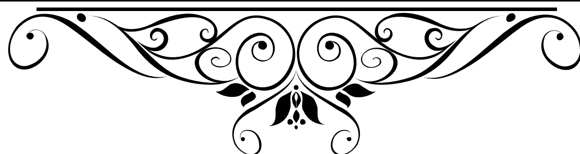


الصف والتصميم والإخراج:



حولي- شارع المثنى- مجمع البدري
الدور الأرضي- محل ٢٩
هاتف: ٩٦٥٦٠٠٨٢٧٠٤ +

نجدة أهل المقابر



تأليف

توفيق بن خلف الرّفاعي

مؤسسة سلسبيل
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم



البوابة[1]

البوابة الأولى: كم واحدًا فقد أباه، أو ابنه، أو أخاه، أو أخته – حفظ الله الجميع – قبل يوم أو يومين أو ثلاثة ... كيف شعوره .. كيف تلهُّفه إليه .. كيف سعيه لإيصال أي نسمة رحمة إليه في قبره .. كيف يُسْلب تفكيره .. كيف يحوِّل ذاتيًّا جُلَّ دعائه لحِبِّه الراحل .. كيف إذا جاء ذكره أثناء دعائه انتفض قلبه إلى ربه فهاج إشفاقه عليه، كيف يتصوره في كل ما يقرؤه عن القبر مما ورد عن رسول الله ﷺ ..

فإذا ذكرت هذا جيدًا عذرتني في كل ما تقرؤه في هذا الكتاب مِن هَمٍّ لا مهدئ له، وهمةٍ لا حدَّ لها، وفزعة لا مقعد لي بعدها ومن كثرة طرق لإيصال الإنقاذ لهم، وطوق لسرعة النجدة إليهم، وأسباب لتحقيق إيقاف العذاب عنهم، ووسائل لرفع درجاتٍ لهم، وطرق للإهداء لهم .. وسُبُل لإدخال السرور عليهم، ووسائل كثيرة ومتنوعة، وأعمال أخرى وأبواب فتحها رسول الله ﷺ، والناس يمرون على أحاديثها ولم يعرفوا أنها من رسول الله ﷺ مفصَّلة عليهم تفصيلًا، وكل ذلك إنما هي أبواب للأحبة في البرزخ .. أبواب قرب وحب وود ووصال مستمرة لهم .. فمنذ فترة وأنا أتوجع لأهل المقابر .. وحين أنظر لحاجياتهم لنا وقبورهم بيننا وأنظر إلى نسياننا لهم، وغفلتنا عنهم .. فلا سعي منا إليهم .. ولا ذكر لهم .. وقد أسلمناهم لصحائفهم

(١) لقد ابتدأت باسم البوابة بدلًا من المقدمة: إشارة إلى بوابة البرزخ، وهي في صورتها على الأرض بوابة المقبرة. نسأل الله لنا جميعًا حُسن الختام بعد طول عمر مع العافية على طاعته .. اللهم آمين.

التي أغلقت عليهم .. بل ولا وجود لكتاب مستقل ينبِّه لهذه القضية العظمى ويبين أحوالهم وكيف ننجدهم .. ونقدِّم لهم ما يدفع عنهم، أو ينفعهم، أو ما يرفعهم ..

وإن من فضل الله علينا وعليهم أنْ جعل الحساب والجزاء قائمًا في دار البرزخ إذ نحن في هذه الحياة الدنيا .. لتغدو هذه الرحلة – بإذن الله – حجة عظيمة لنا، ورحمة عظيمة لهم، لا أن تصبح حجة عظيمة علينا، وعذابًا متواصلًا عليهم .. وذلك حين تصبح الشفاعة من قِبَلِنا لهم مقطوعة عنهم إلا فُتاتًا من هنا أو هناك كفتات زوائد الموائد، بل أقل! فهرعت من فوري؛ أريد رفع هذا المشروع في ذاك العالم العظيم، وفتح البَرِّ والبحر والفضاء لتصدير كل ما نستطيع في كل وقت، ومن كل نوع من المنافع .. أريد والديَّ، أريد أرحامي، وأهلي، وأريد صحبي وجيراني، أريد أهل بلدتي وبلدي، وأريد أمة محمد ﷺ كافة محسنهم ومسيئهم جميعًا، بل أريد كل مَن سبقنا من المؤمنين بأنبيائهم عليهم السلام، وأريد الناس كافة ممن هو باقٍ منهم اليوم .. فالنجدة النجدة لهم قبل أن يغرقوا في عذابٍ لا خروج منه، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وسندرك هنا كم اسْتَصْرَخَنَا رسولُ الله ﷺ – نحن أمته – في كل عصورنا وأجيالنا، ولكل ميتٍ من موتانا، ولكنَّ فَزْعَتَنَا لم تكن كما ينبغي لذلك الصريخ الأعظم ﷺ .. بينما أعظم وأسرع ما يكون إجارة وجوارًا وتلبية عاجلة لكل مستصرخ لأهل هذه الدار ولأهل الدار الآخرة وفي الدار الآخرة كذلك .. والقبر – بلا شك – هو أول منزل من منازل الآخرة.

لا والله لا عجب مني، ولا عجب عندي، إنما العجب الحق ... من استصراخ رسول الله ﷺ أمته الأحياء في كل زمان وعصر وإلى يوم القيامة ولا يزال استصراخه عاليًا في الوجود .. وفتحه ﷺ الأبواب إليهم من مواضع لا يتخيلها أحد! بينما نحن

نمرُّ عليها - وأنا واحد منكم - على نفس الأحاديث ولم نَتَنَبَّه لاستصراخ رسول الله ﷺ، ولم نرَ بابًا مفتوحًا بيننا وبينهم أو منافذ صغيرة موصلة إلى البرزخ .. ولم نتفطَّن إلى دعوات فوق الحصر دعانا فيها رسول الله ﷺ لنجدة الناس في قبورهم، فهو ﷺ مَن استصرخ وهو مَن أنجد .. وهو يعلمنا الواجب في أن نستصرخ الآخرين، وأن نكون أول مَن ينجد.

ولا وقت عند النظر في الحديث إلا الغوص الفوري في أعماق الحديث لاستخراج دعوة رسول الله ﷺ لإنقاذ موتانا وموتى المسلمين ... فَثَمَّ استصراخ عظيم من أعماق كلمات رسول الله ﷺ؛ فَلْنُصغِ إليه لئلا يضيع النداء .. فيضيع موتانا ونحن عنهم غافلون.

أما من ارتقى منهم للشفاعة فليزدد بما يصله رفعة في الدرجات، وليرتقِ أكثر وأكثر، فكلٌّ على حسب إيمانه ونفعه في هذه الحياة للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ**(١)**، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**»(٢)، بل صح في حديث أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا**»(٣)، ومضر اسم قبيلة عربية مشهورة عريقة، وهي أوسع قبائل العرب انتشارًا؛ ويعود نسب النبي ﷺ إليها من جهة جده نزار بن معد بن عدنان. ومضر شقيقة ربيعة، وهما يمثلان أكبر قبيلتين عربيتين، ومنهما الكثير الكثير

---

(١) الفِئَامُ: الجماعةُ من الناس.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) رواه أحمد (١٧٨٥٨) واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨١) رقم (١٨٥٤٥): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، والحاكم (٥٧٢١)، وابن ماجه (٤٣٢٣)، وصحح سنده ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة الحارث بن أقيش (١/ ٦٥٨).

من القبائل، لذا فهما يمثلان أكثر العرب، وأعدادهم لا يمكن حصرها، وإنما يذكران في الحديث لتعظيم شفاعة مَم ذكر رسول الله ﷺ من الشافعين ... فلتبتدئ شفاعتنا في هذه الحياة مع الأحياء، ولتبتدئ الشفاعة في الآخرة من الآن في أهل البرزخ، كما فعل رسول الله ﷺ، وكما اسْتَصْرَخَنَا لهذا كما سنراه ﷺ في هذا الكتاب - بإذن الله - فاللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين أجمعين واعف عنهم أجمعين يا رب العالمين.

وأنا لن أرتب الأحاديث حسب الموضوعات، وكما هو المعتاد في الفهرسات، بل سأترك كل حديث وحده في بابه في عالمه، فذاك عالم البرزخ وهو من عالم الغيب .. ولعل سياق الإنقاذ والنفع يختلف من ميت لآخر والله بهم عليم، وطوق النجاة يختلف من واحدٍ لآخر، كما هو الشأن في الدرجات العلى، فكل حديث تستطيع قراءته وحده دون ربطه بالآخر .. ففيه علمه، وفيه عمله، وفيه دعوته ونجدته.

وبعد انتهاء الفصل الأول - وهو الأطول - ستكون لدى كل قارئ - بإذن الله - المهارة الكافية في معرفة طرق الإنقاذ من أحاديث النبي ﷺ لأهل القبور ودار البرزخ، ولقد عزَّ عليَّ أن أترك كَمًّا من الأحاديث لو أردت شرحها كما في الفصل الأول لكبر الكتاب جدًّا .. فتركت الشرح ولجأت للأسئلة، وجعلتها الشارحات الـمُسَلَّمات في كلمات معدودات أو أسطرٍ محدودات، وكان هذا هو [الفصل الثاني].

البوابة الثانية: الدعوة والبصيرة عند تلقي كل حديث:

هذا هو منهج رسول الله ﷺ الذي أوضحه له ربنا سبحانه، وأمره أن يُبَيِّنه لنا - نحن أتباعه -؛ قال الله سبحانه:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة من غير أن تكون على بصيرة فهي جلافة، وبلادة، ومُرَّة، ومريرة، وعسيرة، وما هي بيسيرة، والدين من غير دعوةٍ دينٌ بلا رسالة، بلا هداية .. بلا نور، بلا دعاة، بلا هداة .. وما هو إلا ثراء فكري .. وتراث ثقافي .. ومتعة فراغ، وتاريخ

غابر في تراث داثر، ورغم عظمة الدعوة إلى الله ﷻ في كل شأن لكل جوانب الحياة، ولكل الأحياء .. إلا أن الدعوة بالنسبة للأموات ... لأهل المقابر إنما هي صريخ عالٍ .. ونداء مدوٍّ، واستغاثة .. واستنجاد .. ونجدة .. وقومة، بل وثبة ..

ذلك أن الدعوة هنا طوق نجاة لغريق .. أو حبل يتدلَّى إلى الغريق قبل أن يدركه الحريق ..

سندرك جميعًا أي أهمية ومكانة عَلَيَّة أخذت هذه الدعوة من رسول الله ﷺ اهتمامه .. من ليله ونهاره، من سِرِّه وجهاره .. سندرك حقًّا كيف حمل رسول الله ﷺ هَمَّنا وهَمَّ مَن قبلنا وهم مَن يأتي بعدنا في دار البرزخ إلى أن ينفخ نافخ الصور بالبعث والنشور.

فالمنظار الذي إذا خلعه الباحث وهو ينظر في آيات الله أو هدي رسول الله ﷺ فقد انقطع وتاه، ولم ولن يبلغ الغاية إلا بمنظار الدعوة إلى الله .. وأساس هذه النظرة عند النظر في الآية الكريمة وإلى حديث رسول الله ﷺ، إي والله هي المنهج، وهي مَن تبلغ بنا الغاية في الآية والغاية في الحديث.

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

كل المنهج دعوة .. وكل الدين دعوة .. كل المعتقد دعوة .. كل القصص دعوة .. كل السيرة دعوة .. كل حياته ﷺ دعوة .. القرآن العظيم كله دعوة.

إلا أن الدعوة هنا صريخ .. الدعوة هنا غوث .. الدعوة هنا طوق نجاة .. الدعوة لأناس غائبين لا يملكون تذكيرنا، وَلِيُّهم والمبلِّغ عنهم والصريخ لهم إنما هو رسول الله ﷺ.

وهنا لا بد أن أؤكد على أنه لا بد من البصيرة عند النظر في كل حديث، وبدون البصيرة لن تبلغ في هذا الكتاب مبلغه .. وبدونها أنَّى لك أن تتناوش دعوته ... إذ لكل

حديث من أحاديث رسول الله ﷺ دعوته .. هذه هي رسالته ﷺ .. ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهل الدعوة في كل مرة ظاهرة طافية على السطح .. يدركها العامِّيُّ والعالِم على حدٍّ سواء؟! إذًا أين ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] .. أين ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر: ١٧] .. أين دعوة إبراهيم في رسول الله ﷺ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فتعليم الكتاب ليس هو تحفيظه فحسب، والحكمة لا تُدرَك بمعرفة الإعراب وحده، ولا بمعاني كلمات الكتاب العزيز، وكلمات الحديث الشريف في اللغة العربية وحدها ..! فكيف والمطلوب هنا هو الغوص في أعماق بحور الحديث الواحد لاستخراج دعوة رسول الله ﷺ المتعلقة بالأموات أساسًا، لا بالأحياء لإدراك فقهه ...

إي والله فما نسي رسول الله ﷺ الأموات، ولا غفل عنهم ...

الدعوة هنا ليست في حديث واحد ..! إنما هي في كل حديث من الأحاديث حتى الأحاديث التي لا تُصنَّف في أحاديث البرزخ أو الدار الآخرة ... وهو بعيدٌ فيما يظهر عنها، إلا أنه في صلب الموضوع، وفيه نجاة لكثيرين من أهل تلك الدار .. وثمرة نظرة الدعوة إلى الحديث هي استخراج الحلول لأهل الآخرة .. هي استخراج أطواق نجاة .. هي استخراج معارج يعرجون عليها عاليًا عند الله ..

الفصل الأول
فَلْنشرع في النجدات على الفور
النجدة لقبرين معًا

الحديث الأول: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ»:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[١].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: جدية النجدة: لم ينتظر رسول الله ﷺ لحظة واحدة، بل أمر أمرًا سريعًا بعُودٍ يؤتى به لينقذ غريقًا في الأعماق ويطفئ نارًا في الأعضاء والأجواف والمآق.

فما أن وصله الخبر الحق عن حالة صاحب هذا القبر من ربه سبحانه، وأنه يُعذَّب، حتى أمر بعود الإنقاذ يلقيه سريعًا ... يعلمنا به أن لا تتفرجوا على هذا الأمر خاصة .. اصنعوا أي شيء ... وعلقوا الرجاء بالله في كل شيء ... دعوا الفلسفات والأسباب المعروفة المألوفة ... دعوا الجدال وتقدموا له بشيء معلقين الأمل بالله تبارك وتعالى.

لعلَّه يُنْقِذ الآن من فوره .. إلى فترة طويلة أو قصيرة، ثم يأتي من يواصل المهمة، ولا ينقطع هذا وأمثاله حتى تنقطع الدنيا؛ فيكون بمجهود المنقذين الغارسين والداعين والعاملين الباقيات الصالحات يبقى محفوظًا من العذاب، محفوظًا بالرحمات.

---

(١) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

إن في هذا لدعوة إلى إعطاء الموقف جديته: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ»: رسول الله ﷺ يؤكد .. ليعذبان .. الأمر أيها الصحب ليس إيذاء، ولكنه عذاب حقيقي .. عذاب قائم الآن .. عذاب لا حيلة لهما بالخلاص ولا الفرار منه.

«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» .. فمع أنه ليس بكبير إلا أنهما يعذبان فيه .. فهما لا يعاتبان، ولكنهما يعذبان.

«وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»: لكنهما يعذبان، وإن لم تعدوا الذنب كبيرًا.

الدعوة الثانية: فورية الشفاعة:

فلا بد هنا التقدم سريعًا للشفاعة بمَن حضر وبما حضر: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»: ثم إن هذا التوصيف والتحديد ليشجع الشفعاء إلى التقدم في الشفاعة .. ويشجع عامة المؤمنين أن يشاركوا في الشفاعة، فإن الناس يخافون من الذنب العظيم ويخافون عاقبته، وهكذا تكون البداية العملية .. وهكذا يعلِّم النبي ﷺ أصحابه على الشفاعة من هذا العالم لعالم آخر، ورب العالمين وهو رب العالمين ﷻ يحب الشفاعة، ولولا أنه يحبها ما ألهم رسوله ﷺ هذه الطريقة الفذة الفريدة والعملية للتخفيف عنهما؛ فالله ﷻ يريد أي شيء يقدَّم فيرحم عبده، يريد أي إشارة ليرحم، يريد أي شيء يُوضع في كفة الميزان منا فيرحم صاحبنا، ويرجح كفة الحسنات، ولو كانت عصا خضراء بنية الشفاعة والدعاء.

الدعوة الثالثة: لا نتردَّد بالنجدة:

«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»: رسول الله ﷺ يرى معذبًا أو معذبَين فهل ينتظر مبادرة آخرين .. أو ينتظر بعد إخباره هذا أن يتقدم الآخرون ليتعلموا الإنقاذ إذ صاحبا القبرين يعذبان ..! لا والله؛ فهذا ليس هو الشفيع ﷺ سابق الشفعاء .. أفيؤخِّر الشفاعةَ والعذابُ قائم حتى يتعلم هذا وذاك، ويستوعب هذا وذاك، ولذا فقد كان من باب الإسراع في الشفاعة لهما وتخليصهما كُلًّا وجزءًا نادى على الصحابة أن يأتوا

على وجه السرعة بعودين أخضرين .. أسرع من أن يذهب هو ويأتي بهما .. ويا للعجب في رواية أبي هريرة ﵁ إذ روى الواقعة كما هي فقال: كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَرْنَا عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَامَ، فَقُمْنَا مَعَهُ، فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَّى رَعَدَ كُمُّ قَمِيصِهِ، فَقُلْنَا: مَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**»، قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ**[١]»، قُلْنَا: فِيمَ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ**»، فَدَعَا بِجَرِيدَتَيْنِ مِنْ جَرَائِدِ النَّخْلِ، فَجَعَلَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قُلْنَا: وَهَلْ يَنْفَعُهُمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ**»[٢]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[٣].

ماذا لو كان صاحبا هذين القبرين شخصًا تعرفه؟ هل كنت تمر عليه مرور الكرام؟ هل سيكون سلامك على قبره كما هو السلام المعتاد؟ هل ستخرج من المقبرة بنفس النفسية التي دَخَلْتَ بها أول مرة؟

فكيف إذا كان صاحبا هذين القبرين أخويك .. كيف إذا كان أباك أو أمك ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، هكذا هو تفكير من جدَّ في الشفاعة .. وانتفض للمسلمين أيًّا كانوا نجدة ونخوة.

الدعوة الرابعة: اجعل مرورك مرور رحمة:

مرَّ رسول الله ﷺ : مرور الرحمة: من هنا مرَّ رسول الله ﷺ، بل من هنا مرَّت

---

(١) في ذنب هيّن؛ أي: هين عندهما وفي ظنهما؛ لا أنه هيّن في نفس الأمر.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٣٠)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (١٣٦١).

رحمة الله .. هنا توقفت رحمة الله .. هنا هبت على هذين القبرين رحمة الله .. غادر رسول الله ﷺ وما غادرت رحمة الله .. غادر رسول الله ﷺ وقد أوكل شأن صاحب هذين القبرين إلى أرحم الراحمين ورحل عنهما .. وأنَّى لهذين الغصنين أن ييبسا وقد غرستهما رحمة من رحمة الله، وهو القائل: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١)، وأي غرسٍ غَرَسَه رسول الله ﷺ من قبل ثم ييبس؟ وأي إناء شرب منه رسول الله ﷺ لم يبارك؟ وأي كيس طعام وضع فيه رسول الله ﷺ يده ونفد .. وأي بئر تمضمض فيها رسول الله ﷺ، ثم نضب ماؤها .. إن ذلك مستحيل ما لم يتدخل بنو آدم كأن يحسِبُوه، أو يَزِنُوه، أو يُحصُوه، أو نحو ذلك .. وهل إذا رحم الله ﷻ معذبًا يعيد عليه العذاب بأبعد فترة؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»، فإنه ما قال: [حتى] ييبسا، ولكن قال: «**مَا لَمْ**»، فحتى تفيد انتهاء الغاية، وأما «**مَا لَمْ**» فإنها لا تفيد أكثر من احتمال الوقوع، وإلا فالأصل عدم الوقوع، وبقاء الأمر على ما هو عليه، ولو كانت لأتى النبي ﷺ شجرة وكان ذريعة لأن يدفن الموتى في المزارع والمنتزهات .. عياذًا بالله.

الْغُصْنَانِ رحمة: إن مجيء غرس النبي ﷺ الغصنين على القبرين، أو إلقاء الغصنين عليهما ليدل على أن الشفاعة لأهل القبور سهلة ومقبولة بأي محاولة صادقة.

وربما قال قائل: إنه لا حول لي ولا قوة، فهذان غصنان .. وما علاقة الغصنين .. بل هما جريدة نخل، وهل تغرس جريدة النخل لتخرج نخلها، أمْ أنَّها بذاتها تثمر؟!

كما أن في هذه الجريدة التي شقت إلى غصنين لدليل على أن هذه تنفع، وإن اختلف الذنب، وإن العبرة ليست بالوسيلة إنما العبرة بالشفاعة ذاتها، والعبرة بالرجاء بالله الذي صحب غرسها، وإلا فما أسرع يبس الجريدة إذ انشقت نصفين، فإذا ما

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٩٤٥)، والدارمي (١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٠٤)، والحاكم (١٠٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، ووافقه الذهبي.

يبست الجريدة فأنَّى للرجاء أن ييبس، ولا يستوي أبدًا مَن يرجو مع مَن لا يرجو في أي موطن، كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٤].

ودلالة خامسة: وهي فورية الانتفاع مثلما هو الدعاء .. فلكأن الدعوة بالشفاعة له لوحة أُثبتت على القبر بالجريدة، فاللوحة ثابتة إلى الأبد ما دام الله قَبِلَها أول مرة .. وما كان لأحدٍ أن يجذَّ عطاء الله، لأن عطاء الله غير مجذوذ.

ودلالة سادسة: افعل أي شيء حتى لو لم يُزِلِ العذاب، فإن التخفيف أمره عظيم .. ولعل آخر يأتي فيزيل العذاب عنهما بالكلية ويكمل المهمة، كما أن في ذكر التخفيف عنهما دعوة ألا يتكل الناس بعضهم على بعض، فهذا يخفف والآخر يكمل وهكذا، لأنه لا أحد يعلم مَن انتهى عذابه ومَن لم ينته بعد؛ وأما مَن انتهى فالله به عليم، ويتحول كل تقديم لأجله رفعة في درجاته وهذا هو المرجو والأفضل.

فكم تمرُّ علينا أحاديث فيها عذاب المعذبين في قبورهم ونحن أحياء على هذه الأرض .. فلا نتخذ أي موقف، وإذا ما فكرنا في موقفٍ نتخذه فإنه موقف لإنقاذ نفسي أنا يوم أن أكون هنا .. ونفس الفكرة عند صاحبي الآخر، وهذا هو كل تتبعات هذا الموقف المرعب والحديث المزلزل .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وَعَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْـمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْـمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي جَمَعَهُمَا، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَالْتَأَمَتَا. قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَّدَ - فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ

نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي، فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ. قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ فَانْذَلَقَ لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**»(١).

وهذا واضح أنه حديث آخر، وواضح منه أن رسول الله ﷺ عمل هذا شفاعة، وواضح أنه ﷺ كان يعوِّد الصحابة رضي الله عنهم الشفاعة، وواضح أن الشفاعة نافعة من فورها، وواضح كذلك أن نفعها ليس مؤقتًا إنما هو إزالة عذاب، بل إن نفعها ربما يصبح رحمةً وترفُّهًا في القبر، فاللهم اجعلنا ووالدينا وأهلنا والمسلمين جميعًا مرفهين في قبورنا اللهم آمين.



(١) رواه مسلم (٣٢١٢).

كم تضر تزكية الميت في نجدته ونجاته !

الحديث الثاني: «وَمَا يُدْرِيك»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: اسْتُشْهِدَ غُلَامٌ مِنَّا يَوْمَ أُحُدٍ، فَوُجِدَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةٌ مَرْبُوطَةٌ مِنَ الْجُوعِ، فَمَسَحَتْ أُمُّهُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَتْ: هَنِيئًا لَكَ يَا بُنَيَّ الْجَنَّةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: الجدية والاحتياط لميتنا: كم يدعونا الصريخ المجير ﷺ في هذا الحديث أن نأخذ أمر ما بعد الموت إلى أقصى درجات الجدية، وأن لا نتكل على قياساتنا العاطفية هذه التي كانت معتمدة عندنا قبل قبض الروح .. ذلك أنَّا لم نكن نعلم الغيب، ولم نكن نعلم بالنيات وإن رأينا بأعيننا صالح الأعمال، وأن ثمة آثام كنا نستهلها وموازيننا لا تتحرك كفتها لها ولا تعدها حتى من اللمم، وإذا بالقبر سيكون فيه التطهير منها للمؤمنين لمن ليس عنده في ما ترك ما يطهرها ..

فماذا بعد الشهادة في سبيل الله .. وماذا بعد تحمل الجوع صبراً في سبيل الله، وإخفاءً عن الناس صبره وجوعه، ومع هذا فالنبي ﷺ نبَّه الأمة إلى أن أمر ما بعد قبض الروح، ربما كان شيئًا آخر، وأن أمر القبر فظيع فظيع .. كما ورد في الحديث: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»(٢).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (١٠٩)، وأبو يعلى (٤٠١٧)، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٤٦١)، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ، والحاكم=

ولهذا فإن رسول الله ﷺ ينبِّهنا هنا إلى أن من أضرِّ ما يكون على الصالحين خاصة، ومنهم الشهداء وأهل الخير أن نتهاون في الفزعة لهم .. فرسول الله ﷺ يستصرخنا لهم، لنجبر كسرهم، ونستر ما انكشف من حمايتهم وانكسر من جُنَّتِهم ...

وهذا هو والله ما يتمناه كل واحدٍ من الشهداء والصالحين ورفقائهم .. وأن لا نتراخى أبدًا في الدعاء لهم والعمل لهم ونجدتهم، وأن لا تكون أعمالهم التي قدموها سببًا لتراخينا عنهم خاصة، فبئس المكافأة تلك لهم!

هذا هو ما أراده رسول الله ﷺ بقوله: «**وَمَا يُدْرِيكِ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ**».

الدعوة الثانية: الحذر من تعدي اللسان: في هذا الحديث يدعونا الصريخ المجير ﷺ: إلى الحذر الشديد من حقوق الناس، وذلك في قوله: «**لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ**»، وهذان أمران عظيمان؛ **فأولهما**: عدوان على حق الغير بالكلام، أو الكتابة، أو الرسم، أو نحو ذلك «**كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ**»؛ وهذا يعني أنه متصف بهذا الوصف أبدًا، فإن «**كَانَ يَتَكَلَّمُ**» تعني الاستمرار على هذا، فهو خلقه الدائم الذي لا ينفك عنه مثل قوله ﷺ: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[(١)]؛ فهو ليس مرة ولا مرتين يستغفر منهما، أو يستسمح منهما، أو وَقَعَا منه نسيانًا وعلى غفلة، وإنما هكذا ثبت خَتْمه عند الله ... فهذا ختم عليه لا انفكاك منه حتى يطهره عذاب القبر، فاللسان، وما أدراك ما اللسان، وما أعظم نفعه، وما أشد خطورته؛ فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا**

=(٧٩٤٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وأحمد (٤٥٤)، وقال أحمد شاكر والأرنؤوط: إسناده صحيح، وحسنه الألباني.

(١) رواه مسلم (٢٦٠٧).

تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؛ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ»، قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦] حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[2].

الدعوة الثالثة: الخلاص من البخل وتبريره: فالخطر الثاني في الحديث: «وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ»، وهذا أمر عظيم وإن لم يَعُدَّه الناس شيئًا ولا إثمًا بحجة أن هذا حلالي، وربما قال: أنا أخرجت زكاتي وما إلى ذلك، وإنه لأمر كبير عند الله، ومنه قول النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

غَيْرُهُ، لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧]»[١]، فالزائد عن حاجتك مما لا يضرك إنفاقه، وقد جاءك مَن هو مضطر إليه ثم تمنعه .. فهنا يكون الرصد لصاحبه في القبر، وربما قبله عند قبض الروح.

وأما الدَّيْن فإن الشهادة في سبيل الله تتوقف كل مزاياها أمام مَن مات وعليه دَيْن وهو مفرِّط في سداده.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵄ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ ﵇ قَالَ لِي ذَلِكَ**»[٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»[٣].

الدعوة الرابعة: الحذر من الركون إلى شهرة الميت، أو الاتكال على مظهر حسن خاتمته:

إن المجير الصريخ ﷺ يدعونا أن نكفَّ على أخينا المسلم الراحل ضيعته وإن كان شهيدًا، وإن كان عالمًا، أن ننظر في علاقاته، في معاملاته المالية، في معاملاته الاجتماعية، في معاملاته مع أسرته، وعدله بين أولاده، وظلمه أو تفريطه في حق زوجته، والعكس بالنسبة للمرأة .. نعم؛ حسن الظن مطلوب، ولكننا بشر، وأحسن

---

(١) رواه البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٨).

(٢) رواه مسلم (١٨٨٥).

(٣) رواه مسلم (١٨٨٦).

الناس مَن ينشغل عن الناس في ترميم ما يخشى أن يدخل عليك منه الطوفان، ويكفَّ عليك ما تركته مما غفل عنه الصحب والأقرباء مما فيه خطر الحساب والعقاب ما فيه .. إذ الآخرون من أهلٍ وصحبٍ منشغلون بالشهادة التي اصطفيتَ لها، أو العلم الذي حزته، أو الموعظة العامة التي عُرِفَت بها .. فاللهم استرنا، واجبرنا، وارفعنا، وانصرنا، واغفر لنا، وارحمنا، وعافنا، واعف عنا.



الحشد لصلاة الجنازة

الحديث الثالث: التحشيد للشفاعة في صلاة الجنازة:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»(٢).**

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

أَقْبِل سريعًا بقلبٍ شفيع لهذا الطريح .. أقبل، وقل: لن أعود إلا بالشفاعة - بإذن الله - .. لا تشغل نفسك بالجموع كثرة أو قلة، واشغل نفسك بي، فإنك ما خرجت إلا لأجلي .. وما أخرجك الله إلا لأجلي.

كيف لا وأنا المقدَّم أمامكم كأني أقول لكل واحد منكم: اشغل نفسك بي، أنا المُسَجَّى، فأنا الذي طلبك رسول الله ﷺ للشفاعة فِيَّ، وهو الشفيع الأكبر .. اشغل نفسك بي وعظيم حاجتي، وكأنه لا أحد هنا سواي، اجعل نفسك في مكاني ... فإن انتظاري لنتيجة هذه الشفاعة الآن .. الآن نتيجة صلاتك تظهر .. الآن نتيجة دعاء الصلاة والدعاء على القبر تظهر .. الآن الإعلان .. الآن تُكشَف عني الغُمَّة - بإذن الله ...

(١) رواه مسلم (٩٤٧).
(٢) رواه مسلم (٩٤٨).

هات أبناءك معك .. هات جيرانك .. هات صحبك في الوظيفة. هات أهل مسجدك .. هات مَن لا عمل له ..

اصرخ فيهم كأنها صرختي في الجموع الحاضرة لو كنتُ قادرًا .. واهتف بهتافي: يا إخوتاه، لا تتركوني اليوم بالله عليكم .. إن كل ما مضى شيء واليوم شيء آخر .. اليوم يوم اليقين .. اليوم هو اليوم الذي لم أشهد مثله أبدًا.

سامحوني بالله عليكم .. أعلنوا شهادتكم الصالحة بي، فشهادتكم اليوم مقبولة عند الله ..

كل خصومة معي قابلوها بالعفو عني .. ذهبتْ دار الغرور، وستلحقوني .. فلستم أنتم الخالدين، فلا تكونوا ذاك الذي ذكر الله ﷻ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة:٣-٩].

يا إخوتاه هبوا لأجل الشفيع ﷺ الذي طلبكم للشفاعة لي ... الشفيع الذي لو كان حيًّا لحضر وتقدَّمكم ﷺ، لَبُّوا نداءه وأجيبوا استشفاعه، لَبُّوه فإنكم إن لم تعرفوني فإنكم تعرفون رسول الله ﷺ، وهو مَن دعاكم في كل هذه الأحاديث.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «**مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ**»(١).

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ؛ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧).

يقول صاحب الذكاء الاصطناعي: من الناحية الجغرافية والجيولوجية الحديثة فإن طول جبل أُحُد حوالي ٧ كم، وعرضه قرابة ٢ كم إلى ٣ كم، وارتفاعه نحو ١٠٧٧ مترًا عن سطح البحر، وبناءً على تقدير الجيولوجيين فيكون الوزن التقريبي ٤٥ مليار طن.

هل تساءلنا: لماذا هذا الأجر الكبير في ذاك الميزان العظيم .. ميزان مَن جاء نجدة لأخيه الميت ورحمة.

إنه أساسًا لمحبة رحمة الله لعباده أحياءً وأمواتًا ..

فالمحبة ليحضر الناس إلى مصيرهم الحقيقي .. وقد حضر أخوهم في الإسلام حضورًا عظيمًا، فهو مودع لنا، وهو مستقبل البرزخ.

ماذا يريد ربنا سبحانه مِنَّا اليوم وهو ينثر الأجر نثرًا بأحجام الجبال في موازين حسناتنا - نحن الحاضرين -، إذًا فلنرجع بأبلغ موعظة بلغت أعماق القلوب وأعماق الحياة.

يا رب: فاجعل مثل أجورنا - نحن الحاضرين الشافعين جميعًا - اجعل مثلها لهذا الميت .. فما حضرنا يا رب إلا لأجله .. ومَن كان سببًا لشيء أعطيته من الأجر مثل أجر مَن كان سببه .. فإن لم يكن الموت بإرادته .. فإن رجاءه كان ذلك وأكثر، وأنت يا رب عند ظن عبدك المؤمن بك ورجائه فيك.

خير الهدي:

عَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللهُ مِنَ السُّنْدُسِ، وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيِّتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ[1] فِيهِ أُجْرِيَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكَنٍ أُسْكِنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[2].

(١) أَجَنَّهُ: ستره في قبره.

(٢) رواه الحاكم (١٣٠٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ[١]، مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ، وَلَا عِمَامَةٌ[٢].

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرَّاكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا، وَأَمَامَهَا، وَعَنْ يَمِينِهَا، وَعَنْ يَسَارِهَا قَرِيبًا مِنْهَا، وَالسِّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ»[٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجِنَازَةَ فَقُومُوا، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تُوضَعَ»[٤].

وفي رواية عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى: أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[٥].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[٦].

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ،

---

(١) سَحُولِيَّةٍ: نسبة إلى «سحول» وهي بلد باليمن.

(٢) رواه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١) واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود (٣١٨٠) واللفظ له، والترمذي (١٠٣١)، وابن ماجه (١٤٨١)، والنسائي (١٩٤٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) رواه البخاري (١٣١٠).

(٥) رواه مسلم (٩٦١).

(٦) رواه مسلم (٩٤٨).

وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْـمَيِّتَ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»(٢).

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ - قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مِنْ ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ - وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٣).

عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رُكَانَةَ بْنِ الْـمُطَّلِبِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ لِلْجِنَازَةِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا قَالَ: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ»(٤).



(١) رواه مسلم (٩٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١) واللفظ له، والترمذي (١٠٢٤) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه (١٤٩٨)، والنسائي (١٩٨٦)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) رواه الحاكم (١٣٢٨)، وقال: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

النجدة بدعاء الوقاية من النار... كثيرًا

الحديث الرابع:

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(١).

سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا ﵁: أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ(٢).

أي إذا هَمَّ النبي ﷺ بالدعاء جعل هذا الدعاء «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» من دعائه.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(٣)، فهنا حَوْل البيت اجتماع الأمة الأكبر..

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٠).

(٣) رواه أبو داود (١٨٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٢٩٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٢١)، والحاكم (١٦٧٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني.

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

كم في هذه الأحاديث من دعوة ودعوة!

وهنا - بين الركن والمقام - أكثر ما يذكر الأحياء أمواتهم من آباء وأبناء ومفقودين طوال العام وطوال حياة الذين عايشوهم وذهبوا إلى الله قبلهم ... حيث يذكر مَن كان يأتي والآن قد قطعه عن المجيء الموت، كما يذكر مَن كان يرجو المجيء إلى البيت العتيق والآن قطعه الموت كليًّا عن المجيء، فإن لم يكن هؤلاء وهؤلاء هم أول المقصودين بهذا الدعاء فمَن يكون أول المقصودين؟!

وحول البيت العتيق جاء هذا الدعاء، وجاء بين الركنين؛ الركن اليماني، والحجر الأسود .. فهل بعد هذا التخصيص تخصيص .. ثم إن هذا الدعاء جاء بأصله جمعًا؛ «**رَبَّنَا** ... **آتِنَا** .. **وَقِنَا**»، فمَن هو الجمع الأكبر والأوسع .. إنها الأمة من أولها وحتى آخرها .. ومن أحيائها حتى أمواتها ... وحق لهذه الأمة العظيمة هذه الدعوة العظيمة .. فرسول الله ﷺ جعل كل مَن يذهب إلى هناك يدعو الله لـمَن ذهب ومَن لم يستطع الذهاب ... وجعل كل حي طائف بالبيت يدعو لكل مَن رحلوا عرفهم أم لم يعرفهم ... فليذكر الطائفون هنا والعاكفون والركع السجود أن لإخوانهم في الإسلام الذين رحلوا حقًّا عليهم، وأنهم شفعاء لهم ولو لم يتفطَّنوا ... فليتفطنوا لهذا، وليستحضروا أحوالهم هناك وشدة حاجتهم، ونصيبهم من هذه الساعات .. فليس مَن لم يدعُ كمَن دعا، وليس مَن دعا مستحضرًا الموتى في نيته كمَن دعا وغفل.

ثم هذا الحديث يبين لنا نسبة دعاء النبي ﷺ للموتى بالنسبة للأحياء بشكل عام، فإن مَن كان عنده أحباب أحياء قريبون منه وتحت نظره وآخرون قد اختطفهم الموت من بين يديه وهو ينظر .. فكم تكون نسبة تفكيره لمن اختطفوا عمَّن ما زال يعيش معه وبين يديه؟

والجواب: بغير شك سيكون الجواب الأكبر هو لمن اختطفوا من بين يديه وهو ينظر، بل النسبة بين الاثنين لا تكاد تذكر؛ فإن مَن اختطفهم الموت ورحلوا بلا عودة

إلى دار لا نعلم ماذا سيُصْنع بهم .. بل ماذا يصنع الآن بهم فيها ... وعلى عادة الإنسان بعاطفته وإشفاقه يقدِّم المحذور منه والمخوف على المرجو.

وهذا ليس بغريب على رسول الله ﷺ مع أن العدل والتوازن والحكمة عند رسول الله ﷺ هي الأصل ... إلا أن الأصل الأعظم الذي لا يخالف ما مضى ويقدَّم عليه هو [الرحمة]، كيف وهو ﷺ القائل: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(١)!

لكن في هذا الدعاء ذكر النبي ﷺ الدارين .. دار الدنيا ودار الآخرة وذكر حسنتين .. حسنة الدنيا وحسنة الآخرة ...

إنما الذي زاده النبي ﷺ تخصيصًا في هذا الدعاء هو مَن كان الآن قد مسَّه شيء من عذاب النار .. كما ثبت ذلك في أحاديث عدة ستأتي معنا - بإذن الله- مثل تنور الزناة، والسابحين في نهر الدم، ونحوهم، ولذا فإنه لا يعرف قدر هذه الدعوة حق معرفتها إلا مَن وصلت إليه هذه الدعوة الآن فردت بدعوته عذاب النار عنه .. أوليس في قوله ﷺ: «**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» خصوصية عظيمة وشفاعة كريمة، وجوار عظيم للمؤمنين في قبورهم.

وربما قال البعض: إن دعوة رسول الله ﷺ هذه وحدها كافية، فما الحاجة لدعائنا؟

أقول: إي - والله - كافية، ولكن لو عملنا بمقتضى هذا القول لتركنا الدعاء مطلقًا، لأن رسول الله ﷺ قد دعا لنا في كل شيء، بينما هو كما يدعو لنا فإنه يُعَلِّمنا، وربنا يقول لنا ولخلقه كافة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فرسول الله ﷺ كما يدعو هو بنفسه فإنه يُعَلِّمنا، فكما أنه المستصرخ لنا فإنه المجير .. ثم إننا لا ندري بتصريف الله ﷻ للدعاء وإجابته، ومَن يدري فلربما كان الغافلون عن الدعاء الصادق لميتهم إنما يهيئ لهم العذاب لعدم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٩٤٥)، والدارمي (١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٠٤)، والحاكم (١٠٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا»، ووافقه الذهبي.

استصراخهم لإنقاذ ميتهم، وعدم جوارهم ونجدتهم له، ثم لا يجدون مَن يدعو لهم بعد موتهم .. جزاءً وفاقًا، فكما صنعوا يُصنع بهم، بينما إذا تواطأت الدعوات، وكثر الداعون والشفعاء فإن الله ﷻ لن يردَّها كما أمر رسول الله ﷺ بتكثير المصلين صلاة الجنازة كما سيأتي معنا بإذن الله.

فالله الله يا أيها المؤمنون فيمَن هو أشد حاجة الآن ..

الله الله فيمَن أُغلق باب عمله وخُتمت صحيفته مع عمره.

الله الله فيمَن أصبح رهين ما عمل، لا يستطيع فكاكًا ولا استدراكًا ..

لا أحد يقول: إنهما يتساويان في الحاجة؛ مَن هو الآن في الدنيا مع مَن هو الآن في دار الحساب، بل كل واحدٍ يقول: دعائي وقلبي متوجه إلى والدي، أو ولدي الذي رحل، أو أختي، أو أخي الراحل، أو صديقي الذي مات من بين جميع أصدقائي وخصوصًا في هذه الأيام .. هذا نحن، أمَّا رسول الله ﷺ فإن الإحساس الأول لا ينطفئ ولا يخبت ولا يضعف .. هو كما هو عند أحدنا في أول الأمر .. إذ هو الكمال كله ﷺ حتى في مشاعره العاطفية.

فإن مَن حضرَ لصغارٍ سقطوا في البحر وهرع لإنقاذهم فإنه يقدِّم أولًا مَن لا يعرف السباحة قبل الصغير الذي يعرف السباحة .. فالحي يمكن أن يشتري لنفسه طوق نجاة، أما مَن رحل فلقد خُتم على عمله ولا مجال، أوليس هو مَن صاح: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون:٩٩، ١٠٠]، هو مَن واجه الموت عِيانًا بيانًا؟!

إذًا فدعوة رسول الله ﷺ هو أن لا يُنسي طرفٌ الطرف الآخر .. ولا يشغلنا الأحياء عن الأموات .. كما لا تشغلنا الدنيا من الآخرة، وليكن القاسم المشترك للطرف الحاضر الأول عن جميع الأطراف الأخرى في دعائنا نحن الأحياء؛ إنما هم أهل المقابر .. أهل البرزخ في الدار الآخرة .. ومن غير إهمال أنفسنا أو أولادنا أو من على الأرض من الأحياء.

وهنا أمرٌ يجب التنبُّه له لأنفسنا ولأحبائنا ولموتانا؛ هو تعظيم شأن الحسنة، فالحسنة الواحدة الصافية الخالصة يمكن أن تكون طوق النجاة لغارق أو محترق، والحسنة يمكن أن يكون فيها الإذن بالخلاص من الذنوب، والحسنة يمكن أن تهيئ العبد للشفاعة، والحسنة يمكن أن يكون فيها فك رهنه وحبسه والخلاص من الحساب في القبور، والحسنة إنما تعني أنها بغير سيئة أبدًا، لذا قال ﷺ: «**وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»، والحسنة وحدها إنما تعني لا شيء بأكملها ولا تعطى كرد حق لأحد على صاحبها، صحيفة لا ظلم فيها.

ثم إن هذه دعوة شاملة للحياة وللممات كليهما، فهي أقرب ما تكون إلى ربنا: إنَّا نسألك حياة حسنة وآخرة حسنة، لا سوء فيها مطلقًا، فالسيئة لا ذكر لها في الدارين أبدًا .. فهي الدعوة الشاملة، ولهذا كان أنس رضي الله عنه إذا طُلب منه الدعاء الخاص دعا لهم فيه ودعا معه بهذا الدعاء ليشمل كل شيء؛ قِيلَ لِأَنَسٍ: ادْعُ اللهَ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قَالُوا: زِدْنَا. قَالَ: مَا تُرِيدُونَ! قَدْ سَأَلْتُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ![(١)].

وفي هذا الحديث صرخة من رسول الله ﷺ لمن استطاع أن يقدِّم حسنة لنفسه ويقدِّمها لمَن رحل إلى البرزخ، فهذا التقديم الفعلي هو تصديق الدعاء الدائم بالحسنة، وإلا كيف يجيب العبد ربه سبحانه إذا سأله: قد كنت تستطيع أن تقدِّم حسنة من مالك فلم تفعل ...!

قد كنت تستطيع أن تشفع بجاهك، وهذه الشفاعة أكبر حسنة فلم تفعل!

قد كنت تستطيع أن تصلح بين اثنين، وهذه أعظم حسنة فلم تفعل!

قد كنت تستطيع أن تتنازل عن حقك أو بعض حقك، وهذه أكبر حسنة فلم تفعل!

وهكذا وهكذا .. فهل يستطيع أن يقول هذا العبد المخذول: يا رب أنا دعوتك بالحسنة!

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٤٣٣).

يا هذا الداعي أرجو أن لا يكون نصيبك من دعاء الداعين لك كنصيبك من دعاء الأحياء لك بالحسنة يبخلون بها عليك عملًا ويهجرونك منها هجرانًا كما هجرتهم أنت.

أما رسول الله ﷺ فإنها لما كانت الحسنة أكثر دعائه فقد كانت الحسنة هي فعله ﷺ وإنفاقه وسعيه.



الوصية بالوصية نجدة ووقاية

الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: «لَيْلَتَيْنِ» لا ثالث لهما:

إثبات الحقوق الواجبة بالوصية أو بغيرها واجب .. أما الحديث هنا فإنه شامل لكل إنسان سواء عليه حقوق أو ليس عليه حقوق، ولذا قال الإمام ابن حجر ﷺ: قوله: (ليلتين) كذا لأكثر الرواة، ولأبي عوانة، والبيهقي من طريق حماد بن زيد، عن أيوب: «**يبيت ليلة أو ليلتين**»، ولمسلم، والنسائي من طريق الزهري، عن سالم عن أبيه: «**يبيت ثلاث ليال**»، وكأن ذكر الليلتين والثلاث لرفع الحرج لتزاحم أشغال المرء التي يحتاج إلى ذكرها ففسح له هذا القدر ليتذكر ما يحتاج إليه، واختلاف الروايات فيه دال على أنه للتقريب لا التحديد، والمعنى لا يمضي عليه زمان وإن كان قليلا إلا ووصيته مكتوبة، وفيه إشارة إلى اغتفار الزمن اليسير، وكأن الثلاث غاية للتأخير، ولذلك قال ابن عمر في رواية سالم المذكورة: «**لم أبت ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا ووصيتي عندي**». قال الطيبي: في تخصيص الليلتين والثلاث بالذكر تسامح في إرادة المبالغة، أي لا ينبغي أن يبيت زمانا ما، وقد سامحناه

(١) رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

في الليلتين والثلاث فلا ينبغي له أن يتجاوز ذلك(١).

واستدل بقوله: «**وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**» على أن الوصية تنفذ وإن كانت عند صاحبها ولم يجعلها عند غيره، وكذلك لو جعلها عند غيره وارتجعها، وفي الحديث منقبة لابن عمر لمبادرته لامتثال قول الشارع ومواظبته عليه، وفيه الندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، لأنه ما من سن يفرض إلا وقد مات فيه جمع جم، وكل واحد بعينه جائز أن يموت في الحال، فينبغي أن يكون متأهبًا لذلك فيكتب وصيته، ويجمع فيها ما يحصل له به الأجر ويحبط عنه الوزر من حقوق الله وحقوق عباده، والله المستعان(٢).

وقال الإمام النووي رحمه الله: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْوَصِيَّةِ وَقَدْ أَجْمَعَ الْـمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْرِ بِهَا لَكِنَّ مَذْهَبَنَا وَمَذْهَبَ الْجَمَاهِيرِ أَنَّهَا مَنْدُوبَةٌ لَا وَاجِبَةٌ(٣).

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله مَعْنَى الْحَدِيثِ مَا الْحَزْمُ وَالِاحْتِيَاطُ لِلْمُسْلِمِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةً عِنْدَهُ، وَيُسْتَحَبُّ تَعْجِيلُهَا وَأَنْ يَكْتُبَهَا فِي صِحَّتِهِ وَيُشْهِدُ عَلَيْهِ فِيهَا وَيَكْتُبُ فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَإِنْ تَجَدَّدَ لَهُ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى الْوَصِيَّةِ بِهِ أَلْحَقَهُ بِهَا. قَالُوا: وَلَا يُكَلَّفُ أَنْ يَكْتُبَ كُلَّ يَوْمٍ مُحَقَّرَاتِ الْـمُعَامَلَاتِ وجزيئات الْأُمُورِ الْـمُتَكَرِّرَةِ(٤).

وإني لأرى أن تخصيص الليلتين بالذكر من دون النهار ليس عَرَضًا وإنما هو كما ذكر الإمامان الكبيران ابن حجر والنووي رحمهما الله مزيد الاهتمام، وإن الليل هو الموطن الأكبر لقبض الأرواح، والنسبة الأعلى للموت في الليل؛ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ثم إذا عذر الإنسان في التفريط بها في

(١) فتح الباري (٥/ ٣٥٨).
(٢) فتح الباري (٥/ ٣٥٩-٣٦٠).
(٣) شرح النووي على مسلم (١١/ ٧٤).
(٤) شرح النووي على مسلم (١١/ ٧٥).

ليله فإنه لن يعذر بتأجيلها عن الليلتين، والنبي ﷺ يقول: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»(١)، وكثرة الوفيات بالليل معروف في الإحصائيات، وأكثر ما يذكر الرحيل بالليل، فإن الدراسات والإحصائيات تشير إلى أن الوفيات بشكل عام وخاصة المفاجئة منها تحدث أكثر في الليل، أو قبيل الفجر، وعلى وجه الخصوص ما بين الساعة الثانية صباحًا إلى الثامنة صباحًا، كما نشرت ذلك مجلة (PNAS)، فذروة الوفيات القلبية عن الساعة (٨) صباحًا، وكذلك الوفيات العصبية مثل السكتات الدماغية، ومنها الوفيات الناتجة عن فشل أجهزة الجسم مثل الرئتين والكلى والكبد، وكذلك الوفيات الناتجة عن حوادث السير .. حتى وصف بعض الأطباء الساعة الرابعة فجرًا إلى السادسة بساعة الموت.

فكيف يهمل الوصية والرسول ﷺ يلقنه الذكر بالليل بتذكيره برحيله .. كما في أذكار النوم؛ ومنها قوله ﷺ: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»(٢)، وقوله ﷺ: «**بِاسْمِكَ اللهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، اللهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ**»(٣)، وهكذا إذا استيقظ قال: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(٤).

الدعوة الثانية: إعداد مؤونة كافية لطول الرحلة:

وعلى كل حال فإن هذه الوصية رحمة من الله خالصة يريد بها سبحانه رحمة العبد بإعطائه الفرصة الأخيرة كي يستدرك كل خطر عليه ينتظره في القبر؛ مثل أن يكون عليه دين، أو تكون عليه مظالم للناس وحقوق، أو يريد أن يقدِّم لنفسه التقديم الأخير .. التقديم الذي به يبقى الأجر جاريًا إليه بعد موته.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٤).

(٣) رواه أحمد (٧٨١١)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه أحمد شاكر.

(٤) رواه البخاري (٦٣٢٤).

إن المال بعد لحظات ذاهب عنه، وهو ذاهب عن ماله، فما الذي يدفعه لعدم استخدامه كطوق نجاة من هذا الهلاك الحاضر المحقق، والقبر الغريب المعمق .... فيا لقبح الشح الذي عاش عليه طوال حياته، وها هو يموت عليه فيحرمه من رحمة الله ..

وقد قال النبي ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي، لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ**»(١).

إذ في حديث النبي ﷺ هذا دعوة للتعجيل بنصحه نصيحة حاضرة مؤثرة تُقدَّم لهذا الراحل أو ذاك، بل صرخة تُنبِّهه من رقدته: أن أنقذ نفسك قبل الهلاك .. خلِّص نفسك قبل أن تغرغر فلا استدراك.

وإن اقتضى الأمر أن تكون النصيحة مع مجموعة منظمة مرتبة مؤثرة وقد قال الله ﷻ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

إلى أين يريد هذا الراحل المُرحَّل من هذه الدار في رحلته هذه .. إنه يراد به الرحيل إلى الدار الآخرة ... وأي دارٍ أقرب إلينا من الدار الآخرة؟! إنه عالم البرزخ، إذًا فإن الوصول إلى عالم البرزخ لا بد أن يمر من معبر الموت.

كل ما يذكره هنا عن أمنية هذا المنادي ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

فهل الحقيقة هي أن هذا الرجل يودُّ أن يدعو ربه أن يرجعه إلى الدنيا كي يخرج زكاة ماله وكفى؟!

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٢٣)، والأوسط (٥٥١٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٧) رقم (١٨٦٣٩): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ، وَأَحَدُ إِسْنَادَي الطَّبَرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ جَيِّدٌ.

نعم إن أداء زكاة المال هي الأمنية العظمى لكل مَن بخل بها، وكذلك أداء حقوق الناس .. وما أعظمها ... إلا أن طلبه هنا ليس أداء الفرائض كما يشير السياق إلى هذا، بل هي الصدقة من المال الباقي ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠] فهل دعاء هذا الرجل وطلبه هو أن يرجعه الله إلى الدنيا كي يتصدق بأي صدقة ثم يموت، وانتهى الأمر؟

إن الله سبحانه يذكر لنا هنا القصة كاملة، ويعلن سبحانه لنا الأمنية التي يتمناها أناس لطلب العودة .. ولا عودة أبدًا.

إنه يريد صدقة للحياة الجديدة .. صدقة تبقى للأحياء نافعة حياةً مديدة .. فكلما كبرت الصدقة وكثر المنتفعون بها بقيت له إمدادًا وإسعادًا وهو في حياته تلك .. فلا بد أن تكون كمية المؤونة مناسبة لطول الرحلة.

فلا ينبغي أن نقطع كلمة ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ دون ذكر الدافع لها؛ وهو الموت، وما بعد الموت مباشرة، وهو البرزخ وحياة البرزخ، كما أنه لا ينبغي أن نقتطع فَأَصَّدَّقَ عن وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ، فإنه يريد أن يجعل من لحظة العودة هذه عنوان لحياة جديدة كلها في مرضاة الله .. فقوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ فـ ﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ جمع صالح، والصالح اسم، والاسم ملازم لصاحبه لا يتغير ولا يتبدل كما هو الحال في الصفة، فالصفة قابلة للتغير، فمَن دخل معركة وانتصر وُصِف بأنه [منتصر]، لكنه إذا دخل مرة أخرى وانهزم وُصف بأنه [منهزم]، وذلك لأنها حقه، أما مَن سماه أهله عند ولادته [منتصر] فإنه يبقى اسمه [منتصر] حتى لو هُزم، أو مات، أو لم يدخل معركة أصلًا فإن اسمه [منتصر] لا يتغير، وينادى على ولده فلان بن منتصر، وهكذا فمَن كان وصفه [عالم]، فأصابه الخَرَفُ لم يبق عالمًا، بينما مَن كان اسمه [عالم] فإنه يبقى إلى أن يموت [عالم]، وينادى عليه بـ [عالم]، والفارق أن هذا وصف،

والوصف يتغير ويزول، وذاك اسم، والاسم دائم قائم باقٍ لا يزول حتى بالمرض أو بالموت، وبغض النظر عن أي عارض من العوارض.

وهنا نفهم الترابط الذي ذكرت بين قول الله ﷻ: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وبين قوله سبحانه ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

فالحقيقة إذًا أن الله سبحانه يدعو كل واحدٍ منا أن تكون له صدقة تصحبه عند موته، وفي قبره، وفي حشره، ونشره، وآخرته ... قبل أن يأتيه ويحل الموت فيه وينشب في روحه فيتمنَّى ذلك ولات حين مناص.

ولماذا صدقة تبقى؟ والجواب: لأنها مرتبطة بالدار الباقية، فلا بد أن تبقى لكل المواقف .. وتبقى نجدة وحماية وحراسة، ورفعة بعد ذلك.

الدعوة الثالثة: النجدة بالهدى عند الخاتمة:

يقول ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. هدايات هذه الآية الكريمة كثيرة وعظيمة، وإنما هي كذلك دعوة واضحة لكل المؤمنين أن يتعاونوا على تثبيت بعضهم على الإسلام عند الموت، بل إن رسول الله ﷺ قد تعدَّى هذا الجانب إلى الدعوة إلى الإسلام عند يهودي ينازع حتى أسلم، وكذلك دعا عمَّه أبا طالب، وربنا سبحانه يوجهنا توجيهًا واضحًا أن نتعاون عند الموت على الموت على الإسلام، وهو أعز وأغلى من كل تعاونٍ قبله .. فكل لحظة لها ما بعدها، وهذه لحظة منقطعة لا يعوضها ما بعدها .. تدبر قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

ولا بد من إنشاء فكر دعوي خاص للمنقذين عند الموت أو النجدة عند الموت .. حيث يأخذ فيه شباب دورات تدريبية عملية من الرجال والنساء .. ويأخذ هذه الدورات العاملون في المستشفيات والأطباء .. ولا يُترك الأمر لبعض المتعجلين الجاهلين الذين بأسلوبهم يبغضون مَن في هذا الحال العصيب في الإسلام، ويزلزلون

الثبات .. فبعضهم يبقى على رأس الميت وبصوت عالٍ يكرر عليه قل: لا إله إلا الله .. قل قل قل .. ولا يعطيه فرصة .. ولو استطاع هذا الضعيف أن يطرده لطرده، لأنه يعرف أنه سيحمل عنه: أنه لقَّنه لا إله إلا الله .. وأبوكم رفض! أو أخوكم كفر عند الموت! أو صديقكم تعسَّرت عليه الشهادة! فهذا مقام تبشير، وليس مقام تنفير، هذا أحق مقام بحسن الظن بالله .. والتحبيب بلقاء الله، لا التخويف من لقاء الله. هذا مقام التعريض، لا التأمير والتعالي .. تحدث قليلًا تعريضًا، ودعه ينطق الشهادتين صريحة منشرحًا بها صدره وكفى ولو مرة.

والله ﷻ ما عرض هذه الأمنية المردودة على عباده في هذا الموقف إلا ليسمعنا أمرًا مفزعًا حقًّا، لنفرَّ منه فرارًا من الآن .. والفرار منه ليس إلا بالعمل .. الذي تمنَّاه هذا الهالك عند موته: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فالعودة مهما كانت غايتها فهي مرفوضة ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النور: ٩٩].

وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة ثانية فسوف نجد أن ربنا ﷻ قد خاطبنا كمؤمنين جميعًا في أول الآية وذكر الراحل منفردًا .. فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١]، فليكن جهد هذا النصح لهذا الشخص حاضرًا، وليكن الجهد جماعيًّا وأصعب على الشيطان الرجيم - نعوذ بالله منه - .. فما أعلى وأقوى كلمة المعين الناصح، ثم كلمة الثالث المعزِّز ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]. إن الشيطان في هذه اللحظة سيهرب وسينجو صاحبنا - بإذن الله -، لأن الشيطان من الاثنين أبعد، ومن الثلاثة أبعد كما في الحديث(١).

(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ=

إنه الصراع الأخير ... على أعظم غنيمة بين المؤمنين وبين الشيطان – نعوذ بالله منه – ... صراع على أخيهم المؤمن ... فليعدَّ كل مؤمن نفسه لإنقاذ أخٍ له في الإسلام .. فإلى الجنة يا أخي – بإذن الله.

هكذا يستصرخنا النبي ﷺ، ويُعْلِمُنا ربنا سبحانه، أنه قد مرَّ عبر هذا المعبر أناس مسلمون وآخرون أقرباء، وأصحاب، وربما أهل، فلننجدهم الآن .. بحيث لا يترك مستطيع للصدقة إلا وتصدق عمَّن ذهب، فإنه إن كان قد تمنَّى فقد وصله الآن ما تمنَّى، وإن لم يكن تمناها وصلته رحمة، وعفوًا، وغفرانًا، ومقامًا جديدًا .. فلا حسرة في الصدقة ولا خسران، والأمر على كل أحواله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .. وسيأتي معنا كثيرًا كيف أن الميت ينتفع بعمل الحي إن عمله نيابة عنه، أو إهداءً له، أو نحو ذلك، كما هو شان الدعاء، والاستغفار، والحج، والعمرة، وحفر الآبار، ونحوها.

الدعوة الرابعة: تحويل آخر عمل إلى خير عمله وأعظمه:

وإن ربنا سبحانه يدعونا إلى أن نجعل هذه لحظة الإنقاذ الأخيرة قبل أن يرحل الراحل بسوء عمله، أو ترحل المرأة بسوء عملها .. وتحويلها إلى عمل عظيم باقٍ إلى يوم الدين.

وإن مما يدعونا لهذا هو أن ننقضَّ على الشيطان الرجيم – نعوذ بالله من كيده –؛ كما قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ

= اللهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ». رواه الترمذي (٢١٦٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وأحمد (١١٤) باختلاف يسير، وقال أحمد شاكر والأرنؤوط: إسناده صحيح.

أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقال القُرطُبيُّ: سَمِعْتُ شَيخَنا الإمامَ أبا العَبَّاسِ أحمَدَ بْنَ عُمَرَ القُرطُبيَّ، يَقولُ: حَضَرْتُ أخَا شَيخِنا أبي جَعفَرٍ أحمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ القُرطُبيِّ بقُرطُبةٍ، وقَدِ احتُضِرَ، فقيلَ لَه: قُلْ: لا إلَه إلَّا اللهُ، فكانَ يَقولُ: لا، لا، فلَمَّا أفاقَ، ذَكَرْنا لَه ذلك، فقال: أتاني شَيطانانِ عَن يَميني وعَن شِمالي، يَقولُ أحَدُهما: مُتْ يَهوديًّا؛ فإنَّه خَيرُ الأديانِ، والآخَرُ يَقولُ: مُتْ نَصرانيًّا فإنَّه خَيرُ الأديانِ، فكُنتُ أقولُ لَهما: لا، لا، إلَيَّ تَقولانِ هَذا؟!(١)، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ**»(٢)، وما أحسن الروايات الواردة في اختيار الخليفة سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكلها متعاضدة؛ قال الإمام الذهبي رحمه الله: عن رجاء بن حيوة قال: لما ثقل سليمان بن عبد الملك رآني عمر بن عبد العزيز في الدار أخرج وأدخل وأتردد، فقال: يا رجاء أذكرك الله والإسلام أن تذكرني لأمير المؤمنين أو تشير بي، فوالله ما أقوى على هذا الأمر، فانتهرته، وقلت: إنك لحريص على الخلافة فاستحيى، ودخلت فقال لي سليمان: مَن ترى لهذا الأمر؟ فقلت: اتق الله؛ فإنك قادم على الله تعالى وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه. قال فمَن ترى؟ قلت: عمر بن عبد العزيز. قال: كيف أصنع بعهد عبد الملك إلى الوليد وإلي في ابني عاتكة أيهما بقي؟ قلت: تجعله من بعده. قال: أصبت، جئني بصحيفة، فأتيته بصحيفة، فكتب: عهد عمر ويزيد ابن عبد الملك من بعد، ثم دعوت رجالاً فدخلوا، فقال: عهدي في هذه الصحيفة مع رجاء، اشهدوا، واختموا الصحيفة. قال: فلم يلبث أن مات، فكففت النساء عن الصياح، وخرجت إلى الناس، فقالوا كيف أمير المؤمنين؟ قلت: لم يكن منذ اشتكى أسكن منه الساعة، قالوا: لله الحمد.

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (١/ ١٨٧).

(٢) رواه أبو داود (١٥٥٢)، وأحمد (١٥٥٢٣)، والنسائي (٥٥٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨١)، والحاكم (١٩٤٨)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وصححه الألباني.

قال ابن عيينة: حدثني مَن شهد دابق وكان مجتمع غزو الناس فمات سليمان بدابق ورجاء بن حيوة صاحب أمره ومشورته خرج إلى الناس فأعلمهم بموته، وصعد المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين كتب كتابًا وعهد عهدًا، وأعلمهم بموته، أفسامعون أنتم مطيعون؟ قالوا: نعم. وقال هشام: نسمع ونطيع إن كان فيه استخلاف رجل من بني عبد الملك. قال: ويجذبه الناس حتى سقط إلى الأرض، وقالوا: سمعنا وأطعنا، فقال رجاء: قم يا عمر، وهو على المنبر، فقال عمر: والله إن هذا لأمر ما سألته الله قط[(١)].

وقال الذهبي ﵀ في رواية أخرى: لما مرض سليمان بدابق قال يا رجاء أستخلف ابني؟ قال ابنك غائب. قال: فالآخر؟ قال: هو صغير. قال: فمَن ترى؟ قال: عمر بن عبد العزيز. قال: أتخوف بني عبد الملك أن لا يرضوا. قال: فَوَلِّه ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابًا، وتختمه، وتدعوهم إلى بيعة مختوم عليها. قال: فكتب العهد، وختمه، فخرج رجاء، وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب. قالوا: ومَن فيه؟ قال: مختوم، ولا تخبرون بمَن فيه حتى يموت، فامتنعوا، فقال سليمان: انطلق إلى أصحاب الشرط، وناد الصلاة جامعة، ومرهم بالبيعة، فمَن أبى فاضرب عنقه. ففعل فبايعوا[(٢)].

فهنيئًا والله هنيئًا لك يا رجاء بن حيوة - وهو من سادات العلماء التابعين - بهذه المشورة التي لا أحسب أبدًا أن حصاد عمرك يا رجاء في الصالحات وأضعافًا معه مضاعفة تبلغ عُشر معشاره .. فإن عمر بن عبد العزيز من تولية الخلافة إلى وفاته وعلى سعة الخلافة الإسلامية وأعماله الباقية كلها سيكون لك مثلها كلها في صحيفتك بإذن الله -، على طول الأمة وعرضها من مشرقها إلى مغربها، ومن شمالها

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٤٥١-٤٥٢).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٤٥٢).

إلى جنوبها .. وما أكثر الداخلين في الإسلام في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .. وما أعظم العدل الذي عاد وشاع وصار حجة لآخر الأمة على أن الإسلام قادر على العودة إلى العهد الأول!



النجدة في زيارة المقابر

الحديث السادس:

عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»[١].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»**[٢].

وَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»**[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: **«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْـمَوْتَ»**[٤].

(١) رواه أحمد (٢٣٠٠٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٠٨)، والطبراني في الكبير (١١٥٢)، والأوسط (٣٦٣٢)، وأبو داود (٣٢٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٢١٧٤)، والحاكم (١/ ٥٣٠)، وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الْكِتَابَيْنِ الصَّحِيحَيْنِ لِلشَّيْخَيْنِ ﷺ، وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٢) رواه الحاكم (١٣٩٣)، وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد (١٣٤٨٧) ص (١٤٢).

(٣) رواه مسلم (٩٧٧).

(٤) رواه مسلم (٩٧٦).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: البحث عن المطلوب العملي:

لا بد أن أُقرِّر كيف كنا نتلقى الحديث من أحاديث رسول الله ﷺ في هذا الموضوع، وكيف هو الواجب علينا .. وأين هو الفراغ والفارق .. نحن نقرأ حديث رسول الله ﷺ ونحفظه ونبلغه إلا أننا لا نحمل دعوة الحديث العظيمة فيه، ولا نبحث عن موطن المطلوب منا عمله، وإنما نحمل ألفاظه حفظًا، وجماله اللغوي، وإشاراته النظرية الخفية، ومحسناته البديعية، وشيء من آثاره الظاهرة، وهذه الأشياء هي التي حلَّت محله، أما لازم الحديث، ودعوته، ونوره، وهداه، وغايته، ونفعه العملي المتعدي، فذلك ما لا نغوص وراءه حتى نستخرجه من الحديث.

فمع أن رسول الله ﷺ قال: «**فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»، إلا أن المقصود عندنا من الزيارة هو الجانب العاطفي السلبي، والتأثر التحزيني الشخصي! ويقولون: نزداد إيمانًا ونتذكر الآخرة .. أتزدادون إيمانًا ولا تزدادون إنفاقًا، أتذكرون الآخرة في أنفسكم ولا تذكرون أهل الدار الآخرة! ألا ترون أنكم قد أصبحتم عند دخول المقبرة في أحضان الدار الآخرة بهذه الزيارة، فهل تدخلون الدار ولا تذكرون ساكنها ...! أيذهب الرجل إلى بيت صاحبه ولا يذكر صاحب البيت وأهله ...!

أيذهب إليه ولا يسأله، بل لا يسائل نفسه عن أحواله أو يتفقد أوضاعه ونقصه وحاجته، وحاجة هؤلاء الذين نزورهم معه، فهم أحياء في حياة أخرى، ونحن ما زلنا أحياء في هذه الدنيا؛ لذلك قال النبي ﷺ عن المشركين: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا**»[١]، وقال: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»[٢]. هم هم .. إلا أن وسائل الاتصال والتواصل ما عادت تعمل منهم إلينا هنا، إنما تعمل منا إليهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

الدعوة الثانية: ثمة صرخة معذَّب في هذه المقبرة:

إنك لن تعود بعبرةٍ باقية في قلبك مثبتة في صحيفة زيارتك ما لم ترجع بعملٍ لنفسك وعمل لهؤلاء الذين زرتهم .. وأول ذلك وقبل ذلك هو الدعاء الخالص، دعاء المنقذ، دعاء المنجد، دعاء المنتحب، دعاء الفَزِع الفزَّاع، دعاء المُلِحّ على ربه .. دعاء من يشعر أن بعضهم ربما كان في عذابٍ الآن - ولا غرابة في هذا -؛ أفلا يوجد بين كل هؤلاء المدفونين في هذه المقبرة أو تلك مَن كان لا يستنزه من بوله، أو مَن كان يغتاب أو ينم، أو مَن هو محبوس في حقوق آخرين من الناس ... أو على الأقل تحدَّث فيما لا يعنيه؟!

ألم يقل النبي ﷺ عن صحابي من بين الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد روى أَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ - يَعْنِي - رَجُلٌ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَلَا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ**»[(١)].

وأي إنسان لا يخاف على ميته أيًّا كان، إذ هو يقرأ ما قاله رسول الله ﷺ جوابًا على مَن قال: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَلَا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ**»[(٢)]، وقال ﷺ عنه: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ، مَا يُفْعَلُ بِي. قَالَتْ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(٣)].

إن في هذا الحديث دعوة إفاقة من النبي ﷺ لمَن لا يزور القبور؛ أن زُرْها، فإن فيها مَن يُعذَّب، ولا يُشترط أن تعرف المعذَّبين .. بل ذلك من فضل الله وستره، انصب

(١) رواه الترمذي (٢٣١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال الحافظ المنذري: رواته ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وقال الحافظ المنذري: رواته ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٣) رواه البخاري (١٢٤٣).

وعجِّل في الذهاب، وعجِّل في الإنقاذ .. فثمة صرخة استغاثة انبعثت من تلك الدار أن أنقذوني! **ودعوة لمن يزور القبور** أن زيارتك ليست هي مجرد زيارة ودية لإدخال السرور فحسب، ولا هي سُنَّة زيارة فحسب .. إنما أنت شافع، ولو كُشف لنا ما كُشف لرسول الله ﷺ لسمعنا من مقابرنا أهوالًا من غير أن نُحدِّد مَن المعذَّب، وهذا من علم الغيب .. ولهذا لم يحدد النبي ﷺ مَن هما! ولكن اعتقادك بهذا وتصورك لحال القبر على وجه العموم - ما استطعت - يعطي دعاءك حرقة عظيمة، وضراعة شديدة، وإلحاحًا على الله كبيرًا ... والله يحب ذلك وينفعهم بذلك.

فذلك قبران متجاوران، وهما مسلمان ولا شك، وربما كانا صحابيين في عهد رسول الله ﷺ ومع هذا يعذبان .. فكيف بمقابر هذا الزمان؟! ألا والله حق للخليفة الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبكي ويبكي إذا زار المقابر؛ فَعَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»[١].

الدعوة الثالثة: العودة بمشروع لجميع أهل المقبرة هؤلاء:

إن ثمرة الزيارة تتفاوت بتفاوت رقة القلب من زائرٍ لزائر، وذلك من أثر الدار الآخرة التي دخل الزائر الآن أول دورها زائرًا، وسيعود - بإذن الله - الآن من زيارته إلى الحياة، فعائد يعود من زيارته المقبرة بمشروع لجميع أهل المقبرة، كبيرة كانت أم صغيرة .. وذلك بأن قرَّر أن يجري نهرًا إلى قرى فرعية من النهر العظيم الذي يمر وسط صحاري كبيرة.

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (٤٥٤)، وقال أحمد شاكر والأرنؤوط: إسناده صحيح، وحسنه الألباني.

وآخر قرر أن يكري نهرًا قد توقف بسبب الردم والأعشاب والمخلفات أو الغرين الذي ملأه .. فأزال ذلك كله بشركات متخصصة، أو عمال وآليات خاصة، فانتفع الخلق وعادت الحياة ... وهكذا، فإنه كما سيأتي معنا، كل مشروع نافع لأهل الآخرة فإنما نفعه بقدر نفعه لأهل الدنيا.

فسبحان الله؛ فلقد عمَّ أهل المقبرة هؤلاء جميعًا الرحمة والأمان والهناء والسلام .. كما عمَّ سلامهُ حين دخل عليهم فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**»(١)، وكما أن في أهل هذه المقبرة أو تلك من المعذبين لتعديهم على حقوق أناس .. فإن هذا الجهبذ جاءهم بمشروع نافع للناس، فكان هذا بهذا، والله غفور رحيم، والله شكور عليم.

وآخر لم يستطع بنفسه عمل كل هذا، لكنه لعلو همته جعل مثل هذا المشروع له هدفًا .. وجعلها فكرة .. فحولها إلى غاية .. ورسمها وهندسها مشروعًا .. وسعى للإقناع بها سعيًا .. وما فتئ حتى ابتدأها وأسسها .. وترك صحبًا.



(١) رواه مسلم (٢٤٩).



الحديث السابع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: السلام نجدة:

حِكَمٌ في السلام بهذه الصيغة: هكذا هي سنة النبي ﷺ في زيارة القبور، أو عند المرور بهم..

فهو يسلِّم عليهم جميعًا دون استثناء، وهكذا كان يصنع رسول الله ﷺ كلما زار المقابر، فما خصَّ بالسلام الصالحين، ولا المصلين، ولا المتصدقين، بل جعله سلامًا عامًّا على جميع مَن في المقبرة من المؤمنين والمسلمين صالحين وغير صالحين، وجعل السلام على الدار؛ فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**»(٢)، وجاء في حديث: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ**»(٣)، وكونه ذكر المسلمين مع ذكره المؤمنين فإنما يعني هذا أنه ربما كان فيهم نقص في الأعمال الصالحة، بل ربما يكون فيهم من استحق العذاب، بل مَن يُعذَّب، وفي حديث الباب

---

(١) رواه الترمذي (١٠٥٣)، وقال: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٤٩).

(٣) رواه مسلم (٩٧٥).

لم يذكر لا مؤمنين ولا مسلمين؛ فقال ﷺ في سلامه: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»، فإن كان فيهم مَن هم من أهل الكبائر مثلًا؛ فهذا والله هو المطلوب العظيم، إذ هم أحوج الناس إلى الإنقاذ، ولذا أَتْبَعَ النبي ﷺ السلام، والسلام منه كافٍ أن ينزل الله ﷻ بسلامه ﷺ، أتبعه بدعاء المغفرة، ومَن أولى بهذا وأشد حاجة من صاحب الكبائر أن يغفر الله له ما يُعذَّب الآن بسببه .. وكلما زاد المعذَّب عذابًا زادت الحاجة إلى الدعاء والإلحاح فيه وطلب المغفرة له .. ثم أي الناس ليس عليه ذنب؟! ولذا كان قوله ﷺ: «**يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ**»، فقدَّم ﷺ نفسه ومَن معه من أصحابه عليهم جميعًا في الحاجة إلى المغفرة، وهذا بالإضافة إلى أنه الحق المبين، والشرف العظيم لهم، إلا أن فيه الشفاعة المقبولة لهم، ذلك أن الله ﷻ لن يرد قومًا يتقدَّمهم رسول الله ﷺ، وقد تقدَّم هنا .. وهو أعلم ﷺ بموجبات قبول الدعاء، وهو ﷺ إنما جعل نفسه مقدَّمًا هنا ليشفع .. لقد قدَّم ﷺ وجهه الكريم، وجاهه العظيم عند ربه لأجل قلة من المؤمنين .. ليبين لنا عظمة إنقاذ أهل المقابر ما استطعنا .. وإنما قدَّم رسول الله ﷺ نفسه على هذه المجموعة لينقلهم من العذاب إلى المغفرة، ومن الحساب إلى التجاوز، ومن الارتهان الذي لا نعرف عنه إلا أنه أليم شديد إلى فكِّه وإطلاق السراح في النعيم.

ثم إن هذه الطريقة والترتيب بالسلام والدعاء تُصبح سنة في غيره، وهذا أنفع للميت من أنه يقدِّمهم في هذا المقام إذا لم يكن معهم رسول الله ﷺ .. فإن مَن أراد أن يشفع ينبغي أن يتطهر من الذنب أولًا، فذلك أدعى لقبول شفاعته، وهو حين يقول: «**يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ**»، فإن هذا دعاء والدعاء هنا مجاب، وهو هنا كذلك توبة، لأن فيه فك الإصرار على الذنب، وفيه ما فوق الندم و «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»[1]، كما قال النبي ﷺ .. فهذا دعاء التائبين الطاهرين الشافعين .. فليهنأ بهذا أهل المقابر.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (٣٥٦٨)، والحاكم (٧٦١٢)، وصححه الذهبي، وقال الأرنؤوط: صحيح.

«**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»: فأي حياة حقيقية فماذا يمكن أن يكون الخطاب لو كان هؤلاء أحياء أكثر من هذا أن يقول لهم: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»، فاعمل أيها الزائر للقبور كأنك داخل على أهل دور .. سَلِّم عليهم كأحياء يسمعونك، ولا تَرْتَبْ بهذا أبدًا .. ادع لهم دعاء مَن يحب دعاءك .. وهو في عالم آخر .. عالم يرى إجابة الله دعاءك فيه فورًا، ويرى كيف يرفع الله عنه آصار عقاب الذنوب، ويُزاح عنه أحمالها وميزانها وكيها وويلاتها بدعائك ... دعاء مَن يحب أن تزيده أكثر وأكثر من الدعاء .. فإنه ومن ابتداء قبض الروح قد انكشف له من الغيوب الأمور العظيمة، وهو الآن يعرفك، ويعرف كل ما يتعلَّق بهذا الأمر الآن، يعرف أن هذا الأثر الطيب جاءني من عند فلان، وهذا ما يعطي الدعاء اجتهادًا آخر، وتوسُّلًا آخر وحُرقة فينا أخرى.

الدعوة الثانية: مواجهة الحقيقة كما هي أجدى نفعًا:

وقوله ﷺ: «**أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»: فوالله ما كان رسول الله ﷺ متوهمًا ولا متخيلًا، وما كان يحدِّث نفسه، إنما هي المحادثة والمخاطبة، ففيها: «**أَنْتُمْ**»، وفيها: «**نَحْنُ**» .. بل هو ﷺ مَن أمرنا بإزالة الوهم بانقطاع هؤلاء عنا، وبين أن سمعنا ليس بأحسن من سمعهم، بل ربما كان هذا يعني أن سمعهم أحسن وأقوى بكثير وذلك لقوله ﷺ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**»(١)، ومن قوة سمعهم أنهم يسمعون قرع النعال وهي تمشي بمشي أصحابها، ويدركون إن كانت قادمة إليهم، أو مُودِّعة لهم؛ فقال في حديث البخاري ومسلم: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»(٢) .. فالأمر غير متعلق برسول الله ﷺ، ولا ينبغي أن يصور على أنه من المعجزات بشهادة الحديث الآخر الذي ذكرناه وهو في البخاري

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

ومسلم كما رأيت، كما ذكر رسول الله ﷺ سبب الوهم هذا عندنا، وهو أننا لا نسمع جوابهم فهناك ينقطع الإرسال منهم إلينا إلا أن الإرسال منا إليهم في مرتبة الكمال والوضوح، وهذا الأمر من الوضوح في السنة ما لا ينبغي نكرانه، ولا ينبغي أن ينكر بزعم: سدًّا للذريعة من الشرك! بل إنكارها سد للحقيقة التي لا يملك سواها، وسد للمشاعر الحقة، وسدٌّ للإنقاذ! كما أن في إنكارها طمسًا لعلم عظيم تُبنَى عليه أعمال، وقطعًا لحبلٍ واصل يريد الله ورسوله ﷺ ألا ينقطع أبدًا.

«**أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»: كم في هذه الكلمة الخاتمة للسلام من دعوة للأحياء بالعمل الباقي الجاري لمَن سبق .. كم فيها من دعوة دعاءٍ صادق قبل العودة من هذه الدار إلى دور الحياة الدنيا ثانية .. كم فيها من تصحيح للموازين ما بين الدنيا والآخرة، وكم فيها من إعادة تقييم لسكان الدنيا وسكان الآخرة، وإعادة تصحيح العلاقات مع هؤلاء وهؤلاء ..

إن مَن علم أنه منتقل إلى حي جديد من حيه هذا يوطئ لنفسه هنا قَدمًا ويهيئ لنفسه هناك مقامًا، ويرسل لهم من الآن ما ينفعهم قبل أن يكون واحدًا منهم لا حول له ولا قوة إلا بالله .. ليكون موضع حفاوة عند رحيله، ويكون ما قدَّم لهم شهادة يقدمها أولئك السابقون حين يصل إليهم عند الله ﷻ.

هذا بالإضافة إلى أن كل ما يقدمه لهم إنما هو يقدمه لنفسه .. فحاله حين يقدم من الأعمال الصالحة للمؤمنين الآخرين وعلى الأخص السابقين إلى الدار الآخرة كحال المؤمن إذا دعا لأخيه أو إخوانه بظهر الغيب .. فإنه وإن لم يدعُ لنفسه فإن الله جعل مَن هو خيرًا منه وأعظم قبولًا عند الله مَن يُؤَمِّن على دعائه ويقول له: «**آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١)؛ فيكون أضمن لجواب الدعائين، وهكذا العمل الذي يهدى لهم ..

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣).

إلا أن قول رسول الله ﷺ: «**وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**» يعطي الأمر جدية قصوى: هؤلاء جيراني القادمون! فلأحسن إليهم.

وهؤلاء جيراني الأحياء: فلأردَّنَّ إليهم حقوقهم، واستسمحهم دائمًا قبل أن يكون يومٌ لا درهم فيه ولا دينار.

هؤلاء الأهل الكرام إما شهود لي أو شهود عليَّ: حتى مَن أوصيت له بوصية خاصة من دون إخوانه، أو من دون أخواته، أو زوجة أوصيت لها من دون بقية زوجاتي .. كل شهادتهم عليَّ عند الله، وهكذا تكون هذه الكلمات في هذه الزيارة لـ «**أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ**» سببًا في ردّ الحقوق إلى أصحابها، وإعادة العدالة في التوزيع إلى نصابها، وكان نقش خاتم عمر رضي الله عنه: كفى بالموت واعظًا[1].

الدعوة الثالثة: تطهير المنزل القادم من الآن:

«**وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»: إذًا فلنبدأ من الآن تجهيز المنزل الجديد في هذه الديار ... ومن الآن لا بد من تطهيره من الآفات والهوام تطهيرًا كاملًا شاملًا .. وهذا إنما يكون بالتوبة الكاملة، وإرجاع الحقوق كاملة.

من الآن لا بد أن أختار صاحبًا صالحًا؛ فلقد ثبت في الحديث عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَـمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْـمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْـمَوْتِ**

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري (٦/ ٩٥) رقم (٥٨٧٣)، والأبواب والتراجم لصحيح البخاري للكاندهلوي (٦/ ٢٠٦).

عليه السلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْـمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْـمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ

الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1].

الدعوة الرابعة: الزيارة بشارة عظيمة:

«أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ»: إن في هذا الخبر على أهل المقابر بشرى عظيمة وفيها تسلية لهم بأعظم ما يمكن أن يتسلّى به أهل المقابر، إذ أخبرهم ﷺ أنه قادم قريب إليهم، وأن تحوّله إليهم باب قريبٌ إليهم، فهل ترون أن الأحياء حين يخبرون بقرب

(١) رواه أحمد (١٨٥٣٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٧٥٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٠) رقم (٤٢٦٦): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

تحوّل رسول الله ﷺ سوف يفرحون؛ فكذلك هؤلاء أهل القبور .. أهل البرزخ لأنهم مؤمنون ومسلمون .. بل فرحهم أشد وأكبر .. إذ أي منقذ لهم وشافع ومنجد مثل رسول الله ﷺ؟!

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَتْ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**»(١).

وفي رواية عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحَصِيبِ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، أَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ**»(٢).

وهنا رسالة مهمة: أن أهل المقابر كما يعرفون رسول الله ﷺ يعرفون غيره من المؤمنين، وأنه كما ينفعهم سلام رسول الله ﷺ ينفعهم سلام أي مؤمن من المؤمنين، لأن السلام اسم من أسماء الله، ولأن السلام تحية، والسلام دعاء، ولأن السلام عليهم سُنَّة المصطفى ﷺ، وهو كذلك عهد .. وهو لكل حالة كيفما تكون، وماذا أكثر من أن يلقيه رسول الله ﷺ على «**أَهْلَ الْمَقَابِرِ**» .. «**أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ**»، ولولا أن السلام ينفعهم ما ألقاه رسول الله ﷺ عليهم كافة حين سلَّم عليهم ﷺ، وحين علَّمه ﷺ عائشة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**»(٣).

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٨٣١)، وقال حسين سليم أسد: إسناده حسن.

(٢) رواه النسائي (٢٠٤٠)، وأحمد (٢٢٩٨٥) واللفظ لهما، ومسلم (٩٧٥)، وابن ماجه (١٥٤٦)، والطبراني في الكبير (١٠٨٣)، والأوسط، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢١٣)، وابن أبي شيبة (١٢١٤٦) باختلاف يسير، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (٩٧٤)، والنسائي (٢٠٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٤٤٥).

ولولا أن في قوله ﷺ: «**وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**» من البشارة العظيمة، والتسلية الكبيرة، والفرحة العارمة لما ذكرها لهم .. فهو إنما جاء لـ «**دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**»، جاء منجدًا ومعينًا ومكرمًا، وجاء ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ..

وعلى هذا تجري سنته ﷺ لكل زائر من المؤمنين الأحياء للمؤمنين في المقبرة .. إلى يوم الدين ...

فكم يسعد الإنسان الكريم إذا أخبرته بقرب زيارتك بيته قريبًا .. وهكذا الموتى بكل زائر مؤمن .. فكيف إذا كنت زائرًا يُكرم بزيارته أهل المقبرة؟!

وكم يحيي الإنسان جدية التفكير لهذه الرحلة وقربها، وبالإعداد لها قبل الرحيل؟!

أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ؟ لَهُمْ زَادٌ، وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ!

إنه النداء القوي العظيم العالي الذي يبلغ أعماق النفس أن الرحيل يا هذا قريب.



النجدة لأهل المقابر
في الثلث الأخير من الليل

الحديث الثامن:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى من رسول الله ﷺ: صلاة الليل ودعاء الليل لهم: كم يذكِّر الشيء بنظيره، كم يتذكر قائم الليل على وجه الخصوص الراحلين في قبورهم، هكذا هي الظلمة فوق الأرض تذكِّر بالظلمة تحت الأرض، والظلمة فوق الأرض توشك أن تزول بالصبح إذ يتنفَّس بُعَيْد قليل فيطلع الفجر، فعسى أن تشرق القبور على أهلها بصلاة الليل .. فكانت زيارة النبي ﷺ لهم ... إلى البقيع، والرجاء بالله أن يشرق عليهم القبور نورًا، وحبورًا، وسرورًا، وسعة وفسحة، وخضرة، ونضرة .. والله على كل شيء قدير، وهو أرحم الراحمين، وما كان مجيء النبي ﷺ إليهم في الظلمة لتبقى الظلمة مكلكلة عليهم في قبورهم .. بل ليزيحها - بإذن الله - وهو النور المبين، وهو الشاهد البشير، وهو القمر المنير؛ قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦].

(١) رواه مسلم (٩٧٤).

الدعوة الثانية عظمة السلام عليهم: والمسلم التقي لا ينبغي له أن يحقر نفسه، ولا يحقر عمله، ولا يحقِّر دعاءه، أو سلامه على هؤلاء، أو يحقِّر زيارته ومفعولها عليهم، فالله ﷻ لا يرضى بذلك التحقير، ولهذا صح في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْـمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(١)]، والدعاء الصادق من أعظم المعروف، فأنت تلقى أهل هذه الديار أول ما تلقاهم بتحية السلام، ولا شك أن في السلام على أهل المقابر خيرًا عظيمًا لهم، ففيه السلام، وأعظم ما يحتاجونه هو السلام، والرحمة، والبركة .. فبمجرد الزيارة مع السلام والمرء إذ يسلم عليهم ينشد الله بما في هذا السلام أن يجعله حظهم ونصيبهم، ولنوقن أن الله سبحانه وتعالى ما شرع السلام هنا إلا ليعطي ما فيه لمَن سلم عليهم .. ثم إن فيه حسنات للمسلم، وحسنات لمَن سُلِّم عليه؛ فلقد صحَّ في ذلك قول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْـمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عليه السلام**»[(٢)].

واستمع ثانية وتدبر في قول النبي ﷺ هذا، وهل ستجد فيه مجالًا لأن تظن أن هؤلاء لا يسمعوننا، أو لا يفهمون ما نقول لهم وما نخاطبهم به، والرسول ﷺ يحدِّثهم بكل هذا الحديث، ويخبرهم بهذا الإخبار: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**».

حقًّا إنه رحمة مهداة؛ فلقد عمَّهم بالدعاء لهم بالمغفرة، ولم يستثنِ أحدًا.

ألا ما أحنَّ رسول الله ﷺ على أهل المقابر .. ما أعظم رأفته ومعرفته بأحوالهم حتى يتفقَّدهم عند ربه آخر الليل، ويناشد فيهم الله ﷻ خاصة في آخر الليل، ثم إنها ليست ليلة ولا ليلتين، إنما كل ليلة لعائشة رضي الله عنها، هكذا إلى أن جاءه الأجل ﷺ، ورحل ﷺ، وحين رحل ما كان غريبًا عليهم أبدًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستذكار (١/ ١٨٥)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٧٣).

ثم تدبَّر حرصه ﷺ عليهم، وعلى مغفرة الله لهم، وعلى إجابة دعائه فيهم، إذ اختار لنفسه وللأحياء سائر الليل والنهار، واختار لأهل البقيع آخر الليل الثلث الأخير من الليل، وما أدراك ما الثلث الأخير؟!

وهنا في هذا الحديث سؤال مهم في موضوعنا هذا، وذلك أول الحديث قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ**.

الدعوة الثالثة: الإحسان في توقيت الزيارة والدعاء:

إن النبي ﷺ ما اختار هذا التوقيت إلا لأمور عظيمة لا نعلمها، ولكن مما يتبدَّى لنا منها - والله أعلم -: هو أن لذة الحياة أيًّا كانت ما تركها رسول الله ﷺ تأخذ قلبه ﷺ، وما كانت تأسره، ولا تستغرق همه .. مع أنه ﷺ هو مَن قال: «**إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[1]، ولا يخفى أبدًا أن عائشة رضي الله عنها كانت البكر الوحيدة من بين زوجاته ﷺ، كما كانت أحب النساء إليه؛ كما في الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**»، فَعَدَّ رِجَالًا[2].

وهي الصغرى رضي الله عنها، وهي الأعلم بينهن، وهي مَن أراها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بخرقة من حرير فيها صورتها؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُرِيتُكِ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُ الْمَلَكَ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ، ثُمَّ أُرِيتُكِ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقُلْتُ: اكْشِفْ، فَكَشَفَ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ**

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٤٥٤) واللفظ له، والنسائي (٣٩٣٩)، وأحمد (١٤٠٦٩) باختلاف يسير، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢).

يُمْضِهِ»(١)، وهي المبلِّغة الأولى لرسالته ﷺ من بين نساء العالمين؛ كما قال ﷺ: «**وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(٢).

ومع هذا ما كان يكمل ليلته عند عائشة رضي الله عنها حيث يتوجَّه من ألذ لذةٍ عنده في الدنيا إلى أهل البقيع، أشد الناس حاجة له ولدعائه ولبقية ليلته .. أشد الناس حاجة للذة الأبدية والتعليم المقيم .. فمَن لم يستطع زيارتهم في الثلث الأخير فلا ينسَ خالص الدعاء وضراوته في آخر الليل ... زيارة له ﷺ لا تتخلَّف، وسُنَّة لا تنقطع، ووفاء لا خُلْف فيه أبدًا .. فكم أخذ أهل المقابر قلبه ﷺ وهمَّه وتفكيره ﷺ ..

ثم إنه ﷺ قد بقي على هذه السُّنَّة طوال حياته حتى كانت الزيارة الأخيرة إلى البقيع حيث الوداع العظيم والدعاء الطويل، ثم العودة إلى بيت عائشة رضي الله عنها؛ فَعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَانْطَلِقْ مَعِي**»، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى**»، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عز وجل وَالْجَنَّةِ**»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ. قَالَ: «**لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ**»، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللهُ عز وجل فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا

(١) رواه البخاري (٧٠١٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٨).
(٢) رواه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١).
(٣) رواه أحمد (١٥٩٩٧)، والدارمي (٧٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح.

أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهْ. قَالَ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ**»، ثم قَالَ: «**مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ**»، قُلْتُ: لَكِنِّي - أَوْ: لَكَأَنِّي - بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ. قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ»(١).

فسبحان الله لقد جعل الله ﷻ وداع أهل البقيع مشهودًا للأولين والآخرين وللعالمين أجمعين؛ إذ أيقظ النبي ﷺ أبا مويهبة وأخذه معه .. فما كان منه إلا أن رواه لنا من جوف تلك الليلة .. من البقيع إلى البيت الذي كان يزور البقيع منه ﷺ.

الدعوة الرابعة: تفقَّد مقبرة منطقتك، وسلِّم وساهم:

إن هذا الحديث دعوة من رسول الله ﷺ أن يتفقَّد المسلم مَن في **مقبرة أهل بلدته**، ومَن مات فيها من آباء، وأبناء، وإخوة، وأخوات، وأصحاب .. وأن يناديهم، وإن لم يسمع الجواب؛ فإنهم قد سمعوا النداء وانتبهوا للزائر .. ذلك أن ليس مَن لم يزر عندهم كمَن تعاهدهم بالزيارة، وليس خطاب النبي ﷺ «**يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ**» خطابًا عائمًا في الفضاء، أو خطابًا لنا نحن الأحياء، بل خطاب محدد لمَن سمع الخطاب وأجاب، وأعيانا سماع الجواب، وماذا يعنينا إذا لم يكتب الله لنا سماع الجواب.

صناعة سنة جارية من أهل المقابر: إن هذه الزيارة فيها صدقة جارية لك، فليست الصدقة هي المال وحده، ولا الصدقة الجارية الوقف وحده .. فإن الدعوة المعتادة يرفعها الحي إلى الله يناشد بها ربه في أهل دينه لهي صدقة جارية له لأنه سنَّ سنة حسنة في حقه وفي حق مَن يقتدي به ويسير عليها، ولأن فيها إحياء سنة حسنة من سنن الرسول ﷺ، كما أن مفعولها العظيم في أهل المقابر لا يعرفه إلا الله ﷻ .. وهو باقٍ إلى يوم القيامة، والصدقة باقية ما بقي نفعها وأثرها، ومنه حديث: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ**

(١) رواه أحمد (٢٥٩٠٨)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١)، وهذه الدعوة التي دعاها الحي للميت كان لها أثرها إلى يوم القيامة على شخص واحد، أو على أكثر، أو على أهل الذين زارهم .. لأن أصل الزيارة للجميع، فالنفع للجميع، وعادة ما يكون اختصاصها أكثر نحو والدين وأهل وأحبة .. فما يعطيه الله لا ينقطع .. والأجر للداعي إلى الأبد - بإذن الله -.

الدعوة الخامسة: دعوة لتعظيم الزيارة: إنها دعوة من رسول الله ﷺ: أنه لا يُغني عن زيارتهم الفعلية شيء مع الدعاء لهم وأنت في دورهم، ولذا كان يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. السلام عليكم أهل القبور، ومع أن النبي ﷺ يدعو لهم كثيرًا وهو في بيته، وهو في مسجده، وفي صلاته، وفي خطبته، وفي ليله، وفي نهاره .. فإنه لم يكتفِ بذلك، لأنه ﷺ لا يريد إسقاط حقهم هذا، بل الأمر عنده أكبر وأعظم، هو أمر علاقة لم يقطعها الموت، بل زادها، هو أمر الوفاء الذي يراعي ﷺ ودَّه ووداده، أَمْر الزيارة بالروح والبدن معًا، أَمْر السلام عليهم من داخل ديارهم ومنازلهم، أَمْر تذكر الآخرة .. وما أدراك ما عظمة تذكر الآخرة .. من خلال أهلنا ومعارفنا الذين كانوا حقيقة عندها، إنه أمر الدعاء لهم في موقعهم، أمر الصلة المباشرة معهم حسب ما شرعه الله ﷻ، أمر المشي إلى مكان بأرجلنا إلى يوم سَيُؤتى بنا نحمل إليها حملًا على الأعناق، لكننا لسنا بغرباء، بل ألفنا المجيء إليه بأرجلنا، وألفنا أصحابها وألفونا، إنه أمر الشهادة لنا يقدِّمها أهل البرزخ عند ربهم فتسبقنا شهادتهم من عالم الصدق، وعالم الخلاص، وعالم الغيب .. والله يبارك في ذلك وفيها ما لا يمكن أن يدرك بالدعاء عن بُعد.

فلتكن الزيارة مرة كل تسعة أيام، أو سبعة، أو كل شهر مرتبة محددة لا تتخلف ... إذا فاتتك عوضتها سريعًا لأنك اتخذتها ديمة، وكان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الديمة، فتفقد زيارة مَن يفتقدك لو لم تزره؛ فهي العلاقة المنقذة والنافعة والرافعة للدرجات .. لمن لم يتفقدهم ولا يأبه لهم في هذا الزمان وهم الكثير من الناس.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

النجدة للأحياء منهم والأموات

الحديث التاسع:

قال النبي ﷺ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى هذا الدعاء صدقة جارية بذاته: الله .. الله فما أعظم هذا الدعاء بكل ما فيه؛ كلماته الكريمة .. معانيه العظيمة .. أعماله الصالحة .. رجاله ونسائه الكرام، الداعي ﷺ ومَن دعا له: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**»، وأبعاده الزمنية الباقية، بل الخالدة «**اللهم اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ**».

لقد كنت أحسب إلى فترة قريبة - عفا الله عني وعنكم - أن الزيادة الأخيرة ليست حديثًا عن رسول الله ﷺ كما عرفت ذلك من بعض أهل العلم! عفا الله عنا وعنهم، وقد نصحت بعض الخطباء بترك الدعاء زعمًا أن فيه قصورًا عن بلوغ القادمين من المؤمنين؛ فالقادمون غير داخلين في الدعاء لأنه مقتصر على الأحياء الآن، وعلى مَن سبقهم من الأموات! وكنت أقول لهم: خذوا بدعاء نوح عليه السلام الذي لم يقيد؛ فقال ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨]، وليس فيه: [الأحياء منهم والأموات] !

---

(١) قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٠٢٢).

والآن أقول: ودعاء نوح عليه السلام لا شك دعاء عظيم .. وليس بعد قول الله قول، إلا أن الجواب هو أنَّ هذا دعاء تَرَكَهُ الرسول ﷺ إرثًا لأمته .. فكل الأمة في جميع العصور، وعلى جميع المنابر تدعو بهذا الدعاء؛ فهو منذ الابتداء لا يزال سُنَّة ماضية في هذه الأمة إلى التابعين، ومَن بعدهم، وهكذا .. إلى القادمين من بعد القرون الأولى، إلى أن وصل الأمر لنا، وهو أمانة تحملها الأمة دعاءً لربها سبحانه يشفع بعضها لبعض .. ويشهد بعضها لبعض .. وهكذا يبقى هذا التعاضد في الشفاعة بين جموع الأمة وأجيالها يتبع بعضها بعضًا إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها؛ فرسول الله ﷺ أعلم بما ترك ..

فهل رأينا إلى أي مدى بَلَغَ حِرْص النبي ﷺ على أمواتِ الأمة كما هم وأحيائها سواءً بسواء .. لا تنسيهم الأيام، ولا الأزمان، ولا الحوادث، ولا الأحداث، وكأنه ﷺ بهذا الدعاء موجود معنا كما كان موجودًا في أول عصرٍ في هذه الأمة، ثم الذي بعده وبعده بهذا الدعاء وأمثاله .. ثم يبقى ويبقى إلى يوم القيامة، فالأحياء من أول الأيام يدعون لمَن مات في أيامهم، ومَن بعدهم يدعون لمَن كان يدعو لهم ومات، وهكذا الذين بعدهم إلى هذا اليوم إلى آخر مؤمن على هذه الأرض.

ولا يقولن جيل إذا كنا نحن سوف ندعو الله لجيلنا، ولـمَن سبقونا بالإيمان .. فمَن لـمَن بعدنا؟ **فإن الجواب**: لهم سيد الخلق رسول الله ﷺ .. فقد ترك هذا الدعاء صدقة جارية وسُنَّة سارية لن ينقطع، ولن يُقطع أبدًا، وقد أصبح آية في واقع هذه الأمة يحمل بعضها بعضًا إلى قيام الساعة .. وحامل الجميع رسول الله ﷺ وولينا جميعًا رب العالمين سبحانه يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن لهذا الحديث من الأبعاد العلمية الملزمة لكل مَن دعا به .. ورسول الله ﷺ يفهمنا ويدعونا دعوات عملية ..

الدعوة الثانية: التغافر بيننا: إنها دعوة أن يغفر المسلم لجميع إخوانه المسلمين والمسلمات، وعلى الأخص مَنْ بينه وبينهم خصومة أو اختلاف، وعلى أشد الخصوص أن يكون من بينه وبينهم خلاف قد مات صاحبه أو ماتت صاحبته، وأخص من ذلك أرحامه وأخصهم أن يكون عاقًّا لوالديه رحمهما الله أو أحدهما، فلا يليق بمسلم أن يمنع أو يبخل بالمسامحة والمغفرة عن أخيه أو اخته وهو يدعو ويؤمِّن على «**اللهم اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ**»، ثم هو بعد الدعاء لا يفعل ذلك مع المسلمين والمسلمات والأحياء منهم والأموات.

الدعوة الثالثة ، ورِّث سُنَّة: نورِّث للأجيال سُنَّة حَسَنَة كما ورَّث رسول الله ﷺ هذه السنة الحسنة للأمة كلها، وعلى أقل تقدير ورِّث أرحامك سنة حسنة تبقى لك ... وإن الإنسان ليستحي أن يذهب يزور أرحامه في قبورهم أو أصحابه ويدعو لهم بالمغفرة وهو لم يَغْفِر لهم ما أخطأوا في حقه أو في حق أسرته ويسامحهم، بينما هو يدعو للمسلمين والمسلمات عامة.

بل البعض يورِّث لأبنائه سيئات له جارية؛ يروي لهم الخصومات التي وقعت بينه وبين إخوته، وهم أعمامه، فيفهمون أنها ما زالت .. ويفسرون أبسط الخلافات التي تحدث بين الفينة والأخرى على أنها مرتبطة بالخصومات أيام الصغر، فتتراكب القصص أحقادًا وغلًّا، وربما الأب يقول: أنا مسامح، والأبناء يفهمونه على أنه لا يفهم حقيقة إخوانه (أعمامهم) .. وإذا لم يحسن الأب استثمار مثل هذه القصص

وحُسن توجيهها وإخراج وساوس الشيطان من نفوس الأبناء وتطهيرها منها .. فلا ينبغي أن يوردها أساسًا .. وهذا أمر ينبغي الحذر منه وضبطه قبل أن يتحول سُنَّة تورث .. فإن الشيطان رضي بالتحارش والتحريش - نعوذ بالله منه -، ولعل إغلاق باب السيئات أولى من فتح باب الحسنات، والأحسن هو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٠٤].

الدعوة الرابعة: دعوة لجميع المؤمنين والمؤمنات: فهذا الدعاء ليس قاصرًا على المؤمنين والمؤمنات من أمة محمد ﷺ .. بل هو دعاء لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام ودعاء لـمَن آمن به ممن عرفنا منهم ومَن لم نعرف ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [غافر: ٧٨]، وماذا يعني إن عرفنا أو لم نعرف، فإن الله يعرفهم، والله نعم المولى ونعم الوكيل عنا وعنهم في إيصال مغفرته ورحمته إليهم ... وهذا حق علينا لأننا الأمة الخاتمة كما أدَّاه رسول الله ﷺ لإخوانه الأنبياء ولأممهم ذلك أننا جميعًا مؤمنون ... عبادٌ لله وحده لا شريك له، والدعاء لهم كما أنه أقل حق إلا أنه أعظم حق في نفس الوقت، وربنا ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فقولهم في دعائهم: ﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ لا يقتصر على المؤمنين من أمة محمد ﷺ، إنما هو لكل المؤمنين في هذه الدنيا من ذرية آدم عليه السلام.

الدعوة الخامسة: عظمة الدعاء للمسلمين والمسلمات: إذ يربطهما النبي ﷺ بمَن لا يُنسى أبدًا وهما الوالدان؛ فقال الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، ثم دعا بهذا الدعاء للمسلمين والمسلمات وجمع لهم

وللمؤمنين والمؤمنات ليشمل جميع المقامات ما دام المرء داخلًا في الإسلام ولو بـ [لا إله إلا الله] وحدها .. فلقد ربطهم النبي ﷺ برباط واحد في كلمات معدودة، وكأن هذا الجمع الذي لا يحصيه إلا الله في بيت واحد وسور واحد وأب وأم واحدة .. فهو دعا للوالدين ودعا لأولادهما جميعًا.

ولا أدري ماذا سيقول المعترض بعد دعاء النبي ﷺ .. هل أجاب الله دعاءه ﷺ في والديه ﷺ، أم ثَمَّ مخرج لهم لإدخال العذاب عليهما رحمهما الله وغفر لهما .. فما من حديث قيل في عذابهما إلا وفيه تأويلات وتأويلات .. كيف وقد صح هذا الحديث.

الدعوة السادسة: دعاء النبي ﷺ لوالديه:

فلقد جمع النبي ﷺ الدعاء لوالديه بأعظم ما يكون، وأرق ما يكون، وأعلى ما يكون حين خصَّ والديه بهذه الدعوة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**»، فهذا أعظم دعاء، لأنه من الدعاء بالقرآن، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ**»(١)، ومن صور سؤال الله به هو دعاؤه به، فما رفع العباد إلى الله مثل كلام الله، كما قال النبي ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللهُ**(٢) **لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا، وَإِنَّ الْبِرَّ لَيُذَرُّ**(٣) **عَلَى رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ، وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ**»(٤) يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٩٩٦)، وأحمد (١٩٨٨٥)، والطبراني في الكبير (٣٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٢٩)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) ما أذن الله: ما أصغى وما استمع.

(٣) إن البرَّ ليُذَرُّ: على بناء المفعول، والذَّرُّ: مصدر ذررْتُ، وهو أخذُك الشيء بأطراف أصابعك، ثم نَثْرُه على الشيء؛ كَذَرِّك المِلْحَ المسحوق على الطعام.

(٤) رواه الترمذي (٢٩١١)، وأحمد (٢٢٣٠٦)، والطبراني في الكبير (٧٦٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وقال الدكتور إبراهيم عيسى في كتابه فضائل سور القرآن الكريم: ضعيف.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ**» - يَعْنِي الْقُرْآنَ (١).

هذا الاختصاص الأول للوالدين، أما الاختصاص الثاني: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فهو ﷺ في هذا الدعاء أمره الله بقوله فقال له في أوله: وَقُل فاستجاب رسول الله ﷺ مباشرة لأمر ربه، وهو أعلم الناس أن الله لا يخلف الميعاد، فالاستجابة بالاستجابة ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١].

والاختصاص الثالث: هذا الدعاء نفسه الذي لا يوجد مثله طلب ولا توجد صورة في الحياة أعلى وأرق منه وأعظم من بشرٍ لبشر، فقال: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**»، نعم هكذا هو التعيين والتحديد «**كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**»، فلا مؤاخذة عند الوالدين على صغيرهما أبدًا .. أيًّا كان الفعل .. وهي بالنسبة لرسول الله ﷺ عند ربه شيء آخر .. فهو يقول لربه: يا رب هذان اللذان ما كافأتهما أنا أبدًا، ولم أتمكن من برِّهما في حياتي أبدًا .. ولهما في عنقي منة خالصة لا تشوب رحمتها بي شائبة أبدًا .. يا رب أنت كفيلي في هذا وأنت وكيلي .. فحسبي أنت سبحانك.

إن لكل إنسان قصته مع آيات الله يستثمرها إذ هو يرفعها دعاءً إلى الله، وقصة رسول الله ﷺ لا تخفى على أحد .. فإن قال قائل: توفى والده وهو في بطن أمه؛ فكيف يدخل بينهما وتوفيت أمه وعمره ست سنين؟ فالجواب: هكذا جاء الدعاء وكان رسول الله ﷺ أعلم بالدعاء، وهما اثنان فلا يشق منا أحد، والدعاء جاء للاثنين، ثم إنه ما أسهل الإجابة على شبهات من اشتبه عليه الأمر بفهمه بعض الأحاديث، وما أسهل الإجابة عليها .. وكلها تحتمل هذه الدعوة وأمثالها قاطعة، ثم إنها جاءت كالتعزية عن مَن مات والداه في الجاهلية، فلا يقال: وماذا عن والديك يا رسول الله؟!

والاختصاص الرابع: هو أن رسول الله ﷺ وهو أعلم بغَيْرة ربه وأعلم بما يحب ربه

---

(١) رواه الحكام (٢٠٣٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

سبحانه وما يكرهه، وأنه سبحانه يكره التفريق بين مجتمعين .. فلقد ضمن رسول الله ﷺ أن ربه سبحانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. فربط ما ليس مضمونًا بالمضمون وفضل مقدم وسابق، ورحمة الله سابقة، ولهذا ربط الوالدين معه في المغفرة، وجعل المغفرة واحدة لاثنين؛ قال: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**»، وما قال: [رب اغفر لي واغفر لوالدي]، فلم يفصلها حتى يذكر المغفرة، والله ﷻ لا يفرق بين ما جمعه رسوله ﷺ .. ولم ينهه عن هذا الدعاء، وما قال له: هذا لأمتك من دونك وليس لك .. حاشا الله ﷻ ذلك.

الدعوة السابعة: لا تستعظم ذنبًا بجوار رحمة الله: في هذه الدعوة من رسول الله ﷺ وتخصيصها لنفسه بالضمير المفرد له ولوالديه أولًا لأعظم دعوة للولد أن يدعو لوالديه ولا يستعظم ذنبهما وإن كانا مذنبين بأي ذنب .. وعليه أن يؤدي الواجب الذي عليه محسنًا الظن بربه .. فإن رسول الله ﷺ قد دعا لوالديه وقد ماتا قبل الإسلام؛ فكيف لا تدعو لوالديك وقد ماتا في الإسلام؟!



إجراء الأجور بعد الموت

الحديث العاشر: الدعوة الأولى من رسول الله ﷺ لنا وبعد مماته حتى نترك:

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْـمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: الاحتياط في المصير:

هذا الحديث دعوة لنا – نحن الأحياء – جميعًا إلى أن نحتاط لأنفسنا من الآن إلى الحياة السعيدة في البرزخ، وذلك لارتباط حياة البرزخ في هذه الحياة أعظم الارتباط، وأن لا يغادر أحدنا هذه الدار حتى يكون عنده رصيد حياته في البرزخ، ويكون معه عملٌ باقٍ في هذه الحياة يُغَذِّيه ويحميه هناك حتى دخول الجنة.

فإن النبي ﷺ قد قال: «فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ».

الدعوة الثانية من رسول الله ﷺ لنا: اختيار أنفع الأعمال وأبقاها:

وفي هذا الحديث دعوة لنا من رسولنا ﷺ أن نختار لأنفسنا من الأعمال أصلحها وأنفعها وأبقاها .. وليس مِنْ عمل مثل العمل الصالح المتوارث في الإنسان نفسه، فهذا الذي إذا باركه الله عز وجل بقي ما بقي النفع في الإنسان، لأنه مرتبط بحياة الإنسان كإنسان وليس كفردٍ، ولا بحياة العامل نفسه .. بل ارتباطه في الحياة المتواصلة.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٦٨) رقم (٧٧٢): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ، وقال الألباني: حسن صحيح.

وأعظم شاهد على هذا هو سُنَّة رسول الله ﷺ نفسها .. فإنها الباقية إلى هذا اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، لهذا جاء الربط اللازم والملازم ما بين سنته ﷺ والسُّنَّة الوارد ذكرها في هذا الحديث هو لفظ السُّنَّة نفسه .. وكل سُنَّة حسنة في أي جانب من جوانب الحياة ونفع الناس إنما هي من هدي رسول الله ﷺ.

الدعوة الثالثة من رسول الله ﷺ لنا: الأوسع نفعًا:

إن في هذا الحديث دعوة من رسول الله ﷺ لنا أن نحرص أعظم الحرص على عمل واسع النفع، ويتسع ما مرَّت الأيام وما بقيت، وهو لا يزال في اتساع .. فالآن بمقدورنا، وغدًا لا قدرة، ولا إرادة، ولا تقديم، ولا تأخير، فقد رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف، وما بقي إلا ما قدَّمنا ..

فمَن وُفِّقَ إلى صناعة إمام في العالمين كفالة ورعاية بعلمه، أو بماله، أو بجاهه، أو بمركز يصنع هؤلاء الأئمة ولو كانوا قِلَّة .. فالإمام الواحد الحق بين الناس كافٍ .. فكيف لو كانوا أكثر من ذلك، ولأكثر من قُطرٍ من أقطار هذه الأرض؟!

الدعوة الرابعة: فهنا الدعوة الرابعة من رسول الله ﷺ لنا: وهي أن نستودع الله أوقافنا:

هي أن نستودع الله ﷻ كل عمل صالح متعدٍّ نفعه، نستودع الله حفظه للعالمين ما بقيت الدنيا إلى يوم الدين .. كيف ورسول الله ﷺ هو مَن استودع الله أمته كلها .. واستودع الله كل فردٍ من أفراد أمته ﷺ فقال كما ورد في التحذير من خطر الدَّجَّال: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، ثم هو ﷺ مَن علَّمنا ذلك بشكل مطلق فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»(٢)، والإنسان لا يستودع الله إلا أغلى ما عنده؛ ولهذا كثيرًا ما تستودع الأمهات المؤمنات أبناءهن من الأبناء والبنات .. فلنجعل

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٧٧) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٥٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢٦٩)، وصححه الألباني.

العمل الصالح الباق وديعة عند أرحم الراحمين ﷻ لنحصد أجره أول ما نحصد في هذه الدنيا ونحن أحياء .. ويكون الحصاد الأول بعد الرحيل في حياة البرزخ إلى يوم يبعثون .. بلا انقطاع أبدًا .. فهذا نوع من الرباط .. إنه رباط العمل، وإن لم يمت صاحبه مرابطًا فالجامع هو البقاء .. فلقد أجرى أجر المرابط على نيته وهو ليس بمجاهد إنما هو قائم ينتظر، وحارس يسهر على أمته ومات وهو على ذلك .. فقال ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْـمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)؛ هذا وقد انقطع عمل المرابط فعليًّا بموته فإن رباطه الشخصي انتهي فعليًّا .. فكيف بمن أبقى عملًا باق دائمًا دائمًا وأبدًا؟

فاللهم إنا استودعناك أهلنا وأرحامنا ومن علَّمنا ومن تعلم منا وما كتبنا وما دعونا له كتابة وكلامًا وعملًا .. واستودعناك أمة محمد ﷺ فلا شيء عندنا في الخلق أغلى والله من أمة نبيك محمد ﷺ.

الدعوة الخامسة من رسول الله ﷺ: الدعوة إلى الاكتشافات النافعة في هذه الحياة:

ونحن حين ننظر في هذا الجانب نجد أن المسلمين فقهوا حقًّا عن رسول الله ﷺ هذا الأمر، ولذلك أنشأوا سننًا لم تكن معروفة لمَن قبلهم من الأمم، وسننًا أخرى لم تكن معروفة عند العرب .. وسواء هذه السنن أو تلك فهي كثيرة يصعب حصرها، ويكفي في الخلفاء أن أذكر منها السنن التي سَنَّها الفاروق في خلافته وهي كثيرة، وكل سنة منها لأمة وليست لفرد فحسب، وأغلب هذه السنن لم تُعرف في الأمم من قبل، ومن سنن عمر رضي الله عنه:

أولًا: إنشاء دواوين الدولة: ومنها ديوان الجند.

ثانيًا: تأسيس بيت المال.

ومنها: إنشاء التاريخ الهجري.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦٨) رقم (٧٧٢): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ. وقال الألباني: حسن صحيح.

ومنها: اتخاذ دار القضاء.

ومنها: تسجيل الأراضي المفتوحة باسم الدولة فلم يعطها للفاتحين: ولم يقسم عمر رضي الله عنه أرض السواد؛ وهي أرض العراق على الفاتحين، بل جعلها وقفًا على المسلمين.

ومنها: فرض العطاء لجميع الرعية: جعل لكل مسلم مرتبًا في العطاء، ولم ينتظره حتى يسأل أو يحتاج.

ومنها: الضرب في الخمر ثمانين جلدة، بعدما كانت في عهد النبي ﷺ أربعين جلدة.

ومنها: توسعة المسجد النبوي وتوسعة المسجد الحرام: وكان ذلك سبقًا لم يسبق له قبل عمر.

ومنها: تنظيم القضاء.

ومنها: إفراد القضاء عن الولاية.

ومنها: وضع ضوابط شديدة على القضاة: كمنعهم من التجارة، ومحاسبتهم الدقيقة.

ومنها: أنه أول من وضع نظام العرفاء، وذلك لمتابعة أحوال الناس داخل القبائل، والعرفاء للناس وليس على الناس.

ومنها: أنه أول مَن صلى صلاة التراويح جماعة في رمضان كله، وجمع الناس على إمام واحد.

ومنها: أنه أول مَن مصَّر الأمصار وأولها البصرة، والكوفة، والفسطاط، وحِمْص.

ومنها: تقسيم الدولة إلى ولايات منتظمة.

ومنها: رفع الجزية عن غير القادرين من أهل الذمة.

ومنها: إجلاء اليهود من جزيرة العرب.

ومنها: أنه أول مَن نظم الحِسبة في الأسواق.

ومنها: الاهتمام بالبنى التحتية: مثل حفر الآبار، وشق الأنهار، وإقامة الطرق، ومراكز الضيافة للمسافرين.

وهكذا أثبتت اكتشافات المسلمين في علوم الحياة أنهم أمة خلافة، ولأجل هذا الدين وأن ما صنعه رسول الله ﷺ أساسًا هو ما جعلهم يذهبون ينشئون سننًا حسنة في كل مناحي الحياة وعلوم الحياة .. ولم يقتصروا على العلوم الشرعية ... وكل هؤلاء العلماء الأفذاذ والمبتكرين الاختراعات العلمية العظيمة إنما هم من علماء في الشريعة .. حفظة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... وبقيت هذه الحياة حتى يومنا هذا قائمة في أسسها العلمية على ما أسسه المسلمون قبلهم بقرون .. وهذا أمرٌ قد انكشف باعترافات علماء الغرب أنفسهم ومنصفيهم على سرقات أسلافهم من ابتكارات للمسلمين كان قبل ولادتهم بسنين طويلة.

وسوف أذكر من تلك المراجع بعض السرقات وليس كلها:

أولًا: زعم الغربيون أن [وليم هارفي ميلا] هو أول مَن اكتشف الدورة الدموية الصغرى، بينما شرح ابن سينا الدورة الدموية، وبقيت تدرس لأكثر من ستمائة عام؛ فإن ابن سينا توفي ١٠٣٧م، بينما ولادة وليم هارفي كانت سنة ١٥٧٨م.

ثانيًا: كان أبو القاسم الزهراوي رحمه الله أول مَن استخدم أدوات الجراحة الحديثة: المشرط والمقص، المشارط الدقيقة، وأجرى عمليات الولادة القيصرية، وجراحة الأذن، وألَّف في هذا كتابه التصريف قبل أن تعرف ذلك أوروبا بقرون، وظل كتابه التصريف مرجعًا لأوروبا بقرون، وقد نسب الغربيون ذلك زورًا وبهتانًا لـ [وليم هارفي]، بينما الفارق بين وفاة الإمام الزهراوي هو ستمائة عام عن ولادة [وليم هارفي].

ثالثًا: ابن الهيثم: هو المؤسس الحقيقي لعلم البصريات الحديث، وهو مَن أثبت

أن الرؤية تتم بانعكاس الضوء من الجسم إلى العين، وهو مَن اخترع الكاميرا المظلمة، وأسس مبادئ علم العدسات .. وقد نسب الغرب لـ [ليوناردوا دافنشي] اختراع الكاميرا، والحقيقة أن ابن الهيثم وصفها تفصيلًا قبله بستة قرون.

رابعًا: نسب الغربيون علم التخدير، وأدوات التخدير لعلمائهم في القرن الثامن عشر، بينما المسلمون استخدموا التخدير قبلهم بقرون بالإسفنج المخدر قبل الجراحة.

خامسًا: نسب الغربيون اختراع علم الجبر لـ [لاموازييه] ولقبوه بأبو الكيمياء .. بينما المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء التجريبية هو جابر بن حيَّان، وهو أول مَن فصَّل الأحماض [الكبريت، النيتريك]، ووضع قواعد التقطير والتبلور، وما عرف الغرب ذلك إلا بعدما تُرجمت كتبه إلى اللاتينية؛ فالفارق ما بين جابر بن حيَّان يصل إلى تسعمائة وخمسين سنة.

سادسًا: **الخوارزمي**: مؤسس علم الجبر الحقيقي، واسم العلم باسمه [اللوكروتمات]، وهو أول مَن استخدم الصفر في الحساب، وهو واضع أسس الحساب العشري وكتابه [الجبر والمقابلة] موجود وشاهد على هذا، والفارق بينهما يزيد عن ثلاثمائة عام عن معرفة الغربيين له.

سابعًا: **البيروني**: أول مَن قال بدوران الأرض حول محورها .. وأول مَن حسب محيط الأرض بدقة فائقة.

ثامنًا: **ابن الشاطر**: ينسب الغربيون لـ [كوبر نيكوس] نظرية مركزية الشمس، مع أن ابن الشاطر سبقه بها بقرون .. والرسومات خير شاهد على هذا.

نعم ذِكْر هؤلاء الأئمة الأعلام ليس من فضول القول، ولا هو موضوع لا علاقة له بموضوعنا، بل هو في صلب موضوعنا، ومعين لنا على القيام بواجبنا نحوهم، وذلك أولًا برد حقوقهم فهم أعظم مَن ذهبوا ضحية الزور والتزوير والنكران والبهتان .. فأصبح الواجب علينا نحن أبناء هؤلاء الرجال والذين جئنا من بعدهم أن نردَّ الحق لهم ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقد بلغ الزور بهؤلاء بعض الجهلة من المسلمين أن يقولوا: أليس لمن اخترع هذه الأشياء الحق في دخول الجنة؟ وكان الواجب القول: ما حق الذي لبس ثوب زور .. ولم ينسب الحق إلى أهله .. ولم يقل: إنما أنا أكملت عليه ولم أبدع، والرسول ﷺ يقول: «**الْـمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(١)؛ فسبحان مَن جعل فضيحة هؤلاء على لسان بني قومهم .. وسبحان مَن أراد بهذه الدعاوي الكاذبة أن يخرجهم من دائرة الأجر، فقد أفسدوا ما أضافوا من تطوير بما فعلوه من كذب وتزوير.

فالواجب أن نترضَّى عن هؤلاء الأئمة، وأن نشركهم دائمًا في دعائنا، ونستحضرهم عند الدعاء في نياتنا والله أعلم بسرائرنا، وأن نستغفر لهم ونسأل الله لهم الرحمة، وأن يجعل أعمالهم حسنات جارية إلى يوم القيامة، ورباطًا يجري عليهم الأجور إلى يوم الدين، ومَن أخطأ منهم في عقيدته أو عمله .. فينبغي أن لا نشهِّر به وأن نستره ما استطعنا .. وأن نأخذ علمه ونترك باطله، والظن بذلك البعض أنهم تابوا مما نسب إليهم، ومع هذا فالأمر غير مقطوع به .. وما ثبت خطأه ثبت عندهم الصواب أضعافًا ..

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: مَا فَعَلَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ؟ قَالُوا: قَدْ مَاتَ. قَالَتْ: فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فَقَالُوا لَهَا: مَا لَكِ لَعَنْتِيهِ، ثُمَّ قُلْتِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ؟ قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»(٢).

وَعَنِ الْـمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ**»(٣).



(١) رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٣٨٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٢)، وأحمد (١٨٢٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



خير ما يخلّف الرجل بعد موته

الحديث الحادي عشر:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: دعوة الأولاد إلى الدخول: لقد فتح النبي ﷺ الأبواب للوصول إلى أهل البرزخ على مصاريعها فالرسول ﷺ قال **أولًا**: **خير ما يخلف**: وبهذا علمنا أنه ليس للحصر، وإنما هو البعض، وهو من أعظم الخير، أو من أصول الخير.

ثانيًا: دعوة لكل ولدٍ أن يحمل أباه هناك كما حمله هو، وكما حملته أمه وهنًا على وهن .. وهناك الضعف أشد وأشد كما أنه دعوة لكل أخ أن يحمل أخاه، ولكل صاحب وفيّ أن يمدَّ وفاءه إلى ما بعد الموت.

ثالثًا: دعوة له أن يكون ولدًا صالحًا: فما دام صالحًا فالأجر يجري .. فكيف إذا لازم الدعاء لوالده مع صلاحه، هذا أمر لا خيار للولد فيه؛ فليتخيل كيف إذا كان هو مكانه وقطعه أولاده هناك وانفردت ملائكة الحساب به ولا جديد ولا مدد.

الدعوة الثانية: دعوة أبناء الأمة الأحياء لإخوانهم الأموات:

فهي دعوة أن يفزع الجميع بكل صدقة: فلتجري الصدقات من الأحياء من جميع

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤١)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح.

الأحياء إذ لم يحدد النبي ﷺ المتصدق وإنما ذكر الصدقة فإنها بمجرد الصدقة تجري ويجري أجرها من أيٍّ كان من أمة محمد ﷺ؛ فأمة محمد ﷺ واحدة متحدة ومتعاضدة أحياءً وأمواتًا، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ويقول النبي ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١)، وأي خذلان أعظم من خذلانه وهو وحيد في الدار الآخرة، وقال ﷺ: «الْـمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢).

الدعوة الثالثة: دعوة لتفعيل العلم لنجدة أهل الآخرة:

دعوة لتخصيص العلم بالاهتمام؛ فلا شيء يجري مثل العلم .. فهنا لم يكن الوالد رحمه الله عالمًا .. ولم يكن مؤلفًا .. ولم يكن خطيبًا، إذًا فَلْأُجْرِ له اليوم أجور العلماء .. اليوم أُجري له ما للحفاظ.

دعوة من رسول الله ﷺ؛ إلى اختيار أي نوع خاص من العلم وهو الذي يعمل به ... العمل الذي يثمر في حياة الناس، وله آثار إيجابية في حياتهم .. العلم الذي يعلق خزائن الشر ويفتح خزائن الخير.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٧٣٤)، وأحمد (٩٩٣)، والحاكم (٢٦٢٣) بنحوه، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

وهنا دعوة عامة لأمة محمد ﷺ أن انهضوا وقوموا قومة رجل واحدٍ لإنقاذ إخوانكم ممن يحتاج إلى إنقاذ، وإسعاد ... مَن يحتاج إلى رفع درجات آخرين .. فما من أحدٍ هناك إلا وهو محتاج، وما من أحد إلا وهو ينتظر الخير منا فلا ينبغي أن نكون أقلَّ من الرجاء ... فإن رسول الله ﷺ حين ذكر: «**وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**» ليس المقصود تخصيص الولد دون سواه، كما أنه ليس تخصيص بالدعاء دون سواه، بل الولد هو الأول والأَولى، وإلا كيف عممها الله سبحانه على كل المؤمنين ممتدحًا إياهم بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فهو ليس خاصًّا بالولد وحده، إنما الولد هو الأول والأولى، وغير الولد إذا لم يعمل ربما لم يؤاخذ لغفلته .. أما الولد فما أعظم قبح غفلته عن أبيه! ولد ينسى أباه فمن لهذا الأب في قبره، وولد ينسى أباه وأمه فما قيمته! وأي غَيْرَة وكرامة ومكانة عند الله وعند رسوله ﷺ عنده! وأي قبول سيكتب له في الأرض إذ لم يكتب للوالدين بعد رحيلهما ذكر في قلبه، ولا نصيب في حياته وماله ...

والثالث: «**وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»: إنه فتح لباب الأعمال كلها أن تعمل من قبل الأصحاب والأقربين والأبعدين من المسلمين لجميع المسلمين والمسلمات .. حتى لو لم يكن الأب عالمًا فكفل ولده أو سواه من صحبه أو مَن لم يعرفه من الناس عالمًا فعلَّم العلم النافع، وحفَّظ كتاب الله الطلاب، وأنشأ لهم مركزًا عظيمًا، وجعل أجره لذاك الأب .. ألا يجري هذا الأجر بطبعه حتى يصل إلى قبره .. وكيف لا يصل والنبي ﷺ نسب الجريان للعمل فقال: «**تَجْرِي**»، وما غفل ولا نسي رسول الله ﷺ حين لم ينسب الجريان إلى الولد ولا إلى الوالد المرحوم نفسه، ولا إن كان الوالد عالمًا أو ليس بعالم.

ثم قال ﷺ: «**وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»؛ نعم ربما كان هو مَن عَلَّم هذا العلم وعمل

به مَن بعده، وربما كان هذا العلم أنشئ لأجله وإهداءً له من ولده .. أو من أبيه .. أو أمه بعد موته، أو من أي أحدٍ من المسلمين باسمه من ماله أو مال غيره .. وكان في صورة كفالة طالب فأصبح عالمًا عاملًا هاديًا مَهْديًّا .. فكيف لو علَّم هذا العلم طلابًا فأصبحوا علماء مثله وأحسن منه، وعلى هذا امتدت الشجرة رسوخًا في الأرض وعلوًّا في السماء ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وهكذا لو كان هذا عالمًا في علمٍ نافعٍ غير العلوم التخصصية في الشريعة، لكن كل هذا وذاك قد أصبح إمدادًا للحياة الصالحة في هذه الحياة؛ فكان إمدادًا لمن عملت له في تلك الحياة بحياةٍ صالحة سعيدة، وتكفيرًا له على ما سلف منه في هذه الحياة ..

حتى قوله ﷺ: «**وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**» ليس للحصر، وإلا كيف أوصى النبي ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه .. عندما قال له: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَقْيُ الْمَاءِ**»[١]، ثم هل لو حفر البئر لها أبوها لم يقبل .. أو حفرته أختها .. أو حفيدتها .. أو عمها .. أو أي أحدٍ من المسلمين بقرابة الإسلام لم يقبل؟! فهل الأصل في الطاعات والقربات التضييق؟! والعجب من هؤلاء فإن مَن لم يرد أن يعمل صالحًا في سبيل الله فكيف يقطع السبيل إلى الله ..؟ كيف يصبح المفتي يقعد قاطعًا للطريق لوصول الإمداد لأهل البرزخ!

الحديث الثاني عشر: «تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ»:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا، فَهُوَ يَدْعُو لَهُ»[٢].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٤٥٩)، والنسائي (٣٦٦٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه سعد بن عبادة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٢٤٧)، والطبراني في الكبير (٧٨٣١)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

دعوة رسول الله ﷺ الأولى: إجراء أنهار الأجور إلى القبور: ما رأيت كلمة تبعث الحياة في أهل المقابر والسعادة والهناء مثل كلمة قد أكدها النبي ﷺ في هذا الحديث ثلاث مرات بصيغ متنوعة **فقال مرة:** «**تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ**»، **وقال ثانية:** «**أُجْرِيَ لَهُ**»، **وقال ثالثة:** «**فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**»؛ إنه الجريان، وجريان المياه في هذه الحياة إنما هو ولادة الحياة وإقامة الحياة وبقاء الحياة وجريانها .. فعلى مجاري الأنهار والعيون تقوم القرى والمدن والبلاد، وهكذا هو الوصف الملازم للجَنَّة ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥] .. فمن هذه الحياة التي نحن فيها يفتح النبي ﷺ أبوابًا مشرعة تُبعث الأجور تجري إلى دار البرزخ، وهي تجري لتدفع، وتطفئ، وترفع، وتحيي، ومنها إلى الجنان لتتحول بفضل الله ورحمته إلى ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾.. فكم هو إجراء الأحياء من الباقيات الصالحات، والصدقات الجاريات من الآن حيث هم أحياء قبل أن تغلق صحائفهم بموتهم .. ويكفي لكل مقطوع في قبره عن هذه الحياة أنه لم يأخذ عدته ولا احتياطاته من الباقيات الصالحات، ويكفي لتذكِّره والإشفاق على حاله أنه مقطوع هناك، وأنه يودُّ أن يعود فيعمل أقل عمل وأسهل عمل صالح، ولو كان سجدة واحدة يسجدها لربه ثم يعود، ولذا فإنا مهما قلنا ونحن في هذه الحياة عن الانقطاع في تلك الحياة لا يمكن أن يبلغ الحقيقة، ولو كان ألف مجلَّدٍ ومجلّد لحظة واحدة في القبر عندما تكون تلك اللحظة هي الحقيقة .. فاللهم لطفك وفضلك وعفوك ومغفرتك ورحمتك ..

إن الرسول ﷺ لا يتوقف عند توصيف المسألة هنا لحظة إنما ينتقل إلى أعظم وأكبر ما يحتاجه أحدنا عند لحظة انتقاله، وقبل لحظة انتقاله .. وهو أن يكون أولًا قد أعدَّ لنفسه أنهارًا تجري .. أنهارًا قد أجريت هنا في هذه الحياة فعمَّرت حياة غير هذه الحياة بما لا يحصى ولا يقاس؛ نعم لا قياس ولا وسيلة للقياس بين الحياتين، وربنا سبحانه يقول: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

الدعوة الثانية: دعوة إلى الانتباه لمن رحلوا وعلى الصدقات الجاريات ما قدروا: أنه ﷺ قد لَفَتَ انتباهنا إلى أناس منا نحبهم ونجلُّهم، أو نعرفهم، وآخرين نعرفهم ونسيناهم، وآخرين لا نعرفهم وما أكثرهم .. قد ماتوا ولا شيء عندهم أَجْرَوه في الحياة، ولا خَلَف عندهم يجري لهم شيء، ومنهم مَن عندهم خلف، ولكنه ربما كان وجوده وعدمه سواء، وآخرين خلفهم يجري بالسيئات الجارية والعياذ بالله ... فمَن يصرخُ لأجل هؤلاء صرخةً توقظ الأحياء لمن بجوارنا في المنازل، إذ هم في هذه الحياة الدنيا وهم في حياة البرزخ ... **فالحمد لله أن رسول الله ﷺ لم يُحدد من أجرى الصدقات الجاريات** فقال ﷺ: «**أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ**»، فهو لم يحدد العامل وإن كان الأصل أنه هو من عمل لنفسه، لكن هذا لا يقتضي نفي غيره كالولد الصالح الذي عمل لوالديه عملًا جاريًا ووقفًا باقيًا فأهداه لهما قبل أن يموتا رحمهما الله، ووقف على بنائه إذ هو يبنيه، أو بعد انتهائه وهو يهديه لهما داعيًا لهما، أو وقف الوالدان على ولدهما، وعلى أمته أعظم وقف إذ وقف خليل الرحمن عليه السلام وابنه إسماعيل مناشدين ربه سبحانه مبتهلين: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

نعم أوقفاه بأمر ربهما سبحانه وتعالى لكنهما حدَّدا الموقوف له وهو رسول الله ﷺ، ولأمته، ولذا كان همه ﷺ ذلك الوقف؛ حتى قبل الرسالة، تطهيرًا له من الشرك والضلال، ويشاء الله أن يجعله هو مَن يضع أساسه الجديد الذي لم يتغير إلى هذا اليوم، ولقد بقي وجهه الكريم ﷺ يتقلَّب في السماء سائلًا ربه أن يجعل قبلته إليه، وإن لم يتمكن من تطهيره من الأصنام، وقد أعطاه الله ما يريد ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]،

وقد بقي بعد الهجرة ينتظر التمكن من فتح مكة فجاء الإذن بذلك، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] فدخلها ساجدًا شاكرًا .. رحيمًا عفوًّا كريمًا .. شاكرًا الله معظمًا لنعمة الله هذه .. ويا لها من نعمة .. فقد عاد الوقف إلى أحسن مما بني عليه أول مرة.

الدعوة الثالثة: أشرك مَن تشاء معك في الأجر الجاري:

فلنفهم: «**وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ**»: فالرسول ﷺ قد فتح مجاري الأنهار إلى البرزخ على مصاريعها، ولم يضيقها على عمل صاحبها وحده قبل الموت، ولم يضيقها على نوع من العمل مخصوص، ولم يحددها لوقت مخصوص .. فأجرها جارٍ ما جرت، وأجورها جارية وإن مات صاحبها مثل قوله: «**مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، وقد بينَّا أن أمثال المرابط ممن يجري لهم أجرهم إلى يوم القيامة كثيرون كما هو النص على المرابط في الحديث الأول وهو قوله: «**وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْـمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١]، فما بالك بمن أجرى رباطًا كاملًا في سبيل الله ومات ورباطه قائم من بعده وهكذا وهكذا .. فالفكر والإبداع في هذا الأمر ينبغي أن يفتح على مصاريعه، والأنهار ينبغي أن تجري [فَيضًا كَمُلتَطِمِ الفُراتِ الفائِضِ][٢]، ويجب أن تجري الأفهام لتجري الأجور أنهارًا بما سبق من أجور وما لم يسبق فتلك هي السنن الحسنة وما أدراك ما السنن الحسنة، وهنا يأتي قول النبي ﷺ: «**وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ**» فإن في هذا بشارة عظيمة لكل من عمل لنفسه أو عمل لغيره عملًا «**أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ**»، فإن رسول الله ﷺ قال: «**وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا**»؛ فالعمل هنا فكرة، لذا قال: «**عَمَلًا**»؛ فلم يحدد ﷺ عمل عملًا لمن؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) من قصيدة للإمام الشافعي رحمه الله مطلعها:

يا راكِبًا قِف بِالمُحَصَّبِ مِن مِنىً ... وَاهتِف بِقاعِدِ خَيفِها وَالناهِضِ
سَحَرًا إِذا فاضَ الحَجيجُ إِلى مِنىً ... فَيضًا كَمُلتَطِمِ الفُراتِ الفائِضِ

ربما عمله لنفسه، وربما لوالديه، وربما لولده، وهذا أعظم لأنه متعدٍّ للآخرين ويكون المعنى ومن عمل عملًا لنفسه أجري له أجرًا مثل عمله، ومن عمل عملًا أكبر منه أجري له أجرًا أكبر من عمله وهكذا، وكذلك من عمل عملًا لوالديه أُجري له أجرٌ مثلما وصل لوالديه، ثم إن هذا يكون قد جمع صدقتين جاريتين، وهو ولد صالح يدعو له وعمل صالح لوالديه وله مثل أجر عمله الذي هو لوالديه .. فالمَلَك الموكَّل في الدعاء يقول له: «**آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١)، وفي العمل يكون الجزاء عند الله بمستوى الإحسان لا المثل ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وربنا سبحانه يقول: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وهكذا من عمل لغير والديه عملًا صالحًا؛ كأن يعمل لأخيه، أو أخته، أو العكس، أو لصاحبه ورحمه، وأرحامه، وجيرانه، وأهل قريته، وما إلى ذلك، فكل ذلك لهم وله أجر عمله مثل أجورهم جميعًا هذا، لأنه هو مَن عمله «**وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ**»، فهل سمع السامعون أو رأى الناظرون دعوة للصدقات الجاريات والأعمال الباقيات المنقذات للأحياء قبل الموت، وللأموات مثل هذه الدعوة، هل سمع الوجود صرخة أعلى من هذه في الضمائر والنيات والمقاصد، للباقيات الصالحات ألا إنه رسول الله ﷺ أليس هو الصريخ المجير؟!

في قوله ﷺ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**» دعوة واضحة من رسول الله ﷺ إلى الصدقة الأوسع نفعًا، والأبقى أمدًا، وهي دعوة أكبر إلى أن تبقى الصدقة تجري ويستمر جريانها إلى أبعد حياة صاحبها إلى آخرة صاحبها بعد رحيله .. ومن باب أولى أن تجري لمن لم يجر له شيء من والدين أو جدين أو نحوهما أو أولاد ذهبوا في حياة أبيهم وهكذا جميع من نستطيع من المسلمين الراحلين.

فإن قول النبي ﷺ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**»: فأجرها له فهذا

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣).

هو الأصل والأول وهو أن يقدم الإنسان لنفسه وأن ينوي لنفسه ولو عمل أي عمل لكان الأصل أن يكون لنفسه، ولكن [فأجرها لغيره] إن هو نواها لغيره لقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(١)]، ولحديث: سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَقْيُ الْـمَاءِ**»[(٢)]، ثم إن قوله ﷺ: «**فَأَجْرُهَا لَهُ**» هذا تمليك «**لَهُ**»، وهو ما دام ملكها كان من حقه إهداؤها كما هو في حج النيابة، وعمرة النيابة، وصدقة النيابة، وما إلى ذلك .. فالمجال واسع، بل مفتوح.

فليجرِ من الأنهار الجاريات بالأجور بتعداد مقابر المسلمين أينما كانوا نجدة وإخاءً، ولكل قبرٍ جدول من جداول ذلك النهر، وليشارك في ذلك جميع أهل البلد الأحياء إهداءً لأهل البلد من الآباء والأمهات والأسلاف، والأجر لهم جارٍ ما انتفع بها الأحياء، والله أعلم كيف يجعلها بينهم وهو أرحم الراحمين ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢]، وإن قطرة الماء ربما ردَّت الروح لمَن كاد أن يموت عطشًا، وإن اللقمة تعيد الحياة، ولهذا أباح الله سبحانه وتعالى الميتة لمَن اضطر وخشي على نفسه الموت .. فَلْتقدَّم هذه الصدقات الجاريات، فإن الله عز وجل يتلقاها بيمينه وينميها لهم حتى تكون الحبة أعظم من الجبل، وتكون قطرة الماء نهرًا جاريًا.

إن هذه الشجرة من الصدقات الجاريات كما تمثِّل حياةً للأحياء فإنها تمثِّل حياة طيبة لمَن رحلوا سواءٌ مَن هم في كربٍ وشدة، أو مَن هم في نعيم.

كما أنهم يعرفون مَن قدَّم لهم، ومَن دعا، ومَن دفع، ومَن أشرف، ومَن حرث، ومَن حرس، ومَن غرس، ومَن نمَّى، ومَن حمى، ومَن حصد، ومَن أعاد، ومَن زاد ... والدليل على هذا هو سؤالهم عن الخير الذي يصلهم سواءٌ من قام به كان واحدًا أو

---

(١) رواه البخاري (١).

(٢) رواه أحمد (٢٢٤٥٩)، والنسائي (٣٦٦٤)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه سعد بن عبادة.

أكثر .. فرديًّا أو مشتركًا؛ فقد صحَّ في الحديث: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»(١)، والأصل في هذا هو أن يكون الولد حيًّا والوالد في قبره، فترفع للوالد الدرجة في نفس وقت استغفار الولد .. أي أن الأجر في الجنة والنعيم تصل إليه وهو في قبره، ولا يمنع أن يكون في الآخرة كذلك، ومَن أكرم من الله ﷻ؟!

وكم بين المسلمين من مقابر فإن بين المسلمين من بلادٍ فقيرة، وأحياء فقيرة، بل وبينهم مشرَّدين داخل بلدانهم ... أكثر بكثير من المقابر .. ولهذا فإن دعوة النبي ﷺ للصدقات الجارية لما بعد الموت، أو لمَن مات، إنما هي دعوة لإحياء هذه الحياة، ودعوته لتفريج كرب مَن في البرزخ مرتهنين أو محاسبين فهي دعوة لتفريج كربات الأحياء ... وهكذا هو شرع الله .. هكذا هو الكمال المطلق، وهكذا هو التوازن الذي لا يختل أبدًا، وهكذا هو الترابط الذي لا ينفصم أبدًا، وهكذا هو قوله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٦،٢٥]، وهكذا هي الشراكة .. وهكذا هو التعاون، وهكذا هو التكافل .. فكما تكفَّل الآباء بآبائهم فينبغي أن نتكفَّل نحن بآبائنا .. وكل ما يقال للأحياء في هذه الأبواب، فإنه من باب أَوْلى ما بيننا وبين مَن رحلوا، بل هم أَوْلى، وابتداء هذا الأمر في صلاة الجنازة، وإن شئت قلت: [صلاة الشفاعة] كما ورد .. والشفاعة لم ولن تنقطع بصلاة الجنازة، وهي مستمرة ما دام مسلم على ظهر هذه الأرض.

«**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**»: فلأننا فتنا بالفهم القاصر والصدقة القاصرة على أنفسنا، فقد تصورنا أن قوله ﷺ: «**فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**» بمعنى أن أجرها قاصر عليه لا يتعداه، لأن صدقته قاصرة عليه لا تتعداه، بينما رسول الله ﷺ ما قال

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) واللفظ له، وأحمد (١٠٦١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢١٠) رقم (١٧٥٩٥): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، وَقَدْ وُثِّقَ.

هذا، ولا أراد هذا ... بل الأصل هو الأعم والأوسع والأرحم، وهو الذي قال الله فيه سبحانه: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨] بجميع المؤمنين أحياءً وميتين فصَلَّى الله عليه وسَلَّم.

فإن قوله ﷺ: «**فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ**» حقيقة، لأنه هو مَن تصدَّق .. وهذا يعم لو عمل الصدقة لنفسه، أو عملها لوالديه، أو أهله، أو أموات قريته وبلده، أو عملها للمسلمين ... فإن هذا لا يمنع أن يكون الأجر له، بل يبقى الأصل «**فَأَجْرُهَا لَهُ**»، بل هو أعظم في أجره؛ لأنه وسع بنيته حين عملها، ورفع إلى ربه المقصودين بأجرها، أو وسع بدعائه المنتفعين بأجرها كما هو الدعاء؛ فإذا قال المسلم: «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**»(١)، «**فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: التَّحِيَّاتُ لِلهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا، أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(٢)، وفي رواية: «**أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(٣)، فهل حدَّد النبي ﷺ بلوغ هذا الفضل العظيم العميم على الأحياء في الأرض وحدهم؟! وهل حدَّدها بالإنس وحدهم عياذًا بالله من هذا التهجير .. لقد أجرى الله سبحانه هذا الفضل كما أطلقه المسلم، بل وعلى مدى لم يحسب له مخلوق حسابًا .. فاللهم لك الحمد، ولك الفضل، ولك الثناء الحسن.

وعلى هذا سار قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فهذا يشمل كل مَن سبقونا بالإيمان، لأنهم إخواننا .. وسيأتي معنا هذا بإذن الله مزيدًا على هذا عند

(١) رواه البخاري (٦٢٣٠)، ومسلم (٤٠٢).
(٢) رواه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢) باختلاف يسير.
(٣) رواه البخاري (٨٣٥).

حديث «**اللهم اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ وَالْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ**».

ثم إنه كما يكون لي الأجر بإحياء نفسي فإن إحياء نفسٍ أخرى أجرًا لا يتصوره أحد كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهذا الإحياء كما يكون للأَحياء أجره وبهذه العظمة فإن للأموات جريان أجره هنيئًا مريئًا .. واصلًا مِنْ فَوْرِه .. باقيًا ما بقي نفعه، أو باقيًا إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الدعوة الرابعة: قوله ﷺ: دعوة للسباق بين الأولاد:

في هذا الحديث دعوة من رسول الله ﷺ إلى الآباء أن يحرصوا على صلاح أولادهم في حياتهم .. ليضمنوا – بإذن الله – أنه حين يموت يترك أولادًا صالحين .. وأنه إن لم يستطع ذلك فليكن واحدٌ منهم صالحًا .. فإن الولد الصالح كما هو باقٍ لوالده بعد رحيله له، ضامن أن صحيفته لم تُغلق وإن مات، مجتهد في التعويض عن أبيه في الصالحات، وكأنه حي لم ينقص منه شيء، بل ربما زاد على عمل أبيه وأمه لـمَّا كانا حيين .. وحفظ ما غرسوه وأوقفوه ورعاه ورمَّمه وزاده .. ولا يزال عليه قائمًا حتى يتركه يوم يرحل أمانة في أعناق ولده، أو قَيِّم صالح .. فإن تغيَّر مكانه غيَّره إلى أحسن منه .. وهكذا يصنع الولد الصالح، وأكثر من ذلك أن تتصور فرح مَن بناه أولًا في قبره.

ثم إن بقاء الولد الصالح الواحد بعد رحيل الأبوين إنما هو بقاء بذرة الخير والبركة .. بقاء النور في الأسرة التي يعيدها يومًا من الأيام – بإذن الله – إلى طريق الله ﷻ، وإلى النور المبين.

فأي رباط محكم عظيم بين هذه الحياة وحياة البرزخ .. فالأجر يجري من هنا حتى يبلغ صاحبه هنا .. والثمر يقطف هنا ويحمل مثله إلى هناك .. والسعادة تملأ البيت هنا، وهي تملأ على الميت مكانه هناك، فالعمل واحد والنتيجة واحدة على الاثنين، وكل بحسبه، ويا لعظمة افتراق المفعول في الآخرة على المفعول في الدنيا.

«**وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا، فَهُوَ يَدْعُو لَهُ**»: هي دعوة من رسول الله ﷺ للسباق بين الأولاد ذكورًا وإناثًا، **ولم يذكر الدعاء وحده إلا لأنه أقل ما يمكن أن يعمله الولد** .. فليس مِنْ عاجزٍ أعجز ممن عجز الدعاء[(١)].

ثم إن الدعاء ملازم للولد في العادة في صلاته، في قيامه، في قعوده، في ذكره اسم والده رحمه الله، ثم هي دعوة للذرية الذين من بعدهم أن صِلُوا آباءكم هؤلاء كما وصل هؤلاء أجدادكم .. فهي في الحقيقة دعوة لئلا ينقطع البر بموت الوالد، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»[(٢)]، وفي الحديث الآخر عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ ابْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِيفَاءٌ بِعُهُودِهِمَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا**»[(٣)].

فهذه الأمة حية كاملة الحياة، فهي حية في دنياها حقيقة، وحية في برزخها حقيقة بحياة مَن عمل وقدَّم لمن سبقه ورحل، ثم بحياة مَن بقي في الدنيا .. والحياة مستمرة، والحيوية متفاعلة متواصلة، والوداد في ازدياد، والتواصل متواصل .. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**أَبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلَامِ، وَإِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ بِالدُّعَاءِ**». رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٧٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٧) رقم (١٧١٩٥): رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مَوْقُوفًا فِي آخِرِ حَدِيثٍ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وقال الحافظ المنذري في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٤): وهو إسناد جيد قوي، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٢٤): صحيح الإسناد موقوفًا، وصح مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٦٦٤)، وأحمد (١٦٠٥٩) باختلاف يسير، وضعفه الأرنؤوط والألباني.

جريان الأجور والأوزار بعد الموت ...

الحديث الثالث عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[(١)].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: بعث روح المصطلحات الشرعية:

أليس مَن دعا إلى التبرع للأحياء داعيًا إلى هدى؟! إذًا أليس مَن دعا إلى الدعاء للأموات داعيًا إلى الهدى، ومَن دعا لإقامة مشروع للأموات داعيًا إلى الهدى، ومَن دعا إلى كفالات للآباء الراحلين داعيًا إلى الهدى، ومَن قدَّم مشروعًا تكافليًّا عند موت أب، أو أم، أو أخ، أو أخت، أو صاحب داعيًا إلى هدى ..

فلنستجب مباشرة إلى ما يدعونا إليه رسول الله ﷺ دون تهيئة ولا مقدمات: وكيف لا نستجيب وهو الصريخ النذير؟!

ماذا تعني كلمة «هُدًى»: يدعونا رسول الله ﷺ إلى أن ندعو إلى كل ما اسمه «هُدًى»، سواءٌ كان ذلك واردًا نصًّا في الكتاب والسُّنَّة، أو أنه هدى في ميادين الحياة .. فالدعوة إلى كل «هُدًى» إنما هي دعوة رسول الله ﷺ.

وفي نفس هذا المعنى ينبغي أن نحمل معنى **[السُّنَّة الحَسَنَة]**، وقد قال رسول الله

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

ومثل هذه الدعوة الدعوة إلى [الإصلاح] في كل شأن نستطيعه من شؤون الحياة، فإنها دعوة رسول الله ﷺ، وهي سُنَّته ...

وبهذا فلا أحد في هذه الأمة لا يستطيع أن لا يترك له صدقة جارية من خلال «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى**»، فالدعوة إلى الهدى أوسع ميدان .. وكل واحدٍ يستطيعه وفي مجاله الذي هو فيه .. وما من أحدٍ ليس عنده مجال له فيه معرفة ليست عند كثيرين؛ فهذا رجل فقير اشتد عليه الفقر حتى اضطر للتسوُّل، وهذا صائد أسماك، التقيا، فقال: الرجل للسائل المتسوِّل: ما رأيك لو جئت معي أسبوعًا واحدًا فقط تتعلم صنعتي؟ فذهب معه وربح لأهله ما كفاهم شهرًا .. ثم أخذ نصف هذا المبلغ واشترى لنفسه عدة صيد وانطلق يصطاد السمك من البر إلى البحر سيرًا على قدميه، وأحيانًا بالسنارة في البحر وهو على اليابسة .. وهكذا عفَّ وكف، وعلَّم أبناءه هذه الصنعة، واشترى لهم بعد ذلك زورقًا صغيرًا، وتوسَّعت حياتهم، وتزوَّجوا وعالوا، وهم كرام أبناء رجل كريم متعفف .. فكان رزق هذا الرجل وذرياته إلى يوم القيامة لمن علَّم أبناءه هذه المهنة، وهو عند الله لهذا الرجل صدقةً جارية، لأنه دلَّ على هدى، والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**».

ومثل هذا يصنعه النجَّار المحترف مع آخرين من الفقراء والمساكين المتسوِّلين، فهذا من تعليم الهدى، وهكذا الحدَّاد، والسمكري، والكهربائي، والزارع المحترف، وهكذا البنَّاء، وهذا صائغ، وذاك سبَّاك ... فكل هذا «**هُدًى**»، ولكل عمل نافع سِرُّه،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وذلك السِّرُّ هو الـ «**هُدًى**»، وهذا الهدى كافٍ لئن تعيش عليه وبه أجيال، لأنه في الحقيقة رزق، وكفالة، وإعفاف، وإنفاق، وصدقات يتصدقها صاحبها، ثم صدقات جاريات للآخرين، فتتحوَّل الأيدي من السفلى إلى العليا، ومن الأيدي الآخذة إلى الأيدي المُعطية، وبهذا يتحول المجتمع كله إلى الاكتفاء الذاتي، وإلى الاستغناء عن الغير، وعن الإذلال، ولا حاجة لبيع الذمم والضمائر والأمانة والبلدان ...

فلا يحقرن أحد ما منحه الله من «**هُدًى**»، فإن عنده ما ليس عند غيره، وربما يكون هذا عنده «**هُدًى**» لعمل معين، لكن ليس عنده آلاته، ومَن عنده المال ليشتري آلاته ليس عنده «**هُدًى**» هذه الحِرفة فتكون الشركة المباركة.

«**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى**»: لا شك أن أعظم الهدى أو الهدى الأعظم هو ما أنزل الله على رسوله ﷺ من كتاب وسُنَّة، وهو أساس كل هدى، وهو الذي يدعو إلى كل هدى ... لكن ضيق الفهم في تعريف الهدى أذهب عنه الهدى بمفهومه الواسع سعة الدين والحياة وأكثر .. سعة العصور كلها مهما تطوَّرت وأكثر .. سعة حاجيات الناس وأكثر ...

وبهذا الفهم الصحيح والواقعي يصبح كل حامل مهنة نافعة مفيدة للناس وللحياة والأحياء حامل هدى .. وبهذا تكون الخلافة في الأرض، وليست الخلافة في الناس وعلى الناس فحسب، وليست الخلافة على المسلمين، بل في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فكل مَن سكن الأرض من الخلائق داخل في تكليف الإنسان في الخلافة، وهذا ما يجعلنا نجد هدى رسول الله ﷺ أعظم الهدى، وأعظم الرحمة بالبهائم، والطير، والدواب، وكذا الجن، والنبات، والأرض، ومعالم الأرض ... وبالإنسان أولًا وقبل كل أحدٍ أيًّا كان دينه.

إذًا من هنا يأخذ كل داعية إلى هدى أجوره، وتبقى أجوره .. وتتسع أجوره على حسب الهدى الذي دعي إليه .. ولا يحقر صاحب هدى صاحب هدى آخر ..

وليس من أجور باقيةٍ مثل الأجور من حامل الهدى والنور، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فإن الهدى الذي يحيي الإنسان الضال الذي يمشي على الأرض تائهًا في الظلمات والشرك والضلال .. لهو الهدى الأنفع للأموات، وأنفع ما يكون وأبقى لأهل البرزخ .. لأنه الأنفع للأحياء من البشر، فإن التحول هنا من الموت إلى الحياة الحقة بهذا الهدى لهو الأنفع لأهل الدار الآخرة الذين أبقوا من الناس مَن اهتدى على أيديهم من بعدهم، أو اهتدوا بسببهم بعد موتهم من خلال مؤسسة هدى، أو طالب هدى اهتدى على أيديهم قبل موتهم، أو أسسوا مؤسسة للهدى والدعوة إليه .. أو أهدى لهم من هدى الله على يديه بعض الضالين فحديث النبي ﷺ واضح حيث يقول: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**».

فمن عمل الهدى ثم أهدى ذلك الأجر لحبيب قد سبقه إلى الله وَصَلَ مِثْلَ أجره والله لا ينقص من أجره شيء، ولو كان ولدًا صالحًا فأنشأ مركز دعوة إلى الحق فكان هذا المركز نورًا وهدىً، فقال هذا للوالدين: اللهم اجعل أجر هذا المركز، ومن اهتدى به إلى يوم القيامة لوالديَّ رحمهما الله .. ألا يصل أجره لهما، أليس هذا عملًا صالحًا، وهذا ولد صالح يدعو لهما، وفوق هذا فهذا الهدى أجره لصاحبه ومثله أجرًا لوالديه، وفوقه برًّا بهما، وسنة حسنة له، وما أجملها من سنة حسنة وعادة طيبة مرت في أبناء المؤمنين بعضهم مع بعض؛ فما أن يفتقدوا واحدة منهم في حادث، أو مرض، أو أي سبب حتى ينشئوا لهم رابطًا إلكترونيًّا ويعلنوا عن حفر بئر له، أو بناء مسجد له، أو كفالة أيتام له؛ وأغلب هذا إذا كان الولد فقيرًا وأهله فقراء .. والأصل أن هذه الفكرة انتشرت من الشباب وبين الشباب الطلاب لا عمل عندهم ولا مرتبات .. فيتنادون من كل مكان، وكلٌّ يتبرع، فجزاهم الله خير الجزاء .. وما أشبه عملهم بعمل

الأشعريين رضي الله عنهم، وقد أذاع خبرهم وأشاع خيرهم رسول الله ﷺ؛ فقال: «**إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْـمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**»(١)، فهل حاجة المسلم في قبره وآخرته أعظم .. أم على ظهر الأرض أعظم؟ هل التنادي لهذه سنة والتنادي للآخرة - وهي أعظم بما لا يحصى - بدعة؟ وهل استأذن الأشعريون النبي ﷺ قبل أن يفعلوها؟ هل أمرهم النبي ﷺ بها؟ فإذا لم يكن هذا ولا هذا ولا هذا .. فكيف فعلوها لولا أنهم فهموا أن هذا مما يحبه الله ورسوله ﷺ، وأن هذا يدخل في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وأن هذا التعاون هو المنهج الشرعي الأصيل الذي ما زاده الإسلام إلا سعة، وحثًّا، ودعوة، وإعلاءً، وإعلانًا .. فإن قال المبدِّعون: هي ما أصبحت سنة إلا بدعوة النبي ﷺ، ولولا دعوته لم تجز، ولبقيت بدعة!

وهذا عجب في الغرابة في العلم والاحتجاج!

والجواب عليه: خذ ما هو أكبر من ذلك: فَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «**مَنِ الْـمُتَكَلِّمُ؟**»، قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»(٢)، فهل النبي ﷺ قال هذا الدعاء قبل اليوم؟ .. هل أمره ﷺ بهذا .. أليست هذه الكلمات في الصلاة في صلب العبادة؟ والجواب: إي والله في صلب العبادة إلا أن أصلها ثابت، والأصل هو الحمد في الاعتدال من الركوع، فجاء هذا الرجل بهذا الحمد العظيم .. يقول المبدِّع: لولا تأييد النبي ﷺ له ما كانت سنة! أقول: إذًا لم ينهه

(١) رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

(٢) رواه البخاري (٧٩٩).

النبي ﷺ عن فعل هذا مرة أخرى، ولم ينهَ المسلمين عن فعل مثل هذا، وخصوصًا أنه في محضر عام، وقد امتدحه ﷺ، ولم يستثنِ، ولم يقل مثلًا: جزاك الله خيرًا ولا تعد لمثل هذا، كما قال لـمَن ركع خلف الصف ومشى: «**زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ**»(١)، لذا فأصح ما يقال: [كل ما لم يثبت في دين الله، وليس له دليل من كتاب ولا سنة] تعريف ناقص، والصحيح هو زيادة كلمة تجمع ما ذكرنا وغيره كثيرًا جدًّا، والكلمة هي: [مما ليس له أصل في دين الله، وليس مما لا دليل عليه، فيكون التعريف: [ما أُحدث في الدين ولم يكن له أصل ثابت يدل عليه].

إن الدعوة لحفر البئر وبناء المسجد ونحو ذلك بين الفتيان وكذا الكبار .. أمرٌ عظيم في الدين، وفي التربية على معالي الأخلاق .. وهذا يأتي بلبنة، وذاك بلبنة، وهكذا وهكذا، وهكذا بنى مسجد رسول الله ﷺ، وهو ذات العمل، فهذا اشترى لبنة، وذاك دفع قيمة شباك، وذاك دفع قيمة باب .. ثم كيف نفهم حديث النبي ﷺ: «**مَنْ بَنَى لِلهِ مَسْجِدًا، وَلَوْ كَمَفْحَصِ**(٢) **قَطَاةٍ**(٣) **بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»(٤)، فهل من مسجد كمفحص قطاة؟ إنه تعظيم هذا الأمر، واللبنة الواحدة كمفحص قطاة، ولولا هذه اللبنة وتلك ما كان المسجد.

الدعوة الثانية: دعوة إلى تفعيل العلم بالعمل، وتحويل العلم إلى الحياة: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى**»: فالداعي الأول إلى الهدى يكون واحدًا في العادة، ثم بعد ذلك يتفرع عنه

---

(١) رواه البخاري (٧٨٣).

(٢) المفحص بوزن المذهب، وكذا الأُفحوص بوزن العصفور: هو الموضع الذي تجثم فيه وتبيض.

(٣) القطاة: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ويتخذ أفحوصه في الأرض، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعة، وبيضه مرقط. ويجمع على قطا وقَطَوات وقطيات.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠)، والطبراني في الصغير (١١٠٥)، والأوسط (١٨٥٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٢)، وابن ماجه (٧٣٨)، وأحمد (٢١٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

دعاة، ويتتابعون بعضهم بعد بعض ويمتدون زمانًا؛ طال الزمان أم قصر إلا أن هذا التوسع مهما تباعدت أطرافه وكبرت دائرته، ومهما تتابعت مراحله وتكاثرت وامتدت في الأجيال فإنه لا يضيع منهم أجر عامل ولا تضيع ذرة من عمله، وكلٌّ له أجره .. وكل رأسٍ فيهم يجمع من الأجور بقدر هداه ومن تبعه، وأجور هؤلاء الرؤوس وأجور من تبعهم جميعًا لأول من دعا إلى ذلك تحديدًا ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فثمَّ داعٍ أول، ومن بعده دعاةٌ فرعيون، ووراء هؤلاء متعلمون، وليس كل من تعلم دعا، فالأجور تجري لمن دعا لا لمن تعلم، فمن تعلم ومات من غير أن يدعوَ إلى ما تعلمه فأجره لا يتعداه وهو عمله في صحيفة من عَلَّمه.

ولهذا فإنها دعوة عظيمة من رسول الله ﷺ **إلى تفعيل العلم بالعمل**، وتحويل الهدى إلى الحياة العملية كما جاء معنا ذلك في حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «**وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»(١)، «**وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ**» فلا حاجة للمسلم بعلم لا ينفع، ولا إلى علم لا يعمل به من بعده، ثم إن الأصل أن يمتد هذا العلم لـ «**مِنْ بَعْدِهِ**» كما هو نص الحديث ...وكلما امتد العلم لمن في عهده اتساعًا ولمن بعده زمانًا متتابعًا فهذا أحسن ما يكون نفعًا وأعظم ما يكون أجرى وأبقى ما يكون عند الله وعند خلقه، وفي حياة الناس ذكرًا وأثرًا ..

الدعوة الثالثة: لا بدّ من إغلاق السيئة الجارية ... وخطرها وصورها:

حولوا النار عن أبيكم: «**وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»: فلنتدبرها في هذا الحديث من دعوة عظيمة من رسول الله ﷺ حينما نقرأ هذا الحديث طول حياتنا لا يلتفت أحدنا إلا إلى نفسه؛ هل عنده آثام ورثها عنه غيره، وكيف يطهر نفسه منه إن وجدت .. وعند هذا ينقطع

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤١) واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح.

الفهم، وينقطع معه العمل .. وينسى ذلك أباه وهو يرى آثامه ما زالت تحرق الناس في قبورها، كما هي تجرف صالحات والده من مواقعها.

أنسيت أم تناسيت أن ذاك الأب ترك مصرفًا ربويًّا محضًا .. ورحل عن هذه الدنيا وما رحل البنك ولا انهار، بل وَرِثْتموه .. وأبناؤكم وهم أحفاده سوف يرثونه كما ورثتموه أنتم .. أنا لا أتحدث عنكم وعما ورثتموه؛ فهذا اختياركم وما من أحد يلزمكم به، ولكن هل قال لكم أحد: إن التوبة من الربا تعني هدم البنك بأفرعه، هل قال لكم أحد: إن التوبة تعني إحراق أمواله كلها أو التخلي عنه وعنها.

لو ذهبتم إلى شركات مالية معينة، وخبراء اقتصاد مسلمين لوضعوا لكم نظام تحويل مصرفكم بما فيه إلى مصرف حلال شرعي، وربما مع زيادة زبائن بأعداد من عندكم وأكثر، وذلك لأننا في بلاد مسلمة والجميع يرغب في الرزق الحلال، بل إن الإقبال على الاقتصاد الإسلامي كبير حتى في البلاد غير الإسلامية وذلك ثقة بالاقتصاد والإسلام به وبثباته في منزلقات الاقتصاد العالمية والانهيارات الربوية الماحقة ..!

آكل الربا ملعون في قبره ، فمَن يفكها عنه:

ليس الأمر أنه لا حجة لورثة والدك، ولكن المصيبة أنكم لم تبالوا بجهنم التي تفتحت على مصاريعها لأبيكم وأنتم مستمتعون بالأموال، وليحترق الأب، ولقد قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، هل نسيتم أن آكل الربا **ملعون حتى في قبره**؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «**آكِلُ الرِّبَا، وَمُؤَكِّلُهُ، وَكَاتِبُهُ، وَشَاهِدَاهُ إِذَا عَلِمُوا بِهِ، وَالْوَاشِمَةُ، وَالْمُسْتَوْشِمَةُ لِلْحُسْنِ، وَلَاوِي الصَّدَقَةِ، وَالْمُرْتَدُّ أَعْرَابِيًّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ - مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ** ﷺ»[1]، هل غركم أنكم جعلتم له مبردة ماء أو

---

(١) رواه أحمد (٣٨٨١)، وأبو يعلى (٥٢٤١)، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم (١٤٣٠)،=

بنيتم له مسجدًا أو حفرتم بئرًا .. افعلوا ما شئتم فكل ما تركه ربا وكل ما أنتم مستمرون مصرون عليه ربا. إنها أبواب عذاب كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ»(١).

الدعوة الرابعة: حجاب إجابة الصدقة الجارية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»(٢)، فكثيرون يعنون بألفاظ الحديث وموجبات إجابة الدعاء، ولكن الحقيقة أنهم لم ينظروا إلى موانع إجابة الدعاء ما بينهم وبين الله ﷻ؛ وهذا الحديث أكبر مثال على هذا، فهذا رجل أتى بموجبات إجابة الدعاء، وكل موجب فيه نص عن رسول الله ﷺ؛ فهذا رجل مسافر، والنبي ﷺ يقول في دعوة المسافر: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ؛ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»(٣)، ثم هو رفع يديه وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ

=وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١١٨) رقم (٦٥٧٩): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَقَدْ وُثِّقَ.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٤١٤)، والبزار (١٩٣٥)، وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٧٧): رُوَاتُهُ رُوَاةُ الصَّحِيحِ، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٠١٥).

(٣) رواه الترمذي (١٩٠٥) واللفظ له، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وأبو داود (١٥٣٦)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد (٧٥٠١)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٢٩) رقم (٧٧٣٤): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[١]، ودعا الله بأسمائه الحسنى، والله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وذكر أولًا أنه أشعث أغبر، والرسول ﷺ يقول: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[٢]، ومع كل هذا قال النبي ﷺ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**» للإبعاد أو للاستحالة، وفي الحديث: «**مَنْ جَمَعَ مَالاً حَرَامًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ**»[٣].. ولا يدخل في هذا التائب توبة نصوحًا، وكانت أمواله محرمة بوصفها لا بأصلها من الربا .. فهنا التائب يعيد إلى البنك الربوي الزائد، ويأخذ هو ماله، وكان الواجب أن لا يعين البنك بهذه المبالغ، بل يعين بها الإسلام والمسلمين؛ فهذه أموال إنما جاءتها الحرمة من وصف المعاملة، وإلا فالأموال بذاتها مباحة كأي أثمان وأي بضاعة، فتعزل وتعطى تطهيرًا لمن يستحقها.

الدعوة الخامسة: تحول السيئة الجارية إلى عذاب مباشرة دون صحيفة:

وكم من أب رحل وقد كتب وصية الظلم .. فهل بعد هذه الوصية المفرقة ما بين الأولاد والبنات وما بين الزوجات وما بين الأولاد بعضهم دون بعض ... فهل بعد هذه الوصية يمكن أن تكون الذرية مطمئنة إلى سعادته في دار البرزخ بينما هو قد أشعل قلوب الأرحام نيرانًا بعضهم على بعض .. والظلم بين الأرحام عادة ما تورث النيران نيرانًا جزاءً وفاقًا، وهذا ما يحصده الأرحام ويرووها بعضهم عن بعض؛ فهل من سبيل إلى إيقاف هذا العذاب؟! فلقد ورد في الحديث عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو ، حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً، فَجُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ**

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٢).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٤٣)، والحاكم (١٤٤٠).

عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ»[١].

هذا رجل مظلوم مرَّ عليه هذا المعذّب في قبره ولم يكن يعرفه ولا يدري ما دينه وعُذِّب في قبره بهذه الجلدة الواحدة التي لا ندري كم دام عذابها ولهيبها من سنين في البرزخ .. هذه رحمك المظلومة التي هي منك وأنت منها، ونُصْرتها أولى ما تكون فإذا فاتتك نصرتها في حياة الوالد فما لك لا تنصرها الآن فتنصر الوالد في قبره حين تنقذه بقطع حبل الآثام المتواصل وباب الجحيم الذي يتغذى بآثام الليل والنهار ... سواءً كنت ذاكرًا أم كنت غافلًا.

الدعوة السادسة: الدعوة إلى تحويل الاستغفار بمعناه الشامل:

الغنيمة باستغفار ولدك:

إن الآثام لا تصب في صحيفته فحسب، بل تصب عليه عذابًا مباشرًا في قبره؛ فالصحيفة قد أغلقت بموته وأصبحت السيئات الجارية تتحول - والله أعلم - بشكل مباشر إلى عذاب ممدود متواصل ما تواصلت السيئات الجارية كما هي الحسنات الجارية تتحول إلى مغفرة وإلى رفعة منازل مثلما جاء في الحديث الذي ذكرناه قبل عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[٢]؛ فالاستغراب الذي ثار عند هذا الوالد ﷺ أن صحيفته قد أغلقت بموته ومع هذا فقد جاءته الآن درجة في الجنة؛ فكيف ذلك وما سبب هذه الدرجة؟

فالجواب الحق: هو أنها باستغفار ولدك، أي السبب هو عمل ولدك عملًا غفر لك به ولو كان استغفارًا لك بقول، أو دعاءً لك بالمغفرة، أو عملًا مما ورد فيه أنه يغفر

---

(١) شرح مشكل الآثار (٣١٨٥)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢٢٣٤)، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وابن أبي شيبة (٢٩٧٤٠)، وأحمد (١٠٦١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

الذنب، فما أكثر الأعمال التي بها يغفر الذنب، وهو باب كبير وجليل اسمه المكفِّرات .. والارتباط هنا أن الذنب قد أثقله وقيده فحين كُسر قيده وفُكَّت عنه آصاره، ورُفعت عنه أثقاله وأعماله ... رُفع مباشرة درجةً، فهو لم يعرف العامل، كما لم يعرف عمله، إنما رأى اختلاف حاله بعلو مقامه، فكان الجواب الواضح البين: باستغفار ولدك.

هذه الكلمة غنيمة من أعظم الغنائم العاجلة التي يقدمها الولد لوالديه أو أحدهما .. حين يقطع عنه شلال الآثام الهادر نارًا .. وعذابًا ليلًا ونهارًا ..

فالله ﷻ إذا كان غفر للوالد ذنبًا ملاصقًا له، مثبتًا عليه في صحيفته؛ فكيف لا يغفر له إذا ما انقطع مصدر الذنب انقطاعًا كاملًا وبُتَّ من جذره في الدنيا وما عاد له وجود .. ثم ما فائدة أن يستغفر الولد لوالده ومصدر الآثام قائم فاعل فائض لم ينقطع أبدًا .. كيف إذا أرجعتم الحق لأصحابه ولو كان مالًا كثيرًا .. ولو بتكلفكم به، ثم أخذتم مسامحته من المظلومين وطيبتم قلوبهم.

لو خافت البنت البارَّة على والدها وحبيبها وقَرَّب الله تعالى لها صورة والدها الضعيف الأسيف الحاسر الحسير العاري في قبره ....! في دار البرزخ يتقلَّى في قبره، ويقلب في العذاب تقليبًا .. وهو يصرخ ولا من سامع ولا من مجيب .. فتستبق فتصيح من منامها: والدي الحبيب .... فإنها لن ترقد ليلتها تلك أبدًا حتى ينفلق الفجر وتخرج أول البكور إلى حيث إدارة تنور الزناة القائم في هذه الدنيا لتهدمه ليهدم الله تنور عذاب والدها في البرزخ ويخرجه من عذابه .. وأي قلب هذا الذي تطيب له الحياة الدنيا، وقَلبُ أبيه يُشْوى في صدر أبيه في تنور الزناة .. علمًا بأن هذا العذاب عليه لو أنه مات مُصِرًّا على الزنا، ومع هذا فلعله يمحى بالاستغفار له، ويمحى بعمل يعيد المذنب كيوم ولدته أمه مثل الحجة البرة من الولد عن أبيه أو الصاحب عن صاحبه أو غيرها من أعمال، ولكن أنى لهذا العمل وأمثاله أن يغفر آثام الزنا إذا كان تنور الزناة لكل من في التنور قائم في هذه الحياة الدنيا ..

كمن فتح ماخورًا للزناة .. أو سمح في فندقه بممارسة الزنا أو فعل قوم لوط .. ففتح الباب على مصراعيه؛ فلم يشترط في سكن غرفة في الفندق عقد الزواج، فضلًا أن يكون - أساسًا - هو مَن يوفر لهم الزانيات إلى الغرف باسم الفرق الفنية، وصورهن موجودة في المصاعد وفي كل غرفة، وعلى موقع الفندق الإلكتروني، ولا يكلفك الأمر أكثر من أن تتصل ... وفي بعض الفنادق لا يكلفك الأمر أكثر من أن تفتح باب الغرفة؛ فالباب سيطرق عليك ليلًا، أو تنادى بالإذن بالدخول .. وإن هذا لهو البلاء المبين.

فليس القصد هنا هذا الذي يزني، أو ذاك أو كل الزناة في هذا الفندق أو ذاك إنما المقصود هو صاحب هذا الفندق أو ذاك .. المقصود صاحب الماخور نفسه .. هذا هو تنور الزناة نفسه ..

فإذا علمنا أن كل مَن زنا في هذا الفندق أو ذاك وهو يستقبل من هؤلاء كل يوم وليلة .. كم عُمُر هذا الفندق أو ذاك؟ لقد وصل إلى ثلاثين أو أربعين سنة .. هل يكفيهم تنور واحد .. أم كل الزناة في تنور واحد .. أيًّا كان الأمر فإن الأهم من هذا هو أن هذا التنور قائم باقٍ إلى أن تقوم الساعة كما أخبر ﷺ بهذا بقوله: «**وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي**»[(١)]. وحديثنا هنا إنما هو عن عذاب صاحب التنور .. الذي فتحه لهم .. وهم يسترزقون منه .. ويهيئ لهم كل أمورهم.

فعلى مَن مِن الناس مثل آثامهم جميعًا .. وكم سيجمع لهذا الوالد من العذاب .. وإذا كانت هذه هي صورة من فعل الزنا فأي صورة من العذاب على من جُعِلَ عليه آثام الزناة هنا جميعًا؟

وإذا كان عذاب هؤلاء الزناة ينتهي بالنفخ في الصور وهو واحد ونحن لا ندري

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

ربما استمر إلى ما شاء الله في العذاب في جهنم فإلى متى وإلى متى وإلى متى سيتوقف عذاب أصحاب مواخير الزنا والكثير منهم من يدافع عن هذه الكبيرة، بل ويستبيح فعلها.

يا ولدي ويا بُنَيَّتي: أبوك يقول لك: كل هذه الأهوال ستتوقف من لحظتها بعفو الله عني إن أنتم قطعتم حبل الآثام عني، فماذا تنتظرون؟!

وما رأيت بعد إغلاق السيئات الجارية للوالد، أو الولد مثل أعمال أخرى هي سيئات جارية تغلق .. إغلاقًا تامًّا، والجزاء من جنس العمل، مثل فك مظلومين مسجونين على مبالغ مالية، أو نصح مَن عنده ماخور زناة بإغلاقه، واستبداله بمشروع تجاري أو وقفي نافع، أو كفالة محامٍ دفاعًا عن مظلوم، أو تكوين جمعية محامين للدفاع عن مظلومين. رجاء أن يحقق الله لوالده ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟!



الملاعن الثلاث
قاطعات طريق النجدة

الحديث الرابع عشر:

عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا الْـمَلاعِنَ الثَّلاثَ»، قِيلَ: مَا الْـمَلاعِنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ، أَوْ فِي طَرِيقٍ، أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: التدبر للإنقاذ: عادة ما نفكر فيه نحن هو أن يجتنب أحدنا هذه الملاعن الثلاث لئلا تصيبنا لعنة المسلمين ولعنة اللاعنين .. وثمة صرخة عظيمة في أعماق كلمات الحديث تستصرخنا لنجير الآخرين.

فأنا لو الْتَفَتُّ حولي لوجدت من الناس واقعين في اللعنة ... في المهلكة ... وأنا أراهم وأعرض عنهم كأنني لا أرى ولا أسمع وكأن الله ﷿ ما قال عن سمعي وبصري وفكري وقلبي ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فمن كان هذا ديدنه مع الأحياء حوله من السلبية والإعراض والغفلة عنهم فماذا تراه سيكون مع الأموات؟! **وأساس السلبية** إنما هو السلبية في تناول حديث رسول الله ﷺ .. فتناول حديث رسول الله ﷺ عندنا إنما هو تناول نظري محض فوق أنه تناول شخصي وذاتي حتى لو كان عمليًّا فالعمل لا يتعداني أنا .. **فإن التدبر للإنقاذ** والتتبع بحثًا عن سبل هو الذي يبعث العمل المنقذ والمنجد للأحياء ولأهل المقابر

---

(١) رواه أحمد (٢٧١٥)، وقال الألباني: حسن لغيره.

على حدٍّ سواء .. والله يفتح لطلاب الفتوح على حسب نياتهم ومقاصدهم، وهو سبحانه يشكر لهم هذه النية وهذا العزم، ويشكر لهم نيتهم وقصدهم في تناول الحديث أساسًا، إذ هو الفقه الدقيق الذي فيه الإنقاذ، وهو الفقه العملي الذي به يتحول الفقه إلى الدعوة للإنقاذ فورًا وبشكل مناسب غاية المناسبة لتطبيق الحديث في واقع الحياة .. فهذا من يعينه الله ويشكره على إنقاذ عباده، والله ﷻ يقول: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩]، فإن كلمة ﴿سَعْيَهَا ﴾ بعد ﴿وَسَعَىٰ ﴾ تعطي التدبر في الآية جدية .. وتعطي البحث عن العمل المنقذ تطلبًا واحتسابًا .. وتقصيًا واجتهادًا .. وأعظم ذلك هو أن يكون للساعي حظٌّ عامٌّ وباقيٌ من سعيه.

الدعوة الثانية: الصريخ المجير من الملاعن:

«**اتَّقُوا الْـمَلاعِنَ الثَّلاثَ**»: **هنا دعوة رسول الله ﷺ ليست مقتصرة على هذه الثلاث** وحدها .. وإنما المطلوب النظر في كل ما يسبب لعنة المسلمين لإيذائهم في حقوقهم المشتركة العامة .. كما أن المقصود ليس هو الحصر في ثلاث دون غيرها، ولا هو المقصود أن تجعلوا التقوى في هذه الثلاث وحدها دون تقوى الله فيما سواها.

يجب أن نبحث عن دعوة رسول الله ﷺ هنا لإنقاذ أمته من اللعنة، ومن أمته من هم أهل المقابر .. نعم، فإنا لو بحثنا لوجدنا اللعنة تتنزل على قبورٍ وأهل أصحابها الأحياء لا يشعرون.

أليس مَن جعل بيت الخلاء على مجرى الماء الواصل بين مزرعته ومزارع الآخرين داخلًا في اللعنة؟! إن هذا أكبر من أن يقعد الرجل أسفل شجرة أو سدرة .. وإن لم تكن هذه خفيفة، فلعنة الناس على صاحب هذا الحمام واللعنة عليه مستمرة حتى لو كان الآن في قبره، وهذا والله أمر خطير، ويجب أن ينقطع من هذه اللحظة .. لتنقطع اللعنة الواصلة إليه كل وقتٍ عذابًا وجحيمًا، نعوذ بالله من هذا.

أوليس من اختار موقع تجمع الصرف الصحي قريبًا من البيوت السكنية أو أشار بهذا على البلدية، أو من أمر بتنفيذ هذا المشروع في هذا الموقع الذي إذا ما هبت رياح الجنوب أو رياح الشمال زكمت أنوف الناس بروائح عذرة البشر الكريهة .. فكم هي اللعنات على هؤلاء، وهل هذا المجتمع الكبير للعذرة أخطر وأكثر على صاحبها، أم ذاك الفرد الذي تغوط عند زرع أو نحو ذلك ثم مضى .. وما هذا إلا عمل فردي ...

إنه يجب على من عرف هذا أن يعرف واجبه فيهرع من فوره منقذًا ومنجدًا لمن في قبره من لعنة المسلمين والمسلمات .. لإفسادهم حياة الأحياء وطيبها، وإنقاذًا لمن في البرزخ بسبب لعنتهم من قِبَل الأحياء.

أليس الملعونون هنا: مَن جعلوا الصرف الصحي لفضلات بني آدم تفيض على المزارع المثمرة .. فأفسدوا الماء، وأفسدوا طعم الثمرة، فإذا ما علم الناس بأن هذه الثمرة تغذت من عذرة بني آدم لعنوا من سقى، ومن زرع، ومن أشار، ومن أمر، ومن نفَّذ.

أليس الواجب على أهل هؤلاء الملعونين غاية الجدية في إيقاف هذا المشروع وتحويله .. وإلا فاللعنة لازمة على من أشار، ومن أمر، ومن صدَّره، ومن باعه، لأن الجميع يعلمون جيدًا أن هذا بسبب مشروع أبيهم هذا.

فمتى تنتهي لعنة اللاعنين والورثة ساكتون؟

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَحْبِسُ الدَّجَاجَةَ الْجَلَّالَةَ ثَلَاثًا[(١)].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلَّالَةِ وَأَلْبَانِهَا**[(٢)].

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: **نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَعَنِ الجَلَّالَةِ، عَنْ رُكُوبِهَا وَأَكْلِ لَحْمِهَا**[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٢٠٥)، وسنده صحيح كما قال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٤٨) رقم (٥٥١٩).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٨٥)، والترمذي (١٨٢٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣) رواه أبو داود (٣٨١١)، والنسائي (٤٤٤٧)، وأحمد (٧٠٣٩)، وحسَّن إسنادَه ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٦٤٨)، ووثَّق رجالَه الهيثميُّ في مجمع الزوائد (٤/ ٢٦٣) رقم (٧٣٣٦).

فإذا كان الحيوان الذي يأكل النجاسات لا يؤكل لحمه، ولا يُركب، ويترك إلى أن يَطْهُر لحمه وتذهب عنه الرائحة أو يموت ...

فكيف بمَن يسقي الثمار الطيبة ويسقي مأكولات الناس بقاذورات الناس ونجاساتهم؟! حقًّا إنه الملعون، نعوذ بالله من ذلك.

فهل يمكن أن يتساهل أحدٌ في ضرورة الدعوة إلى إنقاذ من يمكن إنقاذه ممن ماتوا والآن جاءتهم اللعنة وحقت عليهم، نعوذ بالله من ذلك، وللعلم فإن هذه اللعنة لن تنقطع ما بقي الماء الساقي طعام الناس نجسًا، مغذيًا لخضراواتهم وفاكهتهم، وما بقيت مراكز الصرف الصحي ملوثة الأجواء ... حتى ينقطع هذا الإفساد والتلويث من حياة الناس. إنه لا سبيل إلى إزالة اللعنة وإيقافها عن هذا الحي أو ذاك، أو عن هذا الميت أو ذاك إلا بإزالةِ مصدر الأذى من موقعه، فإذا كان مَن قعد فقضى حاجته وألقى نجاسته في مجرى ماء حقت عليه لَعْنَةُ الناس، فكيف بمَن جعل له على ذلك المكان بيتًا للخلاء؟!

وهكذا لو كان قضاء الحاجة أو إلقاء النجاسات في مجلس عام للناس، أو حديقة عامة، أو موضع انتظار الحافلات، أو سيارات الأجرة، أو أي صورة من صور إيذاء الناس في مواطن الخدمات العامة.

فأي دعوة مثل دعوتك يا رسول الله ﷺ؛ دعوة واحدة فقط، لكنها تجمع إصلاح الحياتين؛ حياة الأحياء على الأرض، وحياة أهل البرزخ ...

إن رسول الله ﷺ يصنع عينًا جديدة، بل نظرة جديدة للحياة كلها، فلا خطأ يصبح واقعًا، ولا بد للعين أن تكتشفه بنظرة، ولا بد لصاحب النظرة أن يتقدم خطوة لإزالته، إذًا لا بد أن يقدِّم فكرة لإزالته، وفكرة أخرى لإنشاء البديل الذي يذهب الخطأ من طرق الناس ومجالسهم، ومواقع اجتماع الناس، كما أنه لا بد من إقامة بديل إيجابي وعملي ونافع للناس.

فإذا وُلدت هذه العين فينا ومارست دورها الذي أراده رسول الله ﷺ فلتبشري بلدتي، ولتبشري يا أمتي، ولتبشروا يا أهل المقابر بفيض لا ينقطع من الوصال.

وإن حياة على هذه الأرض بهذه الطهارة .. فلا قاذورات ولا نجاسات ظاهرة في مجالس الناس ومجامعهم، ولا أذى في أسواقهم وطرقهم .. ولا طعام من لحوم ولا ثمار نبتت على نجاسات، ولا أطعمة كُوِّنت من الحشرات كالخنفساء، والذباب، والصراصير، والديدان، وما إلى ذلك لحري بهم أن يسكنوا دارًا هي الذروة في الطهارة، ويكونوا هم الطاهرين المطهرين من رب العالمين.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ[(١)] الْأَلُوَّةُ[(٢)] الْأَنْجُوجُ[(٣)] عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»[(٤)].

وقد قال ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ. قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[(٥)].



---

(١) المجامر: جمع مجمرة، وهي المبخرة، سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور.

(٢) الألوة: العود الذي يبخر به، قيل: جُعِلَت مجامرهم نفس العود.

(٣) الأنجوج: هو عود الطيب الذي يستعمل في البخور.

(٤) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٥) رواه مسلم (٢٨٣٥).



الحديث الخامس عشر: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ(١) الْمَسْجِدَ (أَوْ شَابًّا)، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عَنْهُ)، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي(٢)، قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فقال: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عز وجل يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»(٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ سَوْدَاءُ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَتُوُفِّيَتْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أُخْبِرَ بِمَوْتِهَا، فَقَالَ: «أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا؟» فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ، «فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا، وَالنَّاسُ مِنْ خَلْفِهِ، وَدَعَا لَهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ»(٤).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: حقها من حق المسجد: أقول: **كم دعانا رسول الله ﷺ في هذا الموقف من دعوة** .. ونحن عن دعوته غافلون! لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى الموقف نفسه، ولم يكتفِ بالدعاء عن بُعد، لتكون دعوة عن قرب منهم فيكون أقرب إلى الله، ومنها تعريفًا بمقام خادم المسجد كي تقف الأمة له الموقف المستحق من بعده ﷺ .. فهو يعلمها أن خادم بيت الله يقوم له إمام الأمة اقتداء برسول الله ﷺ.

---

(١) تقم المسجد أي: تكنُسه.

(٢) آذَنْتُمُونِي: بمد الهمزة من (الإيذان)، أي: أعلمتوني بموتها حين ماتت.

(٣) رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

(٤) رواه ابن ماجه (١٥٣٣)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: صحيح لغيره.

إن رسول الله ﷺ كان قادرًا أن يستقبل القبلة ويدعو لها من مسجده .. لكنه ﷺ لم يفعل ذلك؛ إنه يذهب إليها .. إلى قبرها .. فهناك الدعاء من نفس الموقع .. هنا المعايشة تختلف .. هنا الدعاء أوقع وأنفع .. هنا الدعاء أرغب وأقرب .. فالعبرة اليوم ليست بمقامات الناس عند الناس، إنما بمقامات الناس عند الله ﷻ، والدعاء ينبعث من كل ذلك مع نشيج العِبرة والذكرى.

إنه يناسب خطورة المقام، وحاجة الراحل، ومن ذا الذي يقدِّرها كما يقدرها رسول الله ﷺ عن علم ويقين، فحاشاه ﷺ يقعد في المسجد والمسجد قد افتقد الصاحب الملازم، والمحب الحبيب والخادم .. القائم على كنسه وطهارته وتطييبه وإعداده لخير خلق الله ﷺ وخيرة خلق الله في هذه الأمة رضي الله عنهم إعدادًا لهؤلاء القائمين والعاكفين والركع السجود.

وكم في هذا الحديث من مواعظ وهدايات وإعادة استحقاقات .. فالحضور اليوم لها بالإضافة لما ذكرنا له غاياته العظيمة.

الدعوة الثانية: من ثمرات الزيارة: أنها صحابية لرسول الله ﷺ، وأنها صحابية خدمت بيت الله، وصحابية لإمام المسجد، وهنا يحضر الوفاء، فكان الذهاب على الفور إلى المقبرة .. إلى قبرها .. فالرسول ﷺ أعلم الناس بما في القبر من أحوال ... فإذا حضر رسول الله ﷺ حضرت الشفاعة .. وحضرت كذلك الشهادة، وأي شهادة مثل هذه الشهادة .. وحضرت الرحمة المهداة .. فماذا تحتاج هذه المرأة بعد هذا؟!

ومنها: أن رسول الله ﷺ تعامل مع هذه المرأة معاملة الحي .. فلو كان حيًّا لذهب إليه رسول الله ﷺ وعاده في بيته لو أنه مرض .. فلما ماتت هذه المرأة ذهب النبي ﷺ إلى بيتها الجديد، ومقامها الفذ الفريد ..

فلقد أصبح ذلك القبر بوصول رسول الله ﷺ إليه أعظم من أعظم قصر، بل أعظم من زينة الدنيا كلها .. إنها قطعة من الجنة .. إنها روضة من رياض الجنة، والرسول

ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[(١)]، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[(٢)].

مَن ذا الذي يعلم مَن سار مع رسول الله ﷺ حين سار إلى القبر المغمور ذاك .. مَن سار معه من جند السماوات والأرض ..

وما أعظم العِوَض بدعاء رسول الله ﷺ لهذه المرأة؛ دعاءً عوضًا عن غربتها، دعاءً يعوِّضها عن الحاجة لغيرها من ولدٍ، أو زوج، أو نحو ذلك، فالذي يظهر أن هذه المرأة مقطوعة، فلتكن دعوة رسول الله ﷺ صدقة جارية لا تنقطع، وشفاعة مصاحبة في كل أحوال البرزخ، والبعث والنشور، والمحشر ومواقفه، إلى دخول الجنان بسلام وأمان ... ووالله لو عرفنا ذلك الدعاء لرأيناه أكبر وأعظم، وأحنَّ، وأدق، وأعمق، وأبقى وأوسع.

الدعوة الثالثة: قف موقف المتكفل بخادم بيت الله: ومنها: أنَّ لخادم بيت الله حقًّا على الأمة؛ وهو أن تكون هي صدقته الجارية، وأن يكون أهل حي المسجد عند موته قائمين مقام أهله وذريته، متعاونين مشتركين متعاضدين، ومنفردين كذلك، ويقومون بسداد دَيْنِه، وأداء حقوق الناس عليه، وذلك من حق بيت الله عليهم، وإلا تكفل ببيت مال المسلمين، أو ما يقوم مقامه بذلك، ويقيمون ما يسعهم فعله من صدقات جاريات؛ مثل حفر بئر، وكفالة أيتامه، وكفالة حلقة قرآن له، وبناء مسجد بثوابه وباسمه، أو نحو ذلك، فكما خدم بيتًا من بيوت الله فنبني له بيتًا لله، والجزاء من جنس العمل، ولا أحسب هدية عند مَن عاش خادمًا لبيت الله تساوي إهداء بيت الله له.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

إن قيمة خادم المسجد في حياته عمومًا، وبعد موته خصوصًا إنما تعود لقيمة بيت الله عندهم، وقيمة شعائر الله، وكذلك مكانة رسول الله ﷺ، الذي ما اكتفى بصلاة أصحابه رضي الله عنهم عليها، ولا دعائهم لها، وإنها لصلاة عظيمة ودعاء عظيم .. لكن لتعلم الأمة ماذا يعني خادم بيت الله عز وجل .. وماذا يعني هذا الانتساب؛ خادم المسجد؛ خادم بيت الله .. ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وكفى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].



الصدقة اليومية
المتنوعة نجدة دائمة

الحديث السادس عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى[(١)] مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[(٢)].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: لابد من الدفع اليومي شكرًا:

في هذا الحديث دعوة عظيمة من رسول الله ﷺ أن يعتق المسلم كل يوم ما استطاع من مفاصله .. وثمن ذلك قد حدده رسول الله ﷺ، والمال لم يكن في هذا الحديث من ضمن الأثمان أبدًا، كما أن العبادة الفردية لم تمثِّل إلا قليلًا في هذه الأثمان، بينما أَخَذ نفع الآخرين الجانب الأكبر في صدقات المسلم ومفاصل حياته وعتقها في دنياه وآخرته.

ولو أعدنا النظر في هذا الحديث لربما تبين لنا أنَّا ما زالت أفهامنا عن مقصد رسول الله ﷺ في منأى .. فإن أكثر كلمة تكررت في الحديث هي كلمة صدقة ..

---

(١) السُّلامى: بضم السين وتخفيف اللام والميم مقصور: هو واحد السلاميات، وهي مفاصل الأصابع، قال أبو عبيد: هو في الأصل عظم يكون في فِرسِنِ البعير، فكأن المعنى: على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة.

(٢) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

فالصدقة عادةً ما تذهب إلى عملٍ نافع للآخرين؛ أي إنفاقٍ أو غير إنفاق نافعٍ للغير .. فإذا بالصدقة هنا صدقة عن النفس وعلى النفس إنما هي صدقة على نفس المتصدق .. صدقة على جسده .. صدقة على مفاصله .. وهي سلامى البدن، وسلامى المفاصل الواصلة لأجزاء البدن، وبهذا جعل النبي ﷺ الصدقة مني على نفسي، وجعلها مني على أعضائي، وليست على الآخرين وتقبلها مني عني شكرًا .. وليس منها صدقة واحدة فيها دفع مال ندفعه للآخرين مطلقًا ولا هو ثمن لعتق الآخرين، أو فك رهانهم؛ إنما هو عتق للنفس.

وإنما هي دعوة من رسول الله ﷺ نوع جديد من الصدقة هي [صدقة القوة]، أو صدقة العافية في البدن، وهذه أوسع بكثير من صدقة المال، فإن صدقة المال لا يستطيعها إلا المالكون، أما صدقة القوة فما من أحد إلا يستطيعها إلا بعض المعاقين، نسأل الله لنا ولهم العافية أجمعين، وعند كثير من المعاقين من القوة ما يعوضهم، ويزيدون عن كثير من أصحاب العافية في هذا الزمن.

ولهذا كان جزاء صدقة القوة من جنسها؛ وهي قوة في الأعضاء .. عافية في الأعضاء في الدنيا والآخرة، وحماية للأعضاء في الدنيا والآخرة.

وأعد النظر ثانية في الحديث ستجد ما ذكرته لك مفصَّلًا تفصيلًا.

الدعوة الثانية: فُكَّ عن أهل المقابر كما تفك عن نفسك كل يوم: كل يوم صدقة ..

نعم كل يوم؛ فلا ينبغي أن يمرَّ يوم بغير صدقة .. واليوم الذي يمرُّ بغير صدقة إنما هو يوم مُخيف .. يوم يجب أن يعوَّض، وفي هذا دعوة لأن يراقب المسلم شكره في يومه، ويحاسب كلَّ يوم نفسه على هذا ويزن عمله بهذه الأوزان .. وهي أوجبها وأقلها .. وهذا الفهم وهذه المراقبة يجعلان المسلم ناويًا كل يوم بكل عمله حتى يخلص من عتق مفاصله، وأقل هذه الصدقة صدقة واحدة في اليوم ..

وهذه الصدقات تجعل الاحتساب عند المسلم خُلُقًا، وتجعل الإحسان سجية،

وتجعل راحة النفس مرتبطة بذلك ارتباطًا مباشرًا، فإذا أصابه ضيق بحث عن دوائه في صدقة اليوم المفقودة.

وهذه شخصية لا يمكن لمخلوق غير رسول الله ﷺ صناعتها .. بل المسلم يحتاط لنفسه ما استطاع .. فإنه إذا ما كان يستطيع أن يعمل له وقفًا يدرُّ عليه كل يوم من الصدقات عجَّل به وجعله أطول ما يكون بقاءً، وأوسع ما يكون نفعًا.

وهنا ينفتح الباب أمامنا لأهل المقابر لنفك المرتهن منهم ممن لم يُخرج عن نفسه من هذه الصدقات، أو ممن فاته الكثير من الأيام بدون هذه الصدقات المخصوصة فارتهنت هذه الأعضاء هناك ... وما يصيبها هناك من مصير هو أعظم من مرضها في الدنيا، ولهذا فهي دعوة من رسول الله ﷺ لفك المرتهنين المحبوسة مفاصلهم، المرضى المتوجعين بترك العمل الذي كان لهم دواءً في الدنيا ووقاية، ولكنهم لم يأخذوا به، وهو هذا الحديث ... فيجعل ذلك كله في عمل واحد؛ بحيث يكون صدقة نافعة لأُناس كثيرين كل يوم إن أمكن ..

وبهذا يذهب كل ما كان يجده والدانا، أو أرحامنا، أو أصحابنا في حياة البرزخ ونحن لا ندري، ومَن كان عليه شيء قليل فسوف يكون هذا المشروع له بعد ذلك رِفْعةً في درجاته.

فتدبر كل نوع من أنواع الصدقات المذكورة هنا وسوف تجد أنها تتشعب إلى أنواع أخرى مناسبة للعصر الحديث من الصدقات.

وهذا العمل ليس بغريب من الأخ الحي للأخ الراحل قبله، كيف وهو أخوه الذي يعرف تقصيره ... كيف إذا كان أباه، أو ولده، أو شقيقه، والنبي ﷺ يقول: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»(١)، ويقول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ،**

(١) رواه مسلم (٢١٩٩).

وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ[(١)]**، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**[(٢)]»[(٣)]، وهذا طريق مفتوح بيننا وبينهم، فإنهم وإن كانت صحائفهم قد أُغلقت فصحائفنا نحن - بحمد الله - مفتوحة .. وهي تبعث بأعمال، وكفارات، وباقيات صالحات .. كما هو شأن الناس ونفقاتهم وإكرامهم وإهدائهم، ولا طريق لوصول الأجور مثل هذا الطريق، فنحن إنما نستودع الله ﷻ ذلك، والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»[(٤)]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ**» ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] الْآيَةُ[(٥)].

ولا ينبغي لي ولا لأي مؤمن أن تمنعه معصية أي مسلم .. أيًّا كانت معصيته أو كبيرته من تقديم ما يستطيع لمن يستحق النصرة والشفاعة حتى لو كانت فيه شبهة الكفر أو الارتداد؛ فلقد قال العباس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ**[(٦)] **الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(٧)].

---

(١) أَيْ: يَمْنَعُ تَلَفَهُ وَخُسْرَانَه، قَالَ فِي النِّهَايَة: وَضَيْعَةُ الرَّجُل: مَا يَكُون مِنْ مَعَاشِه كَالصَّنْعَةِ وَالتِّجَارَة وَالزِّرَاعَة وَغَيْر ذَلِكَ، أَيْ: يَجْمَعُ إِلَيْهِ مَعِيشَتَه وَيَضُمُّهَا لَهُ.

(٢) أَيْ: يَحْفَظُهُ وَيَصُونُهُ وَيَذُبُّ عَنْهُ بِقَدْرِ الطَّاقَة.

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٨) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٩)، والبزار (٨١٠٩)، والطبراني في مكارم الأخلاق (٩٢)، وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١١٣٠).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٧٧) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٥٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢٦٩).

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٨٥٧١)، وقال هيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١) رقم (٤٦١٨): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَتَادَةَ الْمُحَارِبِيُّ، وَلَمْ يُضَعِّفْهُ أَحَدٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

(٦) الدرك: بفتح الراء وإسكانها، لغتان فصيحتان مشهورتان، وقُرئ بهما في القراءات السبع، قاله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٤٤٢).

(٧) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

وحتى لو كنت أعلم يقينًا أنه تارك الصلاة، ولكنه مسلم يقول: [لا إله إلا الله] أأقطع شفاعتي عن أبي وأخي وأخي في الإسلام وهو ينتظر ذلك مني، وهو هناك أعلم بأن هذا ينفعه ويرفعه؟!

أأقطع شفاعتي والشفعاء قد شفعوا في أصحابٍ لهم لم يعملوا خيرًا قط؛ كما صحَّ في الحديث: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْـمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْـمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(١).

فهل الصلاة والزكاة والحج والجهاد وأمثالها أعمال؟

والجواب: نعم أعمال ..

فالنفي المطلق لهذا النوع من الشفاعة أنها لهذا النوع من الناس.

أما: توحيد الله، [لا إله إلا الله]؛ فهذا ما لم ينفه أبدًا رسول الله ﷺ.

مَن تعلق قلبه بهم لم يحتج إلى تكلف ولا فتوى ولا ترجيح .. وأي ترجيح يقابل قول الشفيع ﷺ، وفعل الشفيع ﷺ .. مَنْ ربط ذكرهم في ظلمتهم في قبورهم فظلمة الليل كما ربطها رسول الله ﷺ ويربط تنوير قبورهم بأعمالنا لهم لم ينسهم في صلاة الليل، ولا في صلاة النهار أبدًا، ولم ينسهم من أعمال الليل وأعمال النهار أبدًا، ودعاء الليل ودعاء النهار أبدًا، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**».

فهل مَن جعل نفسه كأبيه وأخيه وأخته والمسلمين احتاج إلى ترجيحات أحد، ربما تحرمه من إنقاذ نفسه الآن من العذاب .. فيوقف عمله ودعاءه وسعيه واجتهاده، وربما يظهر بعد ذلك أن الحق الذي هو حكم الله أنك لو شفعت لكانت الشفاعة لهم

(١) رواه مسلم (١٨٣).

مقبولة .. ولو دعوت لكانت الدعوة لهم مجابة، ولو تقدَّمت لما ردَّك الله ﷻ، بل لو كانوا مشركين لنفعتهم باجتهادك وإلحاحك كما نفع رسول الله ﷺ عمه أبا طالب، ففتح لنا ﷺ هذا الباب وما كان خاصًّا به .. فتقدم ولن تندم - بإذن الله -؛ فَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[١].



(١) رواه البخاري (٣٨٨٣) بنحوه، ومسلم (٢٠٩).



زائر المسجد زائر الله ﷻ

الحديث السابع عشر: «زَائِرُ اللهِ»:

عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَهُوَ زَائِرُ اللهِ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

دعوة رسول الله ﷺ الأولى: في سجل شرف الزيارة: دعوة من رسول الله ﷺ لكل مسلم من المسلمين أن يسجِّل لنفسه عند الله تبارك وتعالى [شرف الزيارة]، فإذا سجَّل اسمه في سجل هذا الشرف؛ فإنه لا بد أن يُدعى ليُعْطَى حقه، حتى لو كان ممن ذُهِبَ به إلى النار، بل حتى لو دخل النار، فمثل هذا لا يمكن إلا أن يدخل الجنة ويُعطى حقه وافيًا كافيًا، ومَن دخل الجنة مرةً لم يخرج منها أبدًا ... كيف يبقى الرجل في النار وعنده ضيافة من ربِّ العالمين، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(٢)، فهل الرجل الذي عنده دعوة من الله في الجنة بضيافة مرة أو ألف مرة أو أكثر يستطيع أحد من الخلق منعه من الحضور وعنده دعوتان لكل صلاة؛ واحدة عندما جاء إلى المسجد، وأخرى عندما رجع من المسجد، لأن الحديث واضح وقاطع «**أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»، فمَن ذهب إلى المسجد ولو مرة لا يحق له أن ييأس أبدًا من رحمة الله، ويجب أن تجذبه هذه المرة إلى ضيافة الله المرة تلو المرة، وتجذبه حتى يسجل له في ضيافة الله

---

(١) رواه الطبراني (٦١٣٩)، وقال الألباني: حسن.

(٢) رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

ونزله سبحانه مع كل صلاة ... فهل ترى رجلًا طوال أيام عمره له عن كل يوم دعوة، بل عشرات الدعوات .. ألا يكون قد غطى عمره كله، وحمى أيام عمره كلها - بإذن الله -، والله يغفر لمَن يشاء ويرفع مَن يشاء.

والعرب تستخدم الغدو والرواح للذهاب صباحًا والعودة مساءً، كما تستخدمه لمجرد الذهاب والعودة، كما قال الحافظ ابن حجر ﷀ: «**كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**» أي: بكل غدوة وروحة[١]، وقال ابن رجب ﷀ: ومعنى الحَدِيْث: أن من خرج إلى المسجد للصلاة فإنه زائر الله تعالى، والله يعد لَهُ نزلًا من المسجد، كُلَّمَا انطلق إلى المسجد، سواء كَانَ فِي أول النهار أو فِي آخره، والنزل: هُوَ مَا يُعَدُّ للضيف عِنْدَ نزوله من الكرامة والتحفة[٢].

وكم من مرةٍ سمعت الإمام يسلِّم من الصلاة وأنا في الطريق إلى المسجد فأَهِمُّ بالرجوع لعلِّي أجد من الأهل والأبناء مَن يصلِّي معي في جماعة .... إلا أنني أسائل نفسي: ومن أين آتي بضيافة مثل ضيافة الله؟! .. فأكمل الطريق ... وعادة ما أجد جماعة ثانية في المسجد، أو أجد مَن يصلي معي، فيجتمع الأجر والضيافة، وتعليل الضيافة في الجنة هو ما ورد في الحديث الأول: «**وَحَقٌّ عَلَى الْـمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ**»، فالله ﷻ كريم، وهذا رجل جاءه بيته سبحانه، فهل يعود بلا تضييف، بل يعود بأعظم ضيافة وتضييف ... يستلم الآن الدعوة إليها في كل زيارة يزورها ضيافتين؛ فضيافة للقدوم وضيافة للوداع، وهي على شرفه هو، وأما الدنيا فإنها لا تحتمل نور جوهرة من جواهر الجنة، ولا تحتمل حبة عنبٍ من عنب الجنة، فكيف بآنية الطعام، وقواريرها، وأكوابها، وموائدها .. مما لا يشبهه شيء أبدًا!

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٤٨).
(٢) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٥٣).

دعوة رسول الله ﷺ الثانية: سجل معك مَن تستطيع ممن رحلوا:

وكم يذكر الرجل حال الطاعة إخوانه المقصِّرين فيها وهم اليوم في قبورهم؛ كالذين كانوا يصلون إلا أنهم لا يأتون المسجد، ويتمنَّى أن لو لم يقصِّروا، فيحاول جبر تقصيرهم بالدعاء لهم بأن يجبر الله كسرهم، ويغفر لهم، ويعوِّضهم من عنده فضلًا وخيرًا، كما علَّمنا ربنا ذلك حين سجَّل دعاء المؤمنين بهذا؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالدعاء لهم ولنا بالمغفرة، وفي المغفرة الستر والجبر ..

وكم يحاول المؤمن المشفق على إخوانه وأحبته من أهل المقابر أن لو كان يستطيع تعويضهم، فيكل الأمر لله وفضله ومَنِّه وكرمه، والله يحب الشفاعة، وهكذا منهج المؤمن غاديًا ورائحًا في الشفاعة .. وربما دعا ربه أن يُشرك أخاه معه في هذه الضيافة والنُّزُل، أو يعطيه مثلها .. وهذا إكرام جديد من العبد لأخيه، والله يحب ذلك، ويحب الكرماء من خلقه، كما صح في الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»(١).

أو يباشر لأجل هذا الأمر، وما هو أكثر من ذلك بكفالة يتيم يربيه على القرآن والخلق الحسن، ويجعله من تربية المساجد، حتى يصبح داعية إلى الله هاديًا - بإذن الله - إلى صراط الله، ويجعله لنفسه مع والديه أو إخوته، وصاحبه ذاك الذي ذكَّره الله به يوم كان غاديًا للمسجد، فما أبركه من غدو، وما أبركه من رواح، وما أسرع إجابة الله عبده وهو منطلق إلى المسجد «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي**

(١) رواه الحاكم (١٥١)، والطبراني في الكبير (٥٩٢٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨٨) رقم (١٣٦٨٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ». وَرِجَالُ الْكَبِيرِ ثِقَاتٌ.

سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»(١)، وفضل الله لا حدَّ له ولا حسبة ترصده.

وهذا من ضمان الله تبارك وتعالى الخارج إلى المسجد؛ ضمان بالفكر والنظر والحراسة، وضمان الخاتمة إن ختم له؛ وضمان التوفيق والبركة حتى في الفكرة لمن أرادها وطلبها، وكانت مقصده وغايته في يوم من الأيام وفرض من الفروض؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِيَ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ»(٢).

فعنده ضمان من الله سبحانه في عيشه إلى خاتمته، وما بين ذلك.

وصاحب الفكرة الصالحة حين تتراقص بين عينيه فيرى فيها مشروعًا، ويرجو ذلك، ولكنه لا يملك خطامه ولا زمامه .. فيذهب إلى المسجد وهي همُّه وديدنه .. فإنه لن يدخل باب بيته حتى يكون قد وُلِدَ نورها واستهلت بشائرها.

فأي ضمان أعظم من ضمان الله عز وجل .. والسعيد من يفهِّمُه الله، ويقذف في قلبه اليقين بذلك، ويهديه إلى أحسن السبل لتحقيقه.

ثم هو لا ينسى إخوانه من أهل المقابر من الفضل العظيم، والضيافة المنقطعة النظير حين يذهب إلى الحرم وإلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحضر هذه النية من انطلاقته من بيته في بلده إلى هناك .. ويستحضرها كلما ذهب إلى الحرمين أو عاد، وهكذا أهل المسجد الأقصى .. فالمضاعفة هناك بكل شيء معلومة .. وفي ذلك العوض الكافي، وفيه من الإسباغ في الإكرام ما لا طاقة لأحدٍ بتصوره، والله أكرم مما يحسب العبد وما يترك.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣) باختلاف يسير.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٣١) واللفظ له، وأبو داود (٢٤٩٤)، وصححه الألباني.

الدعوة للطهارة الصحيحة
نجدة وقاية

الحديث الثامن عشر: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْـمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءٍ بِالطَّرِيقِ تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا الْـمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: دعوة للإنقاذ الفوري: طوق النجاة الأول:

دعوة رسول الله ﷺ في هذه الحادثة والحديث:

ألا نسمع إلى دعوة رسول الله ﷺ العظيمة من وراء الأحرف الظاهرة .. إنها وبكل وضوح دعوة بأن نقوم بدور الإنقاذ لهؤلاء المستعجلين كما قام به رسول الله ﷺ .. قبل أن ينشف ماء الوضوء.

فرسول الله ﷺ لا يملي أحاديث لتحفظ، ولا هو متفرغ للتنظير المكتبي، إنما هو الهادي إلى صراط الله الذي له ما في السماوات والأرض .. وهو الداعي للمخطئين، وهو النجدة للهالكين، وهو المنقذ لَمن أوشكوا على الهلاك قبل أن يهلكوا، كما هو الشفيع للهالكين بعدما يهلكوا.

وهو ﷺ مَنْ دلَّنا على مهمته الأولى هذه؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ

---

(١) رواه مسلم (٢٤١).

ﷺ يقُولُ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**»(١)، وما هذا التنبيه والتحذير الذي قام به رسول الله ﷺ هنا إلا قيام بمهمة الإنقاذ لمن هم سائرون للهلاك .. سائرون بأعقابهم إلى النار، **وأول المنازل التي تحرق بها تلك الأعقاب إنما هي المقابر** .. فلم يؤجلها ﷺ، ثم إنه هو يشفع لهم اليوم .. كما أن أول المنازل للحساب والعذاب هو القبر، وذلك على التهاون في شأن البول؛ كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ**»(٢).

ولا غرابة في هذا، وهذا مقتضى الحكمة، فإن الوضوء هو أول الطريق إلى لقاء الله؛ وهي الصلاة، وإن الحساب ابتدأ بأول شيء؛ فالأول هنا هو الأول هناك، وأول شيء يشرع فيه الإنسان هو الطهارة، وأول الطهارة الطهارة من البول والنجاسة بشكل عام، ولعل هذا إنما يشير لطول الحساب حتى إن كثيرين لا ينتهي حسابهم من البول وأعقابهم عليه طوال مرحلة البرزخ عياذًا بالله من ذلك.

كما أن أول مراحل الحساب الكبير في أرض الحساب إنما يكون على الصلاة؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ** تبارك وتعالى: **انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**»(٣)، وفي رواية:

(١) رواه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) باختلاف يسير.

(٢) رواه أحمد (٨٣٣١)، وابن ماجه (٣٤٨)، والحاكم (٦٥٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّاتِ، ووافقه الذهبي، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه الترمذي (٤١٣)، وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (٤٦٥)،

«أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»[(١)].

ولئن تمارس دور رسول الله ﷺ في إنقاذ الناس من فورك عند وقوع الخطأ وفي موقعه، وأمام مَن حضر ليرووا كما روى الصحابة رضي الله عنهم هذه الحادثة شهادة على أن هذه دعوة أخرى بأن لا تؤجلوا البيان عن وقت الحاجة، ولا تؤجلوا الدعوة عن موقع الدعوة وموقع الخطأ ... ورغم أن هذه الحادثة وقعت في عهد رسول الله ﷺ، وكل ما رآه الصحابة من رسول الله ﷺ أمروا به وقاموا بالواجب نحوه كما قام رسول الله ﷺ .. إلا أن هذه الخصلة ما انقرضت حتى هذا اليوم ... لهذا فلن يتحمل عنا أحدٌ إن قصَّرنا بهذا الواجب العظيم، لأنها سوف تكثر أكثر من ذي قبل .. معاذ الله؛ فمَن انقطع عند أداء هذا الواجب وترك .. فقد انقطع وتُرك عياذًا بالله من ذلك!

بل لا عذر لنا عند الله إن تركنا التعليم بها لمن لم يعرف، أو أهملنا صغارنا حتى يكبروا على الخطأ .. ومَن يدري فلربما عذر الله ﷻ الجاهل بجهله أو بحداثة إسلامه، وحَمَّل عقابه مَن عَلِمَ وكتم علمه ولم يُعلِّمه، فأحرق عقب المفرط بالنار هكذا سنة الله في المساكين، كما قال الله سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣- ١٦٥]، فما ذكَر الله ﷻ من الناجين أحدًا من الساكتين كما لم يذكر أحدًا من المشاركين، وإنما نجَّى ﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ فقط.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٨٥٩)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

الدعوة الثانية: دعوة للإنقاذ بالتعليم:

فمن أعظم الوسائل للقضاء على هذه الخطيئة هي تعليم جيلين؛ الجيل الأول: هو جيل الرعيل الأول، ويُنَبَّه عليهم بخطورة هذا الأمر وهم في ختام هذا العمر.

والجيل الثاني: هم الصغار، وذلك من خلال الأبوين، وكبار الأسرة أساسًا، وعلى الأخص الأم .. وكل مَن يتعلَّم ينبغي أن يُعلَّم تحمُّل هذه الأمانة فيطير بها إنقاذًا لمَن لم يفهم، ولم يعرف، وما زال على الخطأ قائمًا.

الدعوة الثالثة: إنقاذ أهل المقابر من وقع في هذا ورحل:

إنها دعوة من رسول الله ﷺ لنجدة أهل المقابر: فكيف يمكن إنقاذهم وقد كُتبت عليهم هذه الخطيئة في الوضوء؟

وأنا أعتقد أننا ما دمنا نأخذ هذه القضية أخذًا نظريًّا ... فلن تسعفنا عقولنا، ولن تتجاوب معنا همتنا ... لكن لو أيقنَّا بأن أبي رحمه الله هو مَن يعذَّب بهذا، أو أمي هي مَن تعذَّب حقيقة بهذا، أو أنه واحد من أجدادي هو مَن يعذَّب بهذا الآن .. هم مَن تُحرق بالنار أعقاب أرجلهم - لا قدر الله -، لأنهم كانوا متساهلين بهذا .. سوف نتخلَّى عن التفرُّج عليهم وهم غرقى في عذاب الله ... لعرفنا من فورنا طوق النجاة الذي ينقذهم ...

وأول فكرة ستحضر عندك إنما هي **طوق النجاة الأول**: أن أبيِّن أنا بنفسي هذا الذي بيَّنه رسول الله ﷺ كما بيَّنه، وأجعل ثواب ذلك أساسًا لي ولوالدي ووالديهما.

الدعوة الرابعة: هو أن أكفل معلِّمًا يعلِّم الناس كل ما يتعلَّق بالطهارة، فالعناية بالتطهر إنما هي من العناية بالصلاة نفسها؛ ألم يقل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وعلى الأخص هذه الأخطاء، فمن العادة أن مَن يخطئ في

غسل الأعقاب ونحو ذلك فإنما يشير إلى أن عنده أخطاء أخرى في قضاء الحاجة والطهارة منها، وعنده أخطاء في الغُسل كما في الوضوء، وسوء في أداء الصلاة ... وهذا يؤثر حتى على الصلاة كلها كما صح في الحديث عَنْ عَبْدِ الْـمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ شَبِيبًا أَبَا رَوْحٍ مِنْ ذِي الْكَلَاعِ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصُّبْحَ، فَقَرَأَ بِالرُّومِ، فَتَرَدَّدَ فِي آيَةٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «**إِنَّهُ يَلْبِسُ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الْوُضُوءَ، فَمَنْ شَهِدَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ**»(١).

فهذه الكلمة وحدها كافية لأن يراجع كل واحد في الأمة، وهم يومئذ جميع أصحاب رسول الله ﷺ آنذاك ومَن تبعهم ﵃ ... لأن يراجعوا كيفية طهارتهم، ومن أين دخلهم الخلل في هذا، وكيف يبلغوا الإحسان في الطهارة، فلا بد لي أن أجعل نيتي في كفالة هذا المعلِّم أو الشيخ أن يكون أجره لي ولمَن رحل من الآباء، والأبناء، والإخوة في النسب، والإخوة في الله، مَن عندهم أخطاء في مثل هذا الأمر عمومًا، وأسمِّي مَن أشاء ممن هم أشد حاجة إلى جبر نقصهم في هذا الجانب، عفا الله عنا وعنهم جميعًا.

والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»(٢).

وقوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْـمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣)، فهذه سُنَّة حَسَنَة بغير شك، وإحياء لسُنَّة حسنة، وتحقيق لطريقة مشروعه في سَنِّ سُنَّة حسنة، وهي كفالة داعية، أو طالب علم.

---

(١) رواه أحمد (١٥٨٧٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤١) رقم (١٢٤١): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

الدعوة الخامسة: معرفة سِرِّ الخطأ .. فهو طوق النجاة:

في هذا الحديث دعوة رسول الله ﷺ: إلى التدبُّر .. التدبُّر: لم يكن سِرُّ الخطأ عند هؤلاء هو جهلهم، ولكن كان السِّرُّ هو تعجُّلهم، لهذا قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو مشاهد لهذا الحدث، فقال: «**فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ**» ....

فالتدبر في الوضوء يشحن الوضوء بالمعاني الإيمانية التي تنبعث من القلب إلى القلب، ومن القلب إلى كل محيط الإنسان حتى جلده المحيط به .. خشية وخشوعًا وتجاوبًا .. وكأن الوضوء جزءٌ لا يتجزَّأ من الصلاة .. أليس الوضوء - كما سمَّاه رسول الله ﷺ - مفتاح الصلاة؛ فقال ﷺ: «**مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ**»[(١)]، بل جعله رب العالمين في الصلاة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، وأنا أعلم أن العلماء هنا يقدرون محذوف؛ وهو [إذا أردتم القيام إلى الصلاة]؛ إلا أن تقدير المحذوف نفسه شاهد أن المعنى هو أن الوضوء من الصلاة، وفي الصلاة، ولذا احتاج إلى تقدير محذوف، فشأن الوضوء عظيم .. وإلا فالأصل أن يكون المعنى إذا توضأتم ثم قمتم إلى الصلاة فكبروا تكبيرة الإحرام، وادخلوا في الصلاة بعدما تكونوا توضأتم؛ فكم في كلام الله من عظمة وعلو، بل هو العلي الكبير كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، وكم أعلى الله ﷻ هنا وأحكم أمر الوضوء.

---

(١) رواه أبو داود (٦١)، والترمذي (٢٣٨)، وابن ماجه (٢٧٥)، وأحمد (١٠٠٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

والتعجُّل في أداء كل ما يكون قبل الصلاة أو في الصلاة مفسد للتدبر، مذهب للخشوع والخشية، في كل مرحلة من المراحل قبل الصلاة، وتركيز الأثر كله في الصلاة ...

ولذلك كانت هذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى إنقاذ مَن هو سائر إلى عذاب القبر ممَّن لا يستنزه من بوله ممَّن يجهل ذلك، أو ممَّن يستعجل قضاء الحاجة فيصاب بالنجاسة وهو لا يدري، وقد صح في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ**»(١).

وهذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى السائرين مع الأيام والأعمار كل ساعة نحو عذابٍ في القبر باشتعال النار بين أصابع أرجلهم وأيديهم، ولا يمكن الخلاص منها، كما صح في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ وَيُخَلِّلُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَيُدَلِّكُ عَقِبَيْهِ، وَيَقُولُ: «**خَلِّلُوا بَيْنَ أَصَابِعِكُمْ، لا يُخَلِّلُ اللهُ تَعَالَى بَيْنَهَا بِالنَّارِ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»(٢).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ، فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى(٣).

وهذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى النهوض صفًّا واحدًا في وجوه الزاحفين نحو عذاب القبور وقبور العذاب؛ حيث يقول النبي ﷺ: «**أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ**»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٨٣٣١)، وابن ماجه (٣٤٨)، والحاكم (٦٥٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّاتِ، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الدارقطني (٣١٧)، وقال الزيلعي في نصب الراية (١/ ٢٦): وَفِيه: عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ، وَلَقَبُهُ سَنْدَلٌ، قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: مَتْرُوكٌ.

(٣) رواه مسلم (٢٤٣).

(٤) رواه أحمد (٨٣٣١)، وابن ماجه (٣٤٨)، والحاكم (٦٥٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّاتِ، ووافقه الذهبي.

وهذه دعوة من رسول الله ﷺ للتدبر في الصلاة قبل الصلاة، فذاك التدبر إنما هو المادة التي تجمع قبل الصلاة لتوقد في الصلاة، وهي صناعة الأرضية الخاشعة القوية العميقة التي تقوم عليها الصلاة، فالتدبر عند لبس الثياب، وعند التطيب، والتدبر عند الخروج من البيت إلى المسجد، والتدبر طوال الطريق إلى بيت الله .. ومَن سمع بأذنيه إقامة الصلاة لا ينبغي له أن يسرع أبدًا، فإن الإسراع والتعجُّل إذهاب للخشية والخشوع، وقد صح في الحديث عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**»، قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»[1].

وهي دعوة من رسول الله ﷺ للسكينة في الصلاة، وإعطاء كل هيئة من هيئات الصلاة حقها من السكينة والتدبر والخشوع، فكل ما سبق إنما هو من أجل هذه اللحظات؛ لحظات لقاء الله العزيز ﷻ.

فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا**»، أَوْ قَالَ: «**لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ**»[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْـمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٣٥) واللفظ له، ومسلم (٦٠٣).

(٢) رواه أحمد (٢٢٦٤٢) واللفظ له، والدارمي (١٣٥٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٦٣)، وقال الهيثمي (٢١٢٠) رقم (٢٧١٩): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[١].

الدعوة السادسة: طوق التكفير عمَّن في القبور:

فكم في دعوة رسول الله ﷺ من دعوة ومشروع عظيم تطير به الأمة لتنقذ طهارتها وصلاتها ... قليل من الاستعجال وقليل من التهاون فإذا بها تنقل أحبابها الراحلين من الضيق والعذاب، ومن الصراخ في البرزخ الذي ربما لن ينقطع - لو بقي على حاله - حتى قيام الساعة، فإن الوقت هناك يختلف، إنه عالم من عالم الغيب اسمه البرزخ، وإن ذنبًا يستغرق هنا لحظة ربما امتد هناك سنين .. وإن فعلًا لم يكن أكثر من توقيعٍ بإقامة مشروع ربوي ربما استغرق عقابه من لحظة دفنه في قبره وانتقاله إلى عالم البرزخ إلى قيام الساعة، ثم بعد ذلك يتحول إلى عذاب جهنم - عياذًا بالله من ذلك - ، والحديث في هذا واضح.

وهنا لا شيء يعالج هؤلاء الذين فرَّطوا في أمر الوضوء والطهارة مثل تعليم الناس الذين يقعون فيما وقع فيه مَن فرَّطوا من قبلهم .. رجالًا ونساءً حتى تنقطع سلسلة المسيئين في الطهارة في الأماكن التي نعيب على أهلها بالجهل بالدين من قرى أو بادية أو بلاد يشيع فيها الجهل بالدين، وأول ذلك الإحسان في التطهر والوضوء والاغتسال ونحو ذلك.

إنه انتشال بانتشال .. فانتشال هؤلاء الأحياء من موجبات عذاب القبر جزاؤه انتشال للمعذبين الذين يعذَّبون الآن في القبر، أو رفع لدرجاتهم إن لم يكونوا كذلك، ولعل فيه الاثنين ... فهو إنقاذ سريع لهم .. ويبقى رفع الدرجات لهم مستمرًّا ما استمر المشروع.

---

(١) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) مختصرًا.

وهذا المشروع يمكن أن يكون بالتعليم في الحلقات في المساجد، وإدخاله في المناهج الدراسية، وكذلك بالمشاهد التمثيلية الإعلامية .. وبكل أسلوب جديد موثق وماتع، ينقل بالعلم مجموع مَن لا يستتنزه من بوله من الأمة حتى يُغطى بأمثاله الجموع كلها - بإذن الله -، فننقذ أعدادًا لا يعلمها إلا الله في القبور، ولعلنا ننقذهم جميعًا، فاللهم يا رب حقق ذلك وبارك فيه.



نجدة صاحب قبر يحترق

الحديث التاسع عشر: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ»:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ[١]، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ، فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا»[٢].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: حماية الأحياء أولًا:

لم يذكر رسول الله ﷺ هنا ذنبًا هو سببٌ للاحتراق، ولكنه خاطب الجميع بهذا .. وأنه إذا جاء عقاب مطلق قادم فالمقصود الأول هو العذاب في القبر، لأنه الدار الأولى من الآخرة، وعلى أنواع مختلفة من الذنوب، وقد ثبت ذلك في الأحاديث الكريمة ..

إذًا فإنه إن قيل: إن القبور تشتعل على أناس نارًا، فذلك صحيح؛ ذلك هو البرزخ الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) تحترقون: تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (١٢١)، والأوسط (٢٢٢٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٩) رقم (١٦٥٨): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ إِلَّا أَنَّهُ مَوْقُوفٌ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُ الْمَوْقُوفِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرِجَالُ الْمَرْفُوعِ فِيهِمْ عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، وقال الألباني: حسن صحيح.

دعوة عظيمة من رسول الله ﷺ: إلى المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها، وإلا فإن تأخيرها عن وقتها إنما يعني استمرار الاحتراق، وهكذا فإن الإنسان يحرق نفسه ولا يدري، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الخطورة عظيمة في شأن الصلاة، فكل أحد يعلم أن المقصود بقوله: «**تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ**»: إنما هو تذنبون تذنبون، أي هو فعل ما يلزم العذاب، لكن قول النبي ﷺ هذا إنما هو لشدة الفرار من التهاون في شأن الصلاة وشأن مواقيتها ...

ولهذا فإن الاحتراق حاضر لمجرد إخراجها عن وقتها تهاونًا في شأنها، ومع أن المقصود هو الذنب لذا غسلت الصلاة الذنوب كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا**»[1]، إلا أن المعنى المباشر إذا جاءت الصلاة غسلت النار غسلًا، فلم يعد لها وجود ولا لها أثر إحراق ولا احتراق ... فالصلاة لم تترك للنار فرصة تتمكن فيها من جسد الإنسان وبدنه ... حقًّا إن هذا الحديث مرعب ... والتهاون فيه مُوقِعٌ للإنسان في الاحتراق .. فما أقرب النار من الإنسان - عياذًا بالله من ذلك -، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[2].

الدعوة الثانية: لنجدة هؤلاء من أهل المقابر:

إنها دعوة من رسول الله ﷺ **واضحة** لأن نفكّر أول ما نفكر فيمَن قد سبقونا فأصبحوا من أهل المقابر وحق على بعضهم ما حَذَّر منه رسول الله ﷺ من الاحتراق ...

وكم من الناس مَن حق عليه الإحراق في قبره وبرزخه، وأهله والناس لا يعلمون،

---

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

ونِسب الإحراق والاحتراق ليست واحدة، إنما هي مختلفة، ولكن كلٌّ بحسبه، والأمر واضح أن العذاب يحق بترك فريضة واحدة متعمِّدًا، ثم لم تُقضى، وإذا كان رذاذ البول وعدم الاستنزاه منه أشعل قبرًا بالعذاب، فما بالك بذهاب الصلاة كلها، وهي الركن الأعظم والأول من أركان الإسلام بعد الشهادتين ...؟!

فكم في أهل المقابر من المسلمين الآن مَن يحترقون يحترقون، وذلك منذ أول يوم دُفنوا فيه حتى هذا اليوم، إلى يوم لا يعلمه إلا الله .. فاللهم اعف عنهم جميعًا.

فما هو الواجب علينا نحو هؤلاء .... أم نقف نتفرج عليهم وقد أرانا رسول الله ﷺ بشرًا يحترقون منذ أول لحظة فارقوا فيها الحياة ودُفنوا في قبورهم ... وهل من سبيل لإنقاذ آباء، وأمهات، وإخوة، وأخوات، وأصحاب وأحباب، وإخوة في الإسلام قصَّروا في هذا الجانب؟!

وكم في بناء المسجد الذي تُقام فيه الصلوات الخمس من إطفاء لذلك الاحتراق ... فإن كل مَن قام في هذا المسجد وقعد، وكل مَن صلَّى، واعتكف، وسجد لله فيه، فإن لمَن بُنِيَ له المسجد حسب نية مَن بناه له .. مثل أجر كل أحد منهم .. فالصلاة مقابل الصلاة، والوضوء مقابل الوضوء، والكسر يُجبَر بمثله، والعضو مقابل العضو، والنار التي أوقدت على هذا وذاك جاءها إطفاؤها في هذا المسجد وزيادة؛ إذ كل فردٍ هنا من هؤلاء مقابل واحدٍ من الذين يحترقون، فكيف إذا جاءت صفوف المصلين عن كل فريضة يصلونها مقابل الفريضة التي قصَّر فيها صاحبنا هذا أو ذاك ... وهكذا يعظم الفكاك - بإذن الله - ويفيض.

فليس إنشاء المسجد أمرًا عاديًّا، كيف إذا أصبح هذا المسجد مقرًّا لتعليم القرآن العظيم، ولتعليم الطهارة والصلاة وتطبيقها في المسجد، كيف إذا أصبح مركزًا للنور في الحي وفي البلد ...

ومن الصدقات الجارية المطابقة لهذا الأمر، والتي أسأل الله ﷻ أن تكون سببًا

لتخليص مَن عملت له من تلك الورطة العظمى «**تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ**»، وهو حفر بئر، أو إجراء نهر وهو أعظم، أو كراء نهر يحتاج إلى كراء، أو عمل محطة تحلية مطهرة للماء من الشوائب، أو عمل خزان كبير لأناس لا ماء في قراهم .. وما أحسن العمل إذا طال عمره واتسع نفعه وحسنت صيانته، وجعل ماءه سبيلًا في سبيل الله، وهو لفلان هذا أو غيره من المسلمين ..

وفي البئر أجرٌ عظيم، ونصٌّ معروف؛ فَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: «**الْـمَاءُ**»، قَالَ: فَحَفَرَ بِئْرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ(١).

وعلة كون البئر هو النافع لأهل المقابر خاصة .. **أولًا**: أن أكثر ما يعاني منه أهل المقابر إنما هو الحرّ، فكيف بالحريق .. فالماء للحريق أساسًا، والنار يطفئها الماء، ولقد صح ما يقرب هذا العلاج لتطبيقه هنا؛ فَعَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ ﵁ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْـمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»(٢)، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْـمَاءُ النَّارَ**»(٣).

والثاني: أن الماء حياة ومصدر حياة للأحياء، ورب العالمين يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهذا الذي في عالم البرزخ إنسان في نعيم أو في عذاب هناك، والماء يعيد لهذا المعذَّب حياته وسعادته.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٨١)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أحمد (١٧٩٨٥)، وأبو داود (٤٧٨٤)، والطبراني في الكبير (٤٤٣)، وقال محقق جامع الأصول (٨/ ٤٣٩) رقم (٦٢٠١): وهو حديث حسن، وقال الأرنؤوط في تحقيقه لجامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٦): سنده حسن.

(٣) رواه الترمذي (٢٦١٦) واللفظ له، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والحاكم (٨٣٠٢) بدون زيادة «كَمَا يُطْفِئُ الْـمَاءُ النَّارَ»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

وثالثًا: لأن في الماء أجرًا ما جرى، فإذا جرى الماء جرى الأجر مستمرًّا إلى أن ينقطع، والله يضاعف لمن يشاء، ومن المعلوم فإن ﴿ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، وهل احترق هذا أو ذاك إلا بسيئاتهم؟!

ولربما يحفر رجلٌ بئرًا، فيجتمع حوله بيوتات قليلات، ويبقون فترة وهم في ازدياد، فينقطع ذلك الماء .. فلا ينقطع أجر هذا الرجل، لأن سبب اجتماع الناس الأساس هو البئر الذي حفره .. والناس لما تكاثروا لم يكتفوا بهذا البئر، بل حفروا غيره وغيره حتى أصبحت [الدويرة] قرية، وربما تصبح القرية قرى، وربما أصبحت القرى مدينة، والأصل ذلك البئر.

الدعوة الثالثة: إيصال البراءة الفورية لهم من النار:

ومن الطرق المطابقة لعلاج: «**تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ**» من أثر التقصير في أمر الصلاة والعدوان عليها، هو الصلاة نفسها، وصلاة الفريضة نفسها، وذلك بأن تنتقي رجلًا من المساكين الذين غالبًا ما يكونون قد ذهبوا مرة أو مرتين في حياتهم للحج والعمرة، وتُكَلِّفه لِيُلَبِّيَ عن [فلان] الوالد، أو الأخ، أو الأخت، وتجعله يذهب إلى المدينة ويجلس فيها على الأقل ثمانية أيام كاملات أي يصلي فيها «**أَرْبَعِينَ صَلَاةً**»، ليتحقق في عمرته هذه ما أخبر به النبي ﷺ من براءة من النار، فتصله هناك من نورها - بإذن الله -، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً، لَا يَفُوتُهُ صَلَاةٌ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»[(١)].

الدعوة الرابعة: إهداء البديل المضاعف فورًا لهم: كما مرَّ معنا في الحديث السابق:

يذهب ذاك المعتمر ليعتمر ويجلس في مكة عشرة أيام ليصلي فيها جميع الصلوات في الحرم؛ فالنبي ﷺ يقول: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ،**

---

(١) رواه أحمد (١٢٥٨٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٨) رقم (٥٨٧٨): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

إِلَّا الْـمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْـمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»(١)، وهكذا فكل شيء هنا مضاعف، لكن القصد هو هذه المضاعفة المنصوصة في هذا الحديث؛ فالفريضة بمائة ألف فريضة .. وإذا لم تكن فائدة هذه المضاعفات في جبر النقصان فلأي شيء أولى من هذا تُعَدُّ وتُرَاد ..

فمجموع الصلوات المفروضات مع المضاعفات في الحرم لهذا الرجل تكون مائة ألف صلاة مفروضة في خمس صلوات مفروضة في اليوم في عشرة أيام؛ فاحسب والله يبارك.

ثم لنقسمها بمضاعفاتها على طول عمر الرجل ذاك الرجل، ولنفرض أن عمره سبعون سنة، فإذا حذفنا منها خمس عشرة سنة وهي ما قبل البلوغ أصبحت خمسًا وخمسين سنة من التكليف، إذًا يكون مطلوبًا لـ ٥٥ سنة x ٣٦٥x ٥ صلوات= ١٠٠٣٧٥ صلاة. هذا هو ما عليه من الفرائض طوال عمره، وإذا صلى في الحرم طوال عشرة أيام يكون مجموع صلوات الحرم ١٠ أيام x ٥ فرائض= ٥٠ صلاة، ٥٠ صلاة في الحرم x ١٠٠ ألف= ٥٠٠٠٠٠٠ خمسة ملايين صلاة، فإذا أردنا أن نقسمها لنستخرج عدد السنوات فنقول: ٥ فروض x ٣٦٥= ١٨٢٥ صلاة نصليها في السنة، فعدد السنوات لعمر شخص صلى عشرة أيام في الحرم يكون ٥٠٠٠٠٠٠ / ١٨٢٥= ٢٧٣٩.٧ سنة تقريبًا .. فإذا أضيف لها النوافل كان الأمر عظيمًا وفوق التصور، والله يضاعف لمن يشاء، واحسب بعد ذلك صلاة الجنازة التي نادرًا ما تفوت صلاة من الصلوات الخمس ليس بعدها صلاة جنازة .. كم أجرها الأساس، وكم أجرها في المسجد الحرام ... فاللهم تقبَّل، ولا يمنع حصول الأجر للنائب عدم وصول الأجر إلى مَن ناب عنه؛ كما في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه «**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: الْـمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ،**

(١) رواه أحمد (١٥٢٧١)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»[(١)].

والشاهد من هذا أن هذا الصغير لا نية له، كما أن الميت لا نية له، وأن هذا لم يطلب، كما أن الميت لم يطلب، وأن هذا أُهدي له، كما أن الميت أُهدي له، وأن الله ﷻ يقبل الوكالة عن هذا، كما أن الله يقبل الوكالة عن الميت، والحمد لله رب العالمين.

الدعوة الخامسة إلى الإنقاذ في كل صلاة:

كل صلاة في توقيتها تُذكِّر بأناسٍ في القبور خاصة، كما تذكِّر بجميع أهل المقابر بشكل شامل .. فإذا لم يذكر مَن هو بين يدي الله الآن وهو في صلاته مَن أصبح منذ فترة بين يدي الله في الدار الآخرة .. فمَن يتذكر؟!

كم تذكِّر صلاة الظهر وخصوصًا في الصيف بحرِّ أهل المقابر! كم تذكِّر صلاة العصر والحرُّ بَدَأَ بالرحيل، والنور بدأ بالرحيل عن الدنيا، واقترب الليل البهيم .. ثم تأتي صلوات الليل من المغرب إلى الوتر إلى الصبح إذا تنفَّس ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧، ١٨]. إنه لا يحمل عزاءك لنفسك فحسب، بل يذكِّر أساسًا بمَن هم هناك .. في كل هذه الفترات وأنت في كلها تُصَلِّيها .. فإذا تذكرتهم فاجعل لهم من صلاتك هذه دعوة صادقة .. الظلمة تُذكِّر بالظلمة، والنور عندكم يذكِّر بالحرمان منه هناك، والحرُّ بالحرِّ، وزوال الحرِّ هنا ببقائه ودوامه، وهناك ... ولسان حالهم يقول: إن أَزِرَّة تغيير حالنا إنما هي عندكم .. فصلاتكم نفسها تذكِّر بانقطاع أعمالنا .. فاذكرونا قبل أن تلحقوا بنا .. ليذكركم مَن وراءكم .. فالنبي ﷺ حين ذكر كل صلاة باسمها، ثم ذكر بينها قوله: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ» ليدل على أن للتوقيت حكمة، وأن للصلاة خاصية إطفاء هذا الحريق، وبدون الصلاة فالحريق مستمر متواصل متزايد متراكب من الصلاة إلى الصلاة، فاذكرونا فنحن في صلب الموضوع ودار الحساب،

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٦).

وذكركم لنا لن ينقص من أجوركم شيئًا أبدًا، بل يضاعفها، لأن لك مثله بالإضافة إلى ما هو لك.

وكم تُذكِّر حركات الصلاة بكل أركانها وحركاتها بالشفاعة لأهل القبور، وإشراكهم في الدعاء، والاستغفار، والعمل الصالح، والدار الآخرة، والشفاعة هناك .. فإن أعظم الشفاعة لأعظم شفيع هي الشفاعة العظمى .. وقد بيَّن النبي ﷺ أنه يؤذن له بالشفاعة بعد سجدته الطويلة .. بعدما يرفع رأسه من السجود، أي بما يقابل عندنا جلسة الاعتدال من السجدة، فما كان في السجدة إنما هو الثناء على الله، ومحامد الله ﷻ، أما بعد السجدة فكما قال النبي ﷺ: «**فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١)، وهنا نعود إلى جلسة الاعتدال في كل صلاة، وماذا نقول فيها: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْفَعْنِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي**»(٢)، وفي رواية: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»(٣)، ومجموعُ هذه الرِّواياتِ وألفاظِها سبعةٌ: (اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وارْحَمْني، وعافِني، واجْبُرني، وارْفَعْني، واهْدِني، وارْزُقْني) .. وماذا نحتاج في قبورنا، وماذا يحتاج الآن مَن هم في قبورهم إلا أن يهبهم الله هذه الكلمات .. وأي شيء يكلفنا لكي نوصلها إليهم إلا أن ننويها في قلوبنا .. أو نقول في ختامها: [ولوالدي، وأرحامي، وصحبي، والمسلمين، والمسلمات]، أو تجعل النية وتقول: ربنا اغفر لنا وارحمنا .. بضمير الجمع، ونحن ننويها لهم وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

سبحان الله: فما أعظمها من دعوة مناسبة لأهل المقابر، فأي شيء يحتاجه مَن في

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠).

(٢) رواه أحمد (٣٥١٤)، والطبراني في الكبير (١٢٣٤٩)، والحاكم (١٠٠٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٧٥٠)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط: حسن.

(٣) رواه أبو داود (٨٥٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

قبره أشد من حاجته لمغفرة الله ورحمته، وماذا يحتاج أكثر من عفو الله وعافيته؟! إذًا فماذا جاء في أول دعاء في هذه الجلسة «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي»، فتدبر؛ ماذا يقول في دعائه حينما صلَّى على الجنازة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ**»(١).

وكذلك بم أوصى النبي ﷺ عند الفراغ من دفن الميت؟ يقول ﷺ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»(٢) .. تدبر كل كلمة في هذا الدعاء الجامع العظيم وحاجتك لها الآن، وتذكر أن شدة حاجتك لها وأنت في قبرك أعظم بما لا يُحصى .. إذًا وكذلك حاجة مَن في المقابر الآن هي الحاضرة والقائمة .. ودعاؤك هذا هو مطلوبهم، وإعطاء الله إجابة دعائك الآن لهم لا ينفده ولا ينقصه شيئًا أبدًا، بل يضاعفه لك بعدد مَن أضفتهم وضممتهم في دعوتك .. فكل واحدٍ محتاج إلى المغفرة «**رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، ومَن تجاوز الذنوب فغفرت له احتاج إلى «**وَارْحَمْنِي**»، وكم من واحد كسر ظهره، أو ساقه، أو عضده ذنب من الذنوب، فجاء جواب دعائك: «**وَاجْبُرْنِي**»، حتى الدعاء لأهل الآخرة بالنصر، وأي نصرٍ أعظم فرحًا من الانتصار في الآخرة على الشيطان - لعنه الله - والذنوب، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، فكل كلمة في الدعاء ما بين السجدتين دعاء للدارين .. وشفاعة عظيمة حاضرة في كل يوم سبع

---

(١) رواه الترمذي (١٠٢٤)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٥١)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد (٨٨٠٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٣) رقم (٤١٦٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٢١) واللفظ له، والبزار (٤٤٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٥)، والحاكم (١٣٧٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه النووي في الأذكار (٤٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني.

عشرة مرة، بل أكثر .. فلا تنسَ ذلك إذ أنت تمارس الشفاعة وأنت لا تدري .. وأنت تمارس الشفاعة لأرواح تنتظرها لتنجو، وأرواح تنتظرها ليرفع مقامها .. وأرواح ليفك عنها رهنها وحبسها، وأرواح وأرواح .. فالصلاة أعظم صلة بيننا وبينهم، وشفاعتها أعظم حبل ما بيننا وبين أهلينا ومَن سبقنا هناك، فاللهم [اغفر لنا، وارحمنا، وعافنا، واعف، عنا، وارزقنا، وانصرنا، واجبرنا، وارفعنا].



نجدة النساء بعضهن بعضًا

الحديث العشرون:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ[١]: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ»[٢].

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

أطواق النجاة للنساء:

الدعوة الأولى: الطوق الأول للوقاية:

لقد قدَّم رسول الله ﷺ الدعوة وأمر بها أمرًا قبل أن يذكر الأمر الذي دعاه لذلك؛ فقال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ**»، وما يقدِّم النبي ﷺ هذا الترتيب إلا لأمر عاجل، ونجدة لا تحتمل التأخير ... والأمر كذلك، فلقد رأى النبي ﷺ النار ورأى أكثر أهلها النساء، ولهذا رجع لمَن رآهن منذرًا محذِّرًا .. منجدًا منقذًا، وهؤلاء الذين رآهن في النار يعذبن، إما أنهن في جهنم نفسها وهذا واضح، وإما أن يكنَّ في القبر يعذبن، ولو

---

(١) جَزْلَةٌ: بِفَتْحِ الْجِيمِ وَإِسْكَانِ الزَّايِ أَيْ: ذَاتُ عَقْلٍ وَرَأْيٍ، قَالَ ابن دُرَيْدٍ: الْجَزَالَةُ: الْعَقْلُ وَالْوَقَارُ.

(٢) رواه مسلم (٧٩).

كان الاحتمال أنهن يعذبن في جهنم فهذا دليل واضح على أنهن كن يعذبن في القبر ولم ينتهِ عذابهن في فترة البرزخ، فكان إكمال العذاب والعياذ بالله في جهنم، وهذا الأمر هو ما يبين السرِّ العظيم الذي دفع النبي ﷺ إلى تقديم الدعوة الصريحة إلى الإنقاذ، بل إنه أعطى الدواء المنقذ ولم يتركه للاجتهاد، وحدد الـمَعْنِيين ولم يجعل الدعوة عامة للمسلمين؛ فقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**».

إن رقة النبي ﷺ جاءت من أنهن نساء، وأي الرجال يقوى على عذاب الله، لكن ما أعظم الشفقة على المرأة وهي تعذب بالنار ... ورسول الله ﷺ رأى مَن رأى منهن يعذبن بالنار ... والله أعلم كيف كن يعذبن .. إلا أن الذي ظهر أن عذابهن النار نفسها ... فما أصعب الأمر على نفس رسول الله ﷺ وقد رآهن بنفسه وهو الرحمة المهداة.

لكن انظر كيف اصطنع النبي ﷺ لهذا الموقف دواءه وعلاجه اصطناعًا .. كيف فصَّله تفصيلًا .. كيف جاء بالمقاسات التي بها تكون الوقاية من النار، وكيف تكون النجاة من النار.

«**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ**»: هذان الأمران اللذان تحتاج لهما النساء؛ **أما الصدقة**: فلأن طرفًا من الذنب متعدٍّ للآخرين وعدوان على الآخرين، فاحتاجت إلى الصدقة على الآخرين، إذًا فالصدقة متعدية للآخرين بطبعها وحقيقتها، وهذه هي الأنسب لذنب العدوان على الآخرين وهو ما طبعت عليه النساء.

وأحيانًا يكون الذنب قاصرًا على النفس غير متعدٍّ على الآخرين؛ كأن تلعن المرأة نفسها، أو تشتم نفسها، أو نحو ذلك.

فكان الاستغفار الذي هو الأنسب لهذا الذنب القاصر .. إلا أن العلاج منه ضرورة قبل أن ترحل المرأة وتنقطع القدرة عن الاعتذار ... بل إن النبي ﷺ أراد أول ما أراد في هذا الأمر الجازم العاجل والصريح أن يوقف المؤمنات عن الذهاب إلى النار ...

كفى ذلك أنه أوضح لهن مصير مَن رآهن ﷺ، فلتعتبر المؤمنة الباقية والقادمة إلى يوم القيامة من الوقوع في اللعن وفي كفران العشير.

الدعوة الثانية: طوق النجاة الثاني: لتقمن جميعًا لإنقاذ بعضكن:

فلا توجد دعوة أعظم من أن يقول مَن هو أرحم الناس بأمته ﷺ: «**فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» ... ومع أني رأيتكن إلا أنه لا يأس أبدًا والإنقاذ ممكن، بل واجب لمَن وقعوا في النار، كما أن الوقاية للأحياء والمؤمنات القادمات واجب ... فنحن موقفنا ممن ذهبن إلى الدار الآخرة الاستغفار لهن، فهن أحق، وهو هدي المؤمنين الذين امتدحهم الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وفي الحديث «**وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ**»، فإذا دَعَوْنَ لإخوانهن في الإيمان بالمغفرة؛ فهذا يعني حمايتهن من النار بإذن الله، إذ القاعدة «**آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١).

ثم إن ابتداء خطاب رسول الله ﷺ قد حدَّد الخطاب تكُنَّ - أيتها المؤمنات -، فالمرأة إذًا أولى بالمرأة ... والمرأة أغير على أختها .. والمرأة أعلم بطرائق بعضهن .. ولهذا فقوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**» إنما هو دعوة من رسول الله ﷺ إلى النساء أن ينقذ بعضهن بعضًا، وأن يَكُنَّ داعيات إلى الله .. وأن يحملن دعوة رسول الله ﷺ، ولا يسعهن إلا أن يكن داعيات، بل منقذات؛ وأن كونهن منقذات وذلك لأن رسول الله ﷺ أخبرهن بأنه رأى منكن مَن يعذبن الآن ... فهل المقتضى واللازم هو أن ينهض منكن مَن يقمن لإنقاذهن، أم يقوم جميعكن للإنقاذ .. إنها النتيجة التي تقول: إن الدعوة واجبة بين النساء مثل الرجال وأكثر، وذلك لهذا الموقف: «**فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» ...

والصحابية ﵂ التي سألت رسول الله ﷺ: «**وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟**»

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣).

ما سألته اعتراضًا، فإن مَن يسأل هذا السؤال إنما يريد معرفة السبب، لِيَسْعَى في علاجه وردعه والقيام بواجبه.

والحقيقة أن دعوة رسول الله ﷺ هذه ينبغي أن تشيع في النساء، لا أن تطيل ألسنة الإباحية، والإلحادية، والزندقة، والإلحاد بينهن ... فالغيرة يا معشر النساء منكن على بعضكن ... وخصوصًا في هذا الزمان، فهذا سبيل رسول الله ﷺ بشكل عام ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] للرجال والنساء، ولكن يا معشر النساء دافع الضرورة في الدعوة بينكن قوله ﷺ: «فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، وما بعد هذه الضرورة من ضرورة.

الدعوة الثالثة: عفو الزوجين عن بعضهما ضرورة:

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

حذار أن يقطع المرء الصلة بزوجته بعدما ماتت على أنه وقع بينه وبينها خلافات، وأنها نغَّصت عليه حياته، سواءٌ ماتت وهي على ذمته، أو لم تكن على ذمته، فلقد أمر الله ﷻ بالوفاء أيًّا كانت الحياة حتى مع الفراق؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ثم إنها عِشْرة وانتهت فلم الجرجرة المؤثمة، بل هي ضارة، وليبقَ المعروف مقدَّمًا لك في الدار الآخرة .... فإنها إن كانتْ من أهل الدار الآخرة .. فماذا ينتفع الزوج أو الزوجة إن لم يسامح أحدهما الآخر حتى بالموت إذا ما عذَّب الله الميت بعدم السماح والعفو، فالموضوع جد واضح، ورب العالمين أعلم منكِ ومنه بعملكما ... فإن عُذِّب بسببك فقد ذهب منك أجر العفو، ولكن إن عفوت عفا سبحانه في مقابل عفوك عفوًا مِنْه عليك، فمَن ذا الذي يُعرَض عليه هذا العرض الحقيقي ولا يسارع إليه ويقتنصه، ثم إنها القدوة الحسنة للأبناء، وللأهل، وللناس بالعفو ... فكل مَن تأثر بعفوك أو عفوها وعمل به كان لك عفو آخر، وهو أعظم ما يكون وأسهل ما يكون.

نجدة المدين نفسه بنفسه

الحديث الحادي والعشرون: الاستنجاد من الدَّيْن:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنهما «أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللهِ؟ قَالَ: آللهِ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»(١).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِجِنَازَةٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا، فَقَالَ: «عَلَيْهِ دَيْنٌ؟» قَالُوا: نَعَمْ، دِينَارَانِ. فَقَالَ: «تَرَكَ لَهُمَا وَفَاءً؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَصَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: هُمَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ. فَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ(٢).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى:

دعوة رسول الله ﷺ: دعوة رسول الله ﷺ في هذا الحديث صريحة واضحة ومباشرة .. إلا أن ثمة دعوة أخرى هي من بركة هذا الحديث العظيم، وهي أن مَن كان مُعسرًا فليذهب لدائنه، وليبين له إعساره، فنحن أمة رحمة .. ولهذا فإن أبا قتادة رضي الله عنه وهو خير فرساننا، كما قال النبي ﷺ(٣) لم يُخيِّب رجاء الرجل.

(١) رواه مسلم (١٥٦٣).

(٢) رواه أحمد (٢٢٥٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٩٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ». رواه مسلم (١٨٠٧).

وقد ثبت في صحيح مسلم أنه تركه، وكم تحل الخصومات عند المشافهة والمواجهة وإلا فعند تدخل الشفعاء .. فذلك خير من التخاصم في المحاكم، ومن مات وهو معسر والله يعلم سبحانه أنه معسر، فإن الله يؤدي عنه دينه؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**»(٢).

وَعَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها أنها تَدَّانُ، فَقَالَ لَهَا أَهْلُهَا فِي ذَلِكَ وَوَجَدُوا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: لَا أَتْرُكُ الدَّيْنَ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا يَعْلَمُ اللهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إِلَّا أَدَّاهُ اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا**»(٣).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ يَنْوِي قَضَاءَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى صَاحِبَ الدِّينِ بِمَا شَاءَ، وَعِنْدَ اللهِ رِضَاهُ**»(٤).

حتى القضايا في المحاكم فإن الرجل ما إن يثبت إعساره حتى يوقف القاضي طغيان الدائن عند حدِّه، ويحكم بما يناسب قدرة المدين على السداد.

الدعوة الثانية: طوق النجاة للمدعين: قبل أن يحكم الله عند الجنازة وقبل القبر:

ودعوة الرسول ﷺ الثانية: هي التنازل عن ديون مَن أصبحوا مرتهنين حقيقة بين يدي الله؛ فإن هؤلاء الراحلين إما مظلومون مقهورون، رحلوا وهم في حكم الناس مدينون، قد حكم عليهم قهر الرجال وظلمهم، فغلبوا في الحكم عليهم ظلمًا وقهرًا، وهؤلاء الخصماء الحقيقيون الذين ينتظرون هناك تحوّلَ المدعي عليهم .. وهم

(١) رواه البخاري (٢٣٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٧٣١).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٩٦)، وابن ماجه (٢٤٠٨).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٩٥٠)، والحاكم (٢٢٠٦)، وقال الذهبي: بشر متروك.

عند الله برءاء، وربما هم أصحاب الحق والدين على مَن ظلمهم في حكم الدنيا، وذلك لتحايل محامٍ دجَّال عليهم، وقلبه الحق إلى باطل، فقلب القضية عليهم .. فالقضية الآن عند الملك الحق المبين، أو يكون المدعي عليهم مرابيًا أرهقهم بعقوده الجائرة.

وهكذا أصبحت يا مَن اسمك - زورًا وبهتانًا - صاحب الحق الدائن أشد الناس حاجة لأن تعيد الحق الذي تعلم أن الله يعلمه على حقيقته.

ولا تكن من الذين قال الله فيهم: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]. **أرجع الحق إلى ورثته** الشرعيين، واستغفر لعدوانك على أبيهم، وتحلَّل منهم، واجعلهم يدعون لك ويسامحونك نيابة عن والدهم، ولا تكتفِ بهذا، وتحرَّ ما استطعت فيما ينقص أباهم عند الله فسدَّ نقصه - حسب اجتهادك -؛ كأن لم يكن ذهب إلى الحج فحُجَّ عنه بنفسك إن كنت حججت عن نفسك، وإن لم تستطع أن تحج عنه بنفسك فأوكل مَن يحج عنه بمالك، وأعطِ مَن يحج عنه باسمه كي يهتف به مُلَبِّيًا، وداعيًا.

ولا تنسه من صدقة جارية تبقى له ما بقيت الدنيا، والصدقات الجارية عن الغير عظيمة عند الله ... كيف إذا كانت استسماحًا واعتذارًا، والله ﷻ يبلِّغ عباده في البرزخ بما يسُرُّهم عن أهليهم ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وكم حدث في عهد الصحابة رضي الله عنهم من قصص تثبت معرفة الأموات بحال الأحياء - مما يهمهم -، وتثبت لهم حقوق أناس، والوصية بأساس، وما إلى ذلك.

ثم إن الأساس في مثل هذا الأمر هو الاعتذار لله ﷻ .. وماذا يريد الله ﷻ من عبده إلا أن يردَّ الحقوق إلى أهلها، ويكون مع الله في اعتذاره صادقًا، والله سبحانه نعم المولى ونعم الوكيل .. فأي ضمان أعظم من ضمان قضيةٍ وكيلها الله ﷻ.

أما دعوة رسول الله ﷺ الثالثة: فرصة الشراء قائمة وأنت تملك الثمن الآن:

فهي أن تشتري - أيها الدائن - بِدَيْنِكَ ما وعد الله ﷻ ... وبهذا تضرب صفقة ربما لم تفعلها عمرك كله، وربما لم تُسبَق في وقتك هذا بمثلها.

ما رأيت وعدًا من هذه المواعيد العظيمة التي وعد بها رسول الله ﷺ إلا فتح فيها رسول الله ﷺ الباب مشرعًا لإيصال كل شيء لأخيك في قبره .. ولو شاء ﷺ تخصيصه خصصه وهو صاحب جوامع الكلم ﷺ، وهذه كلماته ﷺ واحدة واحدة:

«**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»[(١)]: فهل مَن مات من الناس، أم من البهائم كرم الله بني آدم، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة: ٤]؛ فالناس هم الناس في كل مراحل الدنيا والآخرة، وقوله ﷺ: «**وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**»؛ فالمسلم أخو المسلم، والسرور في دار الآخرة أعظم، وقوله: «**أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً**»، وأي كربة أشد من كرب القبور، «**أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا**»، وهذا هو صلب موضوعنا، فإن الدين لا يسقط بمجرد الموت، «**أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا**»، وما هو أولى بالطرد من الجوع العذاب في القبر، وقوله: «**وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا**»؛ فهل يدخل فيها من مشي عن أخيه لمرضه، أو مشى في حاجة أخيه بعد موته، بل هذا هو الأولى .. فمَن ذا الذي يتفطَّن لحاجة ميت في قبره فيمشي بها حتى يقضيها لا يعلم بذلك إلا الله ﷻ، وإن اضطر أخبر الورثة، أو مَن كان لا بد من إخباره، وقوله: «**وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ**» هذا ثمن عزيز وهو ستر العورة يوم الدين، «**وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ..

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، والأوسط (٦٠٢٦)، والصغير (٨٦١)، وقال الألباني: حسن لغيره.

هذا من الأثمان التي يشترى بها أغلى الأشياء في الآخرة، وتتقى بها أعظم المخاطر .. وهل أخطر وأخوف من السير على الصراط؟!

والصفقة فيها: أنك أدخلت السرور على مسلم في قبره .. فهل سمعت بمثلها؟ وهذه هي أعظم صفقة معروف، كما قال النبي ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ**»(١).

ومن أرباح هذه الصفقة: أنك حجزت عند الله مكانًا خاصًّا في أعظم وآمن موضع في أرض المحشر ... فيا لعظمة مكسب مَن بعث من قبره ولم يُذْهَب به يمينًا ولا شمالًا، ولا تُرِكَ يتيهُ على وجهه في أرض لا مَعْلَمَ فيها ... لا عوج فيها ولا أَمْتًا؛ فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كَرِبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يُظِلَّهُ تَحتَ عَرْشِهِ، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِرًا**»(٢)، فالسهل الهَيِّن اللَّيِّن في تعامله قريب من الله رب العالمين، وهكذا يكون في أرض المحشر قريبًا ومتميزًا، ولله المثل الأعلى.

ومن أزال الكربة عن المدينين أزال الله عنه الكرب ابتداء من كربات القبور؛ فهو أول مواطن الدار الآخرة، والجزاء من جنس العمل، بل إن التيسير على الميسِّر على الناس عند إعسارهم يكون قبل الدفن في القبر .. **وذلك حين تتلقى الملائكة روح مَن**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، والأوسط (٦٠٢٦)، والصغير (٨٦١)، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥٩٢)، وقال الألباني: صحيح.

قبض ملك الموت روحه .. ففي حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرْ! قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ. قَالَ: قَالَ اللهُ عز وجل: تَجَوَّزُوا عَنْهُ»[1]، فالجزاء من جنس العمل؛ إلا أن الملفت هو أن التجوز عنه جاء كاملًا، وأن التجوز عنه كان من رب العالمين، وأن التجوز عنه جاء فوريًّا بمجرد تسلم مَلَك الموت روحه؛ وهو فور أن قبضها أسلمها للملائكة الكرام هؤلاء.

لكن السؤال: هو روح مَن هذا .. هل هو نبي أم شهيد أم عالم تقي .. أم مَن؟

إنه في قول الله عز وجل: «**تَجَوَّزُوا عَنْهُ**» إنما هو رجل قد اعترف عند أول سؤال - ولا يكتمون الله حديثًا -: «**أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا**».

فهل عرفنا كم من عظمةٍ نستطيع أن نشتريها بصفقة مع رب العالمين حين نُنْظِر المعسر، أو نتجاوز عن بعض دَيْنِه، أو نتجاوز عن دينه كاملًا ونسقط دينه.

دعوة رسول الله ﷺ الرابعة: سُلَّم المقامات العلية احمله الآن ليحملك:

إنها دعوة لأهل المقابر بعد رحيلهم ... أن يبلغوا المقامات العلية! لكن كيف يبلغ أهل المقابر هذه المقامات العلية، وهم قد رحلوا وراح المُلْك بالإرث لمَن ورثوا، ورفعت الأقلام، وجفَّت الصحف، وأغلق الكتاب؟

نعم، إنها دعوة يمكن أن ينتبه لها الميت قبل أن يرحل حين يجعل من ماله الكبير أو القليل وصية بالثُّلُث، ويجعل الأولوية في وصيته هو القضاء عن المعسرين، رجاء أن يقول الله عز وجل: «**تَجَوَّزُوا عَنْهُ**» أول ما يقول قبل تلقي الملائكة روحه «**تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»[2]، ويكتبها كذلك، ويجعل هذا الرجاء شعارها لعل الله يمضيها له كما هي ... فوالله ما قالها الله كذلك، وما بلَّغها رسول الله ﷺ إلا لتكون في أمته سُنَّة جارية.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١٥٦٠).

ويمكن أن يتحول هذا الإخبار إلى دعوة من رسول الله ﷺ جديدة في إنشاء هذا الصندوق الذي يجتمع فيه [أثلاث وصايا الناس لفك إعسار المعسرين]، وعلى الأخص مَن رحلوا مدينين ولا مال لهم يكفي لسداد ما عليهم، ويكون شعار هذا الصندوق «**تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»، أو «**لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا**»(١).

وبما أن الهدف هو أن يتجاوز الله عنَّا، والهدف كذلك أن يتجاوز الله عن مُعْسرين ممن ماتوا أولًا، ومعسرينا الأحياء ثانيًا، فلا بد أن يكون لهذا الصندوق فريقٌ من الرجال الشرعيين والمحامين الحذَّاق الصادقين المقنعين، كي يفاوضوا الدائنين ليتنازلوا عن بعض الدَّيْن أو كله .. وعندهم على ذلك شيء يسمونه إشهاد المسامحة، أو إشهاد العفو، أو «**لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا**»، ويبقى هذا الكتاب قرة عين له وهو يموت، وهو يحاسَب، وهو يلقى الله تعالى، وحبذا لو استطاع هذا الفريق العامل في هذه اللجنة الخاصة في فك الإعسار من إيجاد أوقاتًا كبيرة لهذه اللجنة العظيمة، وذلك لفك كربة أهل المقابر المعسرين الذين رحلوا مدينين، ولِمَن كبروا وعجزوا حتى اللحظة وهم أحياء ... فلتقر أعينهم بالفكاك قبل أن يرحلوا، وأن لا يرحلوا ويورَّثوا أبنائهم ديونًا فوق فقرهم.

وما كان جزاء قرة العيون التي صنعوها في حياة الناس عند الله ﷻ قليلة ولا رخيصة أبدًا، فإن قرة العيون تلك جاءته بإقرار عينه عند الله ومن الله .. وقبل أن يرحل من هذه الدار، **وقبل أن يباشر مَلَك الموت بقبض روحه** كما رواه إمام أئمة الحديث الإمام البخاري: «**إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْـمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ مَا أَعْلَمُ. قِيلَ لَهُ: انْظُرْ. قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ فَأُنْظِرُ الْـمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْـمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٣٤٥١).

فلقد شاء الله أن يَقَرَّ عين هذا الرجل حتى قبل أن يُصَلَّى عليه جاءته الملائكة بذلك ففي رواية للإمام البخاري: «**إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ مَا أَعْلَمُ. قِيلَ لَهُ: انْظُرْ. قَالَ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**»[(١)]؛ فسبحان الله؛ **تدبر من أي لحظة ابتدأ الفرح على هذا** الرجل الذي يحمل الفرج على المعسرين إذ هو بنفسه مقبل عليهم.

فمَن يُفرِّج عن المعسرين في حقه الثابت عليهم إنما يتزلَّف إلى غَيْرة الله في حق نفسه الثابت عليه من ربه سبحانه، والله أغير منك ومن كل أحد.

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «**أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، آتَاهُ اللهُ مَالًا فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ:** ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ **قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»، فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ: هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)].

هذا والله هو الخُلُق المنقذ .. الخلق الثمين .. خُلُق النجاة وقت الهلكة، وخُلُق التيسير عند العُسْرة والكُرْبة؛ هكذا قال هذا الرجل: «**وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ**».



(١) رواه البخاري (٣٤٥١).

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

السبع المنجدات

الحديث الثاني والعشرون:

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: الدعوة إلى تدبر السبع المباركات: في هذا الحديث العظيم يدعونا رسول الله ﷺ إلى تدبُّر هذا التفصيل الدقيق، والتفريع للصدقات بالعدد والتحديد للصدقات الجاري أجرها إلى القبر، وهو ﷺ ينصُّ على القبر نصًّا «**بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ**» ... أليس هو ﷺ مَن أوتي جوامع الكلم؛ ألم يذكر ﷺ الصدقات الجارية بألفاظٍ جامعة لهذه المذكورة هنا ولغيرها، وهذه إحدى بركات السبع، وقد مرَّ معنا منها ما مرَّ، والحمد لله رب العالمين.

والجواب: إن هذا التفصيل من جوامع الكلم، كما أن لهذا التفصيل دلالة ظاهرة بيِّنة على عظمة أمر الصدقات الجارية ... وأنها ينبغي التأسيس والتقعيد لها مثل حديث: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢)، كما ينبغي التفصيل وتفصيل التفصيل، وينبغي

---

(١) رواه البزار (٧٢٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤٩)، وقال الألباني: حسن لغيره.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

التلميح فيها والإشارة، كما ينبغي التعديد والتلقين واحدة واحدة، وهذا ما صنعه النبي ﷺ، وهذا هو ما ينبغي أن نسير عليه تأسيسًا وتفصيلًا .. إجمالًا وتعديدًا، وأن لا نتوقف عند أبواب الألفاظ مُتبلِّدين من غير فقه ولا استنباط، ومن تعداد ولا تجديد.

فالناس بحاجة إلى ذلك كله، وذلك في كل زمان، فالصدقات الجارية تتجدد حسب تغير الأزمنة والناس، وأعظمها تغيُّرًا هو هذا العصر العلمي الذي انفلق منفردًا عن جميع العصور السابقة، فأصبح بهذا هو عصر السرعة الخارق ...

فالرسول ﷺ يدعونا إلى [الفقه] الدقيق، وإدراك الغاية، والعمل وفق العصر الذي نحن فيه، فلنتدبر هذا الحديث العظيم، فَلِمَ قال النبي ﷺ: «**أَوْ**» ما بين كل سُنَّةٍ جارية وما بعدها، حتى كرَّر هذا الحرف ست مرات ما بين السبع المذكورات، فليس مقصود النبي ﷺ مجرد العطف، ولا المقصود مجرد التخيير، إنما المقصود كما ذكرنا من قبل التأسيس والتفصيل، والمقصود منه كذلك هو أن يختار كل قوم وكل عصر ما يناسبه، والمقصود أن هذا التعداد لما يجري للميت بعد موته ليس للتحديد، ومَن كان عنده صور أخرى فالسُّنَّة بناءً على هذا المنهج هو ذكرها، وتبليغها، وأن تبعث العقول النيِّرة بنور الكتاب والسُّنَّة بالجديد من السنن الجارية مما يناسب الناس .. فإنه لا حد لهذا المنهج لتعداد الصدقات الجارية أبدًا.

فليس كل واحدٍ يستطيع أن يفعلها جميعًا، وليس كل مشروع يصلح لكل البلاد جميعًا، وليس كل مشروع يصلح لكل الأزمان.

ثم يدعونا رسول الله ﷺ إلى دعوة ثانية: من خلال قوله ﷺ: «مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ»: فأين مات هو؟ أليس لما كان فوق الأرض يوم كان عندكم في هذه الدار، أما الآن فهو في قبره، وما قال ﷺ: وهو ميت في قبره، كما أنه لم يقل: وهو حي، إلا أن الأحاديث الأخرى أثبتت أن الرجل إذا دُفن جاءته الملائكة يقعدانه ويسألانه، كما أنه

ثبت أن الروح بعدما تذهب عند ربها ﷻ ترجع إليه في قبره، فهو في قبره على علاقة معنا .. فالعمل يجري إليه، ولهذا يجب النظر لأي عملٍ من الأعمال على حسب حاجته هو، وحاجة المجتمع الحي الذي فوق الأرض، فنحن أدرى إن كان عليه حقوق، أم لم يكن، ونحن أدرى بأحب الأعمال عنده، ونحن أدرى بحاجة المجتمع الذي نعيش فيه، وأنفع المشاريع له وأبقاها فيه، ونحن أدرى بالمجتمعات المسلمة من حولنا .. ونحن أدرى بالتغيرات المتسارعة التي حدثت من بعده في هذا العالم.

فكل ذلك يُمَكِّننا من إجراء العمل الأنفع الذي يجري عليه، ويبقى نافعًا له أعظم النفع، لأنه أنفع ما يكون للناس الأحياء على هذه الأرض، فالرسول ﷺ يحدث بأصول، وهو يفتح أبواب الخيرات تاركًا تفصيل الخيرات وصورها وهي الدخول من تلك الأبواب، ويفتح الأذهان والقلوب على أعمال صالحة وصورٍ أخرى لا حدَّ لها.

رسول الله ﷺ يريد منَّا أن نفهم، ونعمل، ونبدأ نفكِّر، ونبتكر «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ» أصلها سبع، لكنها للسبعين أقرب، وللسبعمائة أقرب أكثر، وللسبعة آلاف أقرب .. وأصعد هكذا وعدِّد ما شئت أن تعدِّد، ولو عددت ما أقامه المسلمون من الصدقات الجاريات منها لوجدتها تكاد تكون فوق الحصر، فالحمد لله رب العالمين.

الدعوة الثالثة: العلم النافع طوق نجاة للأحياء والأموات: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ»:

هذا الرقم المبارك والأصل الأعظم في الخليقة؛ فالسماوات سبع، والأَرَضُون سبع، وليلة القدر لسبع وعشرين، والطواف سبع، والسعي سبع، والصدقات سبع سنبلات إلى سبعمائة، وهكذا، وهكذا.

«سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ»: يا لهناء قبرٍ يجري إليه الأجر كما يجري ماء النهر إلى الحقول والغرس والبذر والحرث .. هناك لا تكون

الفوارق الحقيقية العظيمة .. الفارق بين مَن قدَّم لنفسه ومَن لم يقدِّم، الفوارق بين ذرية بارَّة وذرية نكرة منكرة، الفوارق بين صحبٍ بقيت صحبتهم وبين صحبةِ مصلحة حدودها الحقيقية الدنيا بكل ما فيها .. الفوارق ما بين أمة وأمة.

«**عَلَّمَ عِلْمًا**»: علَّم علمًا بنفسه؛ فأخرج بعلمه علماء، وعلَّم هؤلاء العلماء الآخرين.

«**عَلَّمَ عِلْمًا**»: بكفالته لنفسه ولهذا اليوم تحديدًا مَن أصبح من بعد موته عالمًا قدوة، وخطيبًا واعظًا وشجاعًا نخوة، أو كفل عالمًا كفالة مالٍ وحماية؛ فأصبح عالمًا نافعًا بحق، وأنقذه من النفاق الذي أوشك أن يقع فيه فأصبح بكفالته ونيته لقومه تجديدًا وصحوة.

وولدٌ صالح أقام لأبيه، وزوجةٌ صالحة أقامت لحبها وزوجها كفالة طالب علم، فأجره يجري ما طلب العلم، وكفاه أن فيه أعظم ما يحتاجه صاحب القبر وهو الاستغفار فالنبي ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْـمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»(١).

وأما كونه في كفالة طالب العلم المغفرة؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْـمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْـمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢).

لحظة مقارنة ما بين كل وقفٍ بالعلم وبدون العلم: «عَلَّمَ عِلْمًا»: لقد دعانا النبي

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٢١) واللفظ له، والبزار (٤٤٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٥)، والحاكم (١٣٧٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه النووي في الأذكار (٤٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني.

ﷺ في هذا الحديث دعوة عظيمة وهي عدم تحجير العلم على العلم الشرعي، بل العلم الشرعي هو واحد من العلوم، وإن كان هو أولها وأشرفها .. ومع هذا فهذا لا ينفي عظمة العلوم الأخرى وأهميتها، وأنها جميعًا من عند الله تعالى ما دامت علومًا نافعة، ولذا فإن النبي ﷺ ما استعاذ من غير العلوم الشرعية، وإنما استعاذ من علم لا ينفع؛ فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ؛ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**»[١] .. ثم إن المقام مقام الصدقات الجارية، وتدبر كم هو سهل الحديث في الصدقات الجارية .. لكن كم هو العمل مضنٍ في إنشاء للصدقات الجارية .. إلا حين يكون إنشاؤها بالعلم الحديث المختص بها تعلم يقينًا أن هذا العلم النافع الحديث هو من الصدقات الجارية، وبه تسهل وتجري الصدقات الجارية، وبه تبقى الصدقات الجارية، **فانظر لها واحدة واحدة مقارنًا نشأتها بالعلم وبدون العلم**، فهذا كرى نهرًا؛ وهو تنظيف النهر الذي أوشكت الأغصان والأوساخ على إيقافه، وربما أوقفته فعليًّا .. كم هو صعب إيقاف هذا الجفاف بالأيدي البشرية حيث يوشك الموت أن يحل بالنهر وبالأحياء والحياة حوله، وكم هو سهل بالآليات الحديثة .. فهل هذا العلم نافع حتى نسأل الله إياه، أم غير نافع حتى نستعيذ بالله منه؟! وماذا إذا اشترى الرجل آلة من هذه الآليات التي بها ينظف النهر وأوقفها لهذا العلم، وجعل أجر وقفها لوالديه، أو لإخوته، أو لصحبه، أو لمشايخه، أو لمَن يشاء ..

وهكذا حفر البئر، وكم بين حفر البئر باليد وبين حفر البئر بالأجهزة الحديثة .. كم هو الفارق في الإنجاز بين هذا وهذا، وكم هو الفارق في المخاطر المحتفة بالحفر باليد، وكم هي السلامة الملازمة عادة إذا كانت الحفريات بالعلم والأجهزة العلمية الحديثة.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٨)، وصححه الألباني.

وكم هو الفارق ما بين الزراعة التقليدية، والزراعة الحديثة؛ فالنخلة تغرس كما هي بالطريقة اليدوية، بينما في الطريقة النسيجية يمكن أن تزرع نخيلًا خاليًا من الأمراض، ثم النخلة الواحدة تنتج عادة من عشرة إلى عشرين فقط من الفسائل .. خلال عمرها، بينما النخلة بالطريقة النسيجية تزرع منها مئات، بل آلافًا .. تصل خلال خمس سنوات أن تنتج أنسجة النخلة الواحدة خمسة آلاف نخلة، فماذا إذا أقام رجل مختبرًا عالي الجودة للزراعة النسيجية، وجعله وقفًا برسوم سهلة تكفيه والعاملين عليه، وليست رسومًا تجارية .. فكم سيزرع من النخيل، ويكون ذلك كله في ميزانه وميزان مَن أهدى لهم هذا الوقف؟

«**أَوْ بَنَى مَسْجِدًا**»: لا شك أن بناء المسجد أمره عظيم في غاية العظمة من بين الصدقات الجارية .. فأي شيء مثل المسجد .. هو مجموعة أوقاف في وقتٍ واحد تجمعت في ظلاله .. هو وقف قرآن، ووقف اعتكاف، ووقف صدقات، ووقف طالب علم، ووقف تعليم، ووقف عالم، ووقف داعية، ووقف حلقات، ووقف دورات في علوم وتعليم وخطابة، ووقف دورات في العلوم العملية الحديثة للأبناء وللبنات، ووقف إصلاح أسري، وإصلاح في خصومات ...

إذًا فكل جزئية من هذه الجزئيات لا يمكن أن تستغنى عن العلم الحديث، حتى إنشاء المسجد نفسه، وطريقة بنائه، وطريقة خدماته، وسرعة بنائه وإضاءته، وتكييفه صيفًا وشتاء، ووصول الصوت والصورة والترجمة وما إلى ذلك؛ فكل ذلك لا يمكن أن يكون بغير العلم، كما أنه لا يمكن أن يؤدي المسجد بدون العلم الحديث دوره كما هو بالعلم الحديث، وتبليغ رسالته.

«**أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا**»: فالمصحف من قبل كان بالكتابة بخط اليد، واليوم قد غدت طباعة المصاحف بطرق علمية حضارية، تجمع ما بين الدقة والتثبيت العظيم والإسراع في طباعة أعداد لا تحصى بوقت قصير، وهذا كله بالعلم عِلم الطباعة الذي

فتح به على الناس .. فماذا عن وقف مصاحف بهذه الطريقة، وماذا عمَّن جعل مصحفه سهلًا ومتقنًا غاية الإتقان، ومتداولًا في الهواتف مثل مصحف بيت التمويل الكويتي.

«**أَوْ كَرَى نَهْرًا**»: وكري النهر هو إعادة حفر النهر، أو توسيعه، أو تنظيفه وإزالة العوائق من مجراه لمَن أقام حياتهم عليه من الناس والحيوان والزرع، وهكذا يعود النهر بعدما كان متوقفًا شبه مدفون لا يجري فيه الماء بما ينفع الناس .. فنظفه وحفره ووسعه وأعاده إلى ما كان عليه .. وعادت الحياة بعدما كادت أن تتحول إلى موات، ومن بقي من الأحياء يهجره إلى الموت، ويرحل الأحياء حيث الماء.

«**أَوْ كَرَى نَهْرًا**»: كراء النهر بنفسه، أو ولده من بعده .. أو كراه بماله أو بمال ولده من بعده ..

ومن ذا الذي يحصل له أن يقيم حياة بلاد بأكملها، مدينة كاملة، أو قرية كبيرة بكري نهر في منطقة جافة يوصله من نهر عظيم آخر، أو من بحر عذب فرات، أو من شلالات جبلية، حتى إذا رأى الناس الماء تدافعوا للسكن هناك وعمارة ما حوله؛ فيأتي الطير والبهيمة وتقوم الزراعة والمزارع، وتكون حياة مديدة لا يعلم ببقائها إلا الله.

«**أَوْ كَرَى نَهْرًا**»: إنه نهر الحياة .. وقومة الحياة من جديد .. ومجتمع الأحياء.

نعم ممكن أن يكون البئر كذلك .. لكن إن كان البئر كذلك فكم يساوي النهر من آبار، بل عشرات وربما آلاف الآبار .. ربما البئر كان نقطة في مجرى نهر، وكلٌّ له مزاياه.

وهذه النقطة تُفهمنا جيدًا أن رسول الله ﷺ حين حدد أنواع الصدقات الجارية إنما حدد أنواع المتصدقين بهذه الصدقات ... ومع هذا فإن رسول الله ﷺ لا يحتقر - وحاشاه ذلك - أيَّ متصدق من الصدقات الجارية .. فالكل له أجره الجاري إلى

قبره، وكل يمدُّ نفسه، أو حبيبه في قبره بما شاء .. ومع كل هذا إلا أن رسول الله ﷺ يفتح السباق على مصراعيه ويفتح السرعة إلى أقصاها ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وما أسهل «**كَرَى نَهْرًا**» بأول الصدقات الجارية وهي العلم، جاء الرجل بآلة حفر نهرية، أو أخذ مقاولة مع شركة من شركات الحفر المختصة .. وأجرت له النهر المتوقف بأسرع وقتٍ، وحصنته من جانبيه حتى يبقى إلى الأبد لا ينقطع - بإذن الله - .. ولربما أجرى من النهر الواحد بالعلم أنهارًا عديدة، وأنشأ حياة لقرى ومدن جديدة، أو أنشأ أراضي زراعية عاشت عليها الكثير الكثير من العوائل، وقامت عليها الحياة من خلال حفر نهر جديد بشركة مختصة.





الحديث الثالث والعشرون: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ»:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ»(١).

دعوة رسول الله ﷺ لنا:

الدعوة الأولى: الشفاعة هي طوق النجاة يصنع في الدنيا: أول دعوة لرسول الله ﷺ في هذا الحديث في أول كلمة؛ «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ»، والصَّنْعة هي الحرفة، لأن فيها الاسترزاق بالتخصص والمهارة ... وهنا يكون مقام أهل المعروف من بين أهل الإيمان والإسلام .. ولذا كان ختام حديث النبي ﷺ ينطق بمقامهم من بين مقامات أهل المحشر، وأهل الجنة .. ولهذا كما ابتدأ حديث النبي ﷺ بـ «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ» فقد اختتم بالنتيجة، وهي «وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ».

فكما أن صاحب المعروف يقي الناس مصارع السوء والهلكات .. فهي تقي صاحبها مصارع السوء والهلكات ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٠٨٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٥) رقم (٤٦٣٩): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وقال في المجمع (٣/ ١١٥) رقم (٤٦٣٧) عن رواية أبي أمامة رضي الله عنه: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وقال الألباني: حسن لغيره.

فإن صُنَّاع المعروف هم عملة نادرة؛ أقدموا على الإحسان للناس بصدق وإخلاص، ففتح الله لشفاعتهم القبول، ولكلماتهم انشراح الصدور، وبالنظر لوجوههم الفأل الحسن، ومع كل هذا فما سمى النبي ﷺ عملهم الصالح الدائب هذا «صَنَائِعُ» إلا لأنهم أحسنوه وأتقنوه كما يتقن الماهر في صناعته صنعته .. فهو لا يتوقف أمام معضلة .. بل يبتدره الحل سريعًا .. فإن لم يعرف الحل من فوره يبشِّر بخيرٍ وينتظره حتى يفتح الله له طريقًا مباشرًا، فإن لم يعرفه بحث عن مَن يعرفه، وإلا يكون تصاعد السعي، ومن ثَمَّ فإن صانع المعروف يعرف التوقيت المناسب للشفاعة .. فإن وجد الوجوه وجومًا، والأجواء غيومًا، لم يشرع في الحديث وأجَّله.. واستأذن وانسلَّ بسلاسة وسلام بلا صِدام، وغالبًا ما يتفقده من عنده القرار ويطلبه .. ويكون هذا من الله تعالى، فيقضي له حاجته ويُمْضي شفاعته .. ثم هو إذا ما طلب الشفاعة يبحث مباشرة وبشكل تلقائي عن المفتاح؛ فإن كان المفتاح شفيعًا آخر أفهمه الموضوع جيدًا وبصدقٍ ووضوح تام .. حتى يتبناه هو تبنيًا كاملًا .. وإن كان المفتاح الكلام .. فصَّل المفتاح تفصيلًا على مقاسات نفس مَن عنده حل المعضلة .. وهو عادة لا يطيل فيما لا يستحق الإطالة لأن أغلب المسؤولين يحب الاختصار، لأنه في عجلة وهو مزدحم .. ولذا فهو أعد الكلام الذي يُقبَل، واختار منه الكلمات التي تنقر باب القلب بطيف خفيف.

فإذا فاز بها وتحققت شفاعته لم ينسَ شكره، ولا يَفُوته أن يحوِّل هذا الموقف اللطيف إلى علاقة إن لم يكن في ذلك أدنى حرج، وإلا خرج وقد سَلِمَ وغنم، وقد قال النبي ﷺ: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ»(١).

والشفيع المقبول هو الشفيع المخلص في شفاعته الصادق في تبنيه قضيته، والمتجرد من حظوظ نفسه، شعاره الدائم إنما نفعل هذا وجوبًا علينا .. لأن التخلي عنك إثم، ومع هذا فإنما نفعله و ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٥٨١)، وقال الألباني: حسن بمجموع طرقه.

وللشفيع الناجح عادة مفتاحه مع ربه ﷻ .. فهو يطرق باب رب العالمين أولًا .. بكلمات كريمات يتفاءل بها، وقد وجد ثمرتها وفتحها وبركتها وهداها .. وعادة فإن إقدام القلب العزوم على الأمر الصعب هو الفتح الحقيقي وهو البشرى الكبرى، وقد قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه:٢٥-٢٨]، وما توجَّه القلب بهذه القوة إلا لأن الله سبحانه هو مَن وجهه وأيَّده بأن ألقى القوة والثقة والانشراح فيه .. هذا الانشراح يكون في الصدر يقينًا ويفيض على الوجه ابتسامة مشرقة تفتح الدروب إلى القلوب .. فإذا بالوجه المقابل الناظر .. يقول وإن لم ينطق: مُرْ، وهو يعتني بها كل هذه العناية كما يعتني الصانع المحترف بصنعته، وهكذا هو في كل مرة .. ولا يبقى على نسق واحد محفوظ لا يغيره.

إلا أنه مع كل هذا التعب والعناء يرى أنه أكبر من أن يأخذ على هذه مالًا أو مقابلًا .. أولا يكفي المقابل عند الله .. وأي عطاء مثل الجنة، كيف وهو بهذه المنهجية في الشفاعة وصناعة المعروف قد أخذ موقعه في الزمر الداخلة الجنة، وإذا به في أولها جزاءً وفاقًا، كما قال النبي ﷺ: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْـمَعْرُوفِ**».

الدعوة الثانية: صناعة المعروف صناعة الوقاية والحصانة للحي والميت:

«**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»: كأن صانع المعروف باحترافية في هذا العمل الصالح إنما يصنع درعًا عظيمًا كافيًا للوقاية من مصارع السوء التي تصرع غيره من البشر ممَّن لم يعتادوا صناعة المعروف، أو ممن اغتروا بالحذر أو بالحرس أو بالجُدُر المحصنة أو نحو ذلك .. فكل هذه لا تقوم أبدًا مقام صنائع المعروف في الحماية من مصارع السوء والهلكات كما جاء في حديث آخر.

وسبحان الله؛ فإن التعبير في قول النبي ﷺ: «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**» ترى الواحد تحول «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ**» إلى شيء مرافق للعبد الليل والنهار لا يفارقه

لحظة واحدة .. وفيه الحماية الذاتية، فإن التعبير نسب الوقاية لصنائع المعروف، والمعنى المقطوع به إنما هو ما قاله رسول الله ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**» - بإذن الله -، وهذا حق لا ريب فيه، إلا أن المعنى الحق هو أن الله ﷻ قد جعل وقاية صنائع المعروف من مصارع السوء أمرًا ذاتيًّا علَّقه الله ﷻ على الصناعة بمجرد تحقق صناعة المعروف؛ فإن تحقق الوقاية من مصارع السوء أمرٌ من الله محقق وإن لم يعلِّق الأمر هنا بمشيئته أو إراداته .. فهذه الوقاية حصلت من قبل .. يوم أن صنع الصانع المعروف.

والحكمة في هذا أن من أفنى ليله ونهاره في الإحسان للناس وصناعة المعروف بمختلف أنواعه لهم، والشفاعة للناس وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، والصدقة، والإعانة، وما إلى ذلك .. ومَن قدَّم كل هذا لله ﷻ قدَّم الله تعالى له الرِّفْعة، والشرف، والعز، والبقاء بالذكر في الآخرين ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٨-١١٠]، هذا هو إبراهيم عليه السلام صاحب السنن الحسنة الكبرى في كثير من الميادين، وهكذا قال الله ﷻ في هارون وموسى عليهما السلام: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١١٨-١٢٢].

«**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»: فالله سبحانه كرَّم مَن يصنع المعروف لأخيه الإنسان من أن يُصرع، أو يهلك، أو يسقط سقوطًا فظيعًا شنيعًا، أو يشمت به الأعداء، وتتناوشه الألسنة بالبهتان، ويصبح حديث الناس يرثى لحاله، مأسوفًا على مآله.

فصانع المعروف لا يزداد إلا رفعة، وأحسن احواله هو آخره، لأنها الختام، والله ﷻ يحبه، ولذا يهيئ له أحسن ختام، كما ورد في وعد رسول الله ﷺ عن صنيع ربه

مع صانع المعروف أنه يحبه؛ فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ**»، **قِيلَ: وَمَا عَسْلُهُ؟ قَالَ:** «**يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ يُؤْخَذُ بِهِ عَنْهُ، فَيُحْبِبْهُ إِلَى أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ**»(١)، هنا يهيئ الله له عملًا صالحًا واحدًا، فكيف بمَن احترف طوال عمره المعروف، واحترف صناعة المعروف احترافًا؟!

«**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ**»: ومَن صنع معروفًا للناس فالحقيقة إنما يصنعه لنفسه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ومن ثَمَّ فإن من أجل ما يمكن من صناعة المعروف هو صناعة المعروف لأهل المقابر .. والمقصود هو أن يشرك هذا الصانع الحاذق أو ذاك أبويه رحمهما الله، أو أحدهما، أو أخاه، أو أخته في بعض صنائع معروفه كل حسب ما يرى حاجته إليه أكبر في قبره وآخرته .. والله يقبل بالنية، ويجبر بفضله ورحمته وإحسانه.

الدعوة الثالثة: الدعوة إلى إهداء صنائع المعروف لأهل البرزخ:

«**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»: مَن جعل أساسًا في تفكيره هو الشفاعة بكل ما يستطيع لأهل المقابر، فيخفف عنهم ما هم فيه من كربات، وعذاب، وأحزان، أو يرفعهم درجات .. وما إلى ذلك، ومَن استحضر هذه الغاية عند كل حديث من الأحاديث التي نعرضها هنا هداه الله لوسائل عملية في كلمات رسول الله ﷺ اختفى منها هذا الفهم عنا ردحًا من الزمان، وما خفيت عن رسول الله ﷺ صاحب الوحي، وصاحب جوامع الكلم، وهو مَن قال الله ﷻ فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨ فَإِن

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٦٠٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٢٩٨)، والحاكم (١٢٥٨) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨،١٢٩]، فقول النبي ﷺ: «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ**» نتناولها في الآخرة كما نتناولها في الدنيا؛ فكما نصنع المعروف لأهل الدنيا في كرباتهم فلْنصنع المعروف لأهل القبور، فكرباتهم أكبر، وهم في دار حساب، وما أدراك ما دار الحساب! والله سبحانه هو ربنا جميعًا، فكما يعيننا ويبلغ عملنا هنا مبلغه، ويحقق غايته، فهو سبحانه يبلغ بعملنا هناك مبلغه، ويحقق غايته، وهو مَن يوصله سبحانه، ونحن إنما نستودعه الله ﷻ، والله أحفظ مَن حفظ، وأوفى مَن وعد، وآمن مَن استؤمن.

وكما ترفع صنائع المعروف الكربات عن أنفسنا ونحن نعملها لأهل الدنيا فإنا إذا ما أهدينا صنائع المعروف هذه لأهل البرزخ في الآخرة وصلت، وفرجت، وردَّت عمن في العذاب - بإذن الله - العذاب، وكشفت عن المكروب هناك الكربات، وأزالت عمن رحل الهموم والغموم والآهات، وهكذا هي تصنع في رفع الدرجات .. والأمر في هذا الوصول قطعي - بإذن الله - كما بينَّا هذا الأمر، ذلك أن الله ﷻ قطع في هذا الأمر ولم يعلقه بشيء أبدًا، فقال ﷺ: «**تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»، **فما الذي يقي مصارع السوء إلا مجرد عمل «صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ»** .. فوصول صنائع المعروف إلى دار البرزخ، ووصول أثرها لا ريب، ولا عائق دونه، ولا أشيء أسرع من وصولها، لأن وصولها مربوط بعملها، وقد عملت «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**».

فلو أن رجلًا صنع معروفًا ونيته أن يكون أجر معروفه هذا لوالديه، فإنه من لحظة عمله يصل .. فيكشف الكرب، ويزيل الغم، ويزيل العذاب .. وهكذا يصنع كل شيء.

الأحق بالتعاطف: إنها دعوة من رسول الله ﷺ: لأن يعمل أحدنا لأهله الراحلين كما يعمل للموجودين ومَن في تلك الدار أعظم حاجة؛ فيكون أحدنا معهم أكثر تعاطفًا، فإنه عادة ما يتعاطف الإنسان أكثر مع مَن أُصيب بمصيبة، والله ﷻ قد سمَّى

الموت مصيبة؛ فقال: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦]، كما يتعاطف أكثر مع المغترب من أهله .. وأي غربة أعظم من غربة هذه الرحلة عنا وأبعد منا.

كما يتعاطف مع المحروم من العمل، المعدوم من الدخل ... وأي محروم مثل مَن أُغلقت صحيفة عمله بالكلية .. المحروم من القدرة على أي عمل .. على أي دخل .. مهما قدَّم لهذا اليوم.

يتعاطف أكثر مع مَن تحوطه المخاطر أكثر كمَن عبر المحيط بزورق، أو مرَّ ماشيًا في غابة فيها ما فيها من الآفات والهوام والوحوش ... وأي آفات وهوام ومخاطر مثل المخاطر في البرزخ لمَن لم يصنع لنفسه حماية مسبقة هناك، وكان عليه من الدواهي ما توعد بالعقاب على فاعله، من ذا الذي يستطيع أن يُعرض عن هؤلاء وهو يعلم يقينًا أن فيهم مَن هو كما ذكرنا في الحاجة وأشد ..

من ذا الذي يستطيع أن يمرَّ على قبور هؤلاء، أو ذكر هؤلاء ﷭ مرَّ السحاب من غير أن يتوقف، فينزل بعض خيراته، ثم يرحل كما مرَّ رسول الله ﷺ وفعل ما أمكن وفي أسرع وقت إنقاذًا لهم مما هم فيه لينبهنا هو ﷺ أن إذا كانت هذه المقبرة وساكنوها في عهده ﷺ، فكيف بالمقابر في عصورنا - نحن أهل هذا الزمان - وفيها من الساكنين مَن الله وحده بهم عليم.

فأي طيب للعيش وفي الأرحام هناك مَن هو بعيد عن الرحمة لأنه لا يستحقها، ولا وقاية له من العذاب فيما قدَّم.

وأي طيب للحياة هنا لنا وفي أهلنا وإخواننا مَن فارق الحياة، أَسْلَمَه عمله السيئ إلى مقره، ومقره حفرة من حفر النار، كان فيها من أول يوم ولا زال، ولا ندري إلى متي؟ فيا رب عفوك عنهم أجمعين.

«**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»: وأي مصرع سوء أسوأ ونحن نعيش في هذا العالم الجامع للحياة الدنيا وحياة البرزخ في نفس الوقت من عذاب القبر ...

أفَكُلُّ العمل يصل إلا صنائع المعروف لا تصل!

أيقول النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»(١)، فَيَصلُ الصيام وهو عبادة محضة غير متعدية للآخرين، ولا تصل صنائع المعروف، والتي كلها معروف للآخرين! ومعنى وليه أي قريبه الذي يرثه، أو مَن ينوب عنه، ولو صام عنه أي أحد يسقط عنه ما افترض الله؛ لأن هذا دين الله، والأساس في الدين سداده.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللهَ، فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**»(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ**»(٣).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ اسْتَفْتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ؟ فَقَالَ: «**اقْضِهِ عَنْهَا**»(٤).

هذا طوق وقاية أكبر:

«**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ**»: أليس بالإمكان إلى أن نحوّل هذه السُّنَّة الحَسَنَة الجامعة العظيمة إلى مؤسسة وقفية، اسمها مؤسسة «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ**»، أو جامعة أو كلية أو معهد مختص في صناعة صنائع المعروف .. قائمة على أسس شرعية علمية تربوية حضارية .. وتعمَّ البلد، والإقليم، والعالم ... ونتواصل فيها مع كل المؤسسات القريبة من هذا في كل البلاد .. فلقد دخل النبي ﷺ في الجاهلية في

(١) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).
(٢) رواه البخاري (١٨٥٢)، ومسلم (١١٤٨).
(٣) رواه البخاري (٧٣١٥).
(٤) رواه البخاري (٢٧٦١).

[حِلْف الفضول]، وقال: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَدْعَانَ حِلْفًا، لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»(١)، وفي بلاد الغرب والشرق ممن يحب الخير للناس ويسعى له الكثير والكثير ... وسوف يكون هذا رفعًا للظلم والقهر عن مظلومين، وليكون سبيلًا لإيصال الهدى والنور.

الدعوة الرابعة: طوق نجاة يستطيعه كل أحد:

قوله ﷺ: «وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» هذه دعوة عالمية مطلقة النفع للبشرية وغير البشرية من الخلائق، ودعوة للإنسانية لفعل المعروف بشكل مطلق سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، وسواء كان الأمر بإنفاق مال أو دون إنفاق مال، وكما قال النبي ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٢)، وسبب ورود هذا الحديث كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(٣).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّوا عَلَيْهِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»(٤).

---

(١) أخرجه الحُمَيدي فيما نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٦٩٦)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٣٢٥): هَذَا الحَدِيث صَحِيح.

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٤).

(٣) رواه البخاري (٢٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٤).

(٤) رواه الحاكم (٧٣١٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨٧) رقم (١٣٦٧١): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

ويبقى الإنسان إنسانًا أيًّا كان دينه هذا الأصل؛ له كرامته الخاصة، وفضله الخاص، كما قال ربنا سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فهي دعوة ظاهرة غير خافية من رسول الله ﷺ لأمته؛ أن اعملوا المعروف؛ فكل معروف على مسلم أو غير مسلم مع بشر أو حيوان؛ فإنه صدقة، سواء كان بإنفاق مال، أو بدون إنفاق فهي صدقة ...

ويُقبل في هذه المؤسسة العالية لصنائع المعروف أي أموال تأتي بغض النظر عن من صاحبها ما دامت أموالًا طاهرة ومن باب التبرعات.

أحسن لكل مَن تستطيع، وخذه على أنه أمرٌ من رسول الله ﷺ واقتداء به، فلربما كان عدوًّا؛ فيكفُّ ويعفُّ ويرحم، بل ربما يهتدي، كما حدث هذا مع كثيرين من الناس دخلوا الإسلام بالإحسان، ولو لم نعلم أنه سيدخل الإسلام فإن الإحسان طبع في المسلم، لأن المعروف جزء لا يتجزأ من إسلامه، والإحسان يأتي بالإحسان، والله ﷻ يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

«**وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»: لقد جاءت هذه العبارة الكريمة بعد الابتداء بصنائع المعروف لتدل على أنه لا عذر لمسلم يترك فعل المعروف؛ فهذا معروف مطلق غير محدد بشيء مطلقًا لا دين، ولا مال، ولا بلد، ولا وقت، ولا شرط .. فكله أيًّا كان صدقة، والصدقات أنواع كثيرة وأحجام كثيرة كذلك.

ولربما تعلل البعض بترك المعروف في بعض الأحيان بقول النبي ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ**» فيتصاغر أمام هذا الاسم الكبير والمصطلح العظيم ويحقر نفسه، وخصوصًا وأن «**صَنَائِعُ**» مأخوذة من كلمة صناعة أي الاحتراف والدقة والإحكام وما إلى ذلك، فكذلك المعروف عند هؤلاء.

فهنا قال النبي ﷺ: «**وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**» فبهذه الكلمة شجَّع كل مسلم على

دخول ميدان المعروف أيًّا كان .. وجعل كل مسلم في فعل كل معروف عابدًا لله عبادة المتصدق .. وهذا أدخل الحياة كلها في العبادة، وأدخل في الحياة روح العبادة؛ فهذه دعوة في دعوة، وكل كلمات النبي ﷺ تحمل لنا من كل أنواع الدعوة للمعروف.

الدعوة الخامسة: صدقة السر طوق نجاة عظيم:

«**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»: هذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى الحرص على الإنفاق على الفقير والمسكين والمحتاج بالخفاء .. فذلك أطيب لنفس الآخذ وأهنأ له بالعطاء وأمْرأ، كيف والصدقة في الخفاء تطفئ غضب الرب كما ورد في حديث: «**وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**».

وهنا يأتي السؤال: لماذا تخصيص صدقة السرّ بأنها تطفئ غضب الرب؟

والجواب: هو أن الغضب أمرٌ علني وله مظاهره التي لا تخفى على العبد ولله المثل الأعلى؛ وصدقة السر لا تطفئ غضب الله في السر فحسب، بل تطفئ غضب الرب ظاهرًا وباطنًا، ولله المثل الأعلى، والجزاء من جنس العمل.

إذًا فهذه دعوة من رسول الله ﷺ أن نستكثر من صدقة السر وقاية مما يمكن أن نكون عملناه مما يغضب الله؛ فيظهر ذلك لنا في هذه الدنيا، أو في الآخرة عند الحساب في القبر أو في الحشر؛ فإن غضب الله لا يطاق أبدًا، وقد ذكر النبي ﷺ سبب اعتذار الأنبياء عن الشفاعة في هذا اليوم العظيم وهو ما ورد في حديث الشفاعة: «**إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»[(١)] .

والموضوع لا يكلِّف العابد العامل عملًا صالحًا شيئًا إن هو أشرك والديه، أو مَن سبقوه من أرحام، أو أصحاب، أو مسلمين إلى الدار الآخرة؛ فأحبَّ أن يقيهم غضب الله، وأي شيء مخوف أكبر من غضب الله .. فجعل صدقة السر لهم حماية خاصة من

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

غضب الله .. وما انتقيت طريقة خفية وجعلتها تصل إلى يد المحتاج أو المحتاجين وهم لا يعلمون؛ فَبَدَل الصدقة صدقات .. وبَدَل المحتاج محتاجون، ولا يعلم بذلك إلا الله رب العالمين ...

فأنا والله لا أقدر على بيان فرحة هؤلاء الذين شملتهم الهدية هذه وهم في قبورهم، وهم في حشرهم يوم القيامة، حين يتوقف غضب الله عن هؤلاء بهذه الوقاية التي أطفأت غضب الله ﷻ ولله المثل الأعلى، وحوَّلت الغضب إلى عفو، وحوَّلته إلى رحمة .. وهم يرون ذلك عِيانًا بيانًا.

ولهذا قدَّمت هذه الهدية لأعداد هؤلاء الذين ذكرهم في نيته عند صدقته؛ فكم في المقابر ممَن حق عليهم غضب الله تبارك وتعالى .. وكم ستحوِّل أنت بصدقة السر هذه غضب الله الذي لازمهم لعدوان لهم عظيم على الله إلى رحمة وعفو منه سبحانه.

«**وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ**»:

«**وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»: والرجل بمجرد أنه نوى أن يجعلها صدقة سرٍّ ويعلم الله أنه صادق في نيته، ثم ظهرت من غير إرادته ولا رغبته أبدًا؛ فإنها قد كُتبت عند الله تبارك وتعالى صدقة سر؛ فإنما الأعمال بالنيات.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**وَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ**»(٢).

وفي رواية أخرى في مسند أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٣) رواه أحمد (٢١٣٨٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وفي رواية: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليك وسلم، إِنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ؟ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْـمُؤْمِنِ**»(١).

وفي رواية عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلهِ، فَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: «**ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْـمُؤْمِنِ**»(٢).

ثم كم من صدقة ظهرت كانت خيرًا من صدقة أُضمرت؛ كيف لا وذاك واحد هو مَن جهر بالصدقة فتأسَّس له حديث عظيم «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْـمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣)، وقصة هذا الحديث هي كما قال الْـمُنْذِرُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ(٤)، أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [الحشر:١٨]، «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ**»، حَتَّى قَالَ: «**وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٢٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) قوله: «مُجْتَابِي النِّمار» أصل الجَوْب: القطع، ومنه قوله تعالى: ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، والنِّمار: جمع نَمِرَة: وهي شملة أو كساء مخطّط من صُوف. والمراد: قطعوها فلَبِسوها. ينظر: المشارق للقاضي عياض (٢/ ١٣)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٤٣٣).

قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٢).

ثم كم من رجل مات فعرف صاحب السُّنَّة الحسنة وصاحب صنائع المعروف أنها له، فذلك لا يضر، بل الله أراد ..

ومع هذا فلقد رأيت رجلًا يسأل عن فلان بن فلان وقد مات فلان أبوهم رحمه الله ..! وقد بقيتْ صدقته هناك في تلك البلاد بلا راعٍ لأن الورثة لا يعرفون هذه ولم يحدثهم أبوهم عنها، فانقطع جريان الصدقة الجارية .. أفلم يكن الأفضل للوالد في مثل هذه الحالة أن يحدثهم عن هذا؟ .. أليس يدخل هذا في حديث: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عَمِلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى يَتْرُكَ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣)، بل يجب أن يكون عنده مكتبٌ خاصٌّ بالصدقات الجارية، أو تسجيل لها .. وهذا لا يخرجه من السرية .. بل بغير هذا تضيع الصدقات الجاريات، وتندثر، أو

---

(١) قوله: «فرأيت وجه النبي ﷺ يَتَهَلَّلُ كأنه مُذْهبةٌ» فيه وجهان: أحدهما: أنه أراد فضة مذهبةُ، كما قال: كأنها فضةٌ قد مَسّهَا ذهب، يعنى لحسن وجهه ونوره وإشراق ماء السرور فيه، والوجه الثاني: أنه شبهه أيضًا في حسنه بالمُذْهبة من الجلود، وجمعها مذاهب، وهي شيء كانت تصنعه العرب من جلود، وتجعل فيه خطوطًا مذهبة يُرى بعضها إثر بعضٍ، وفيه يقول الشاعر: أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطِّرَاءِ المَذَاهِبِ.

وسروره عليه السلام هنا لوجهين: أحدهما: لما ظهر من إجابة المسلمين له وبذلهم أموالهم في الله، وجودهم بالصدقة، والثاني: لما فتح الله بذلك على هؤلاء القوم العراة المحاويج.

(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

تسرق، ولا متابع لها، وسيكون مداها مثل الصدقات العادية؛ فلا هي جارية، ولا هي سنة حسنة؛ لأنها انقرضت بموته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف يرعى الأولاد صدقة والدهم .. بل كيف يتربون على هذا المنهج الكريم إذا لم يعرفوا الكثير من صدقات أبيهم، وعلى الأخص ما يحتاج إلى رعاية طويلة.

الدعوة السادسة: نجدة أهل المقابر من بوابة الأرحام:

«**وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ**»: كل كلمة تبعث على نجدة أهل المقابر ونفعهم ورفع المعاناة عمن يعاني منهم؛ ذلك أن مَن جعل الله سبحانه في نفسه الإنقاذ والنجدة قبل زيادة العمل لنفسه أو زيادته للآخرين فقد أراد الله به الخير، وأراد الله ﷻ له الخير ... إذ بهذا صرف الله عنه الإثم، وبه جمع له عمل نفسه، وعمل غيره كله له .. إذ لا أحد يقول أن رفع الدرجات تقدم على الإنقاذ .. نعم نحن لا نعلم ماذا يحدث في المقابر تحديدًا إلا أن المؤشرات موجودة ظاهرة، فمَن كان صاحب ربا فإن الرسول ﷺ رآه يسبح في نهر الدم، وأصحاب الزنا رآهم النبي ﷺ في تنور الزناة، وهكذا الأفَّاك وغير هؤلاء؛ فإن الخطر على هؤلاء أكبر بكثير .. وأنت تتوجه لله العليم الخبير بالإنقاذ ولا تتوجه لسواه، وهو سبحانه أعلم بذلك فإن الله ﷻ بهذه النية يجمع كل الأجور وأعلاها في صدقته هذه، ولا أحد أغير من الله، والله يحب من عباده الغيور على عباده أحياءً وأمواتًا، والله يحب الموقنين بالغيب، ولا يفعل هذه المشاريع مَن لم يكن غيورًا على عباد الله، ولا يفعلها إلا مَن تعدت غيرته إلى الأموات، فإن كلمة «**وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ**»، وهل كانت رحمًا إلا بمَن سلف من الآباء والأمهات؟ فماذا عن مقصِّر مات منهم؟! وهو قاطع لرحمه قصير في عمره؛ وهل نقف منه موقف الشامت أو السلبي الصامت عياذًا بالله.

فهل يرضى الله ﷻ أن يقف الأخ المسلم من أخيه المسلم الترك في العذاب، أو الخذلان وهو سبحانه القائل: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ

﴿شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، وهل يرضى رسول الله ﷺ بذلك الخذلان أو السكوت وهو القائل: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»[١] ..

هنا الواصل لرحمه لا يحتاج إلى عناء، وإنما يكفيه الالتفات إلى الجهة ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] .. مَن يستطيع أن يستخلص المعذبين من عذاب القبر .. مَن يستطيع أن يستخلص من بينهم كل يوم واحدًا أو أكثر .. مَن يستطيع أن ينقذ من قَطَعَه أهله لأنه كان قاطعًا .. وأغلقت صحيفته في الدنيا، فلم تعد تقطر عليه قطرة رَحْمةٍ ولا حسنة من أي جهة.

هنا يقوم مَن يقوم من الشفعاء ليمارس دوره من كل جهة علَّه يجد طوق نجاة لصاحب هذا القبر، وكان التفكير الأول والأصح هو أن يقطع عنه مجاري السيئات الجارية .. فيذهب أول ما يذهب لأرحامه ويبين لهم وجوب مسامحة ميتهم، وضرورة إعلان ذلك بينهم حتى يسامحه الصغير والكبير .. لأنه بغير هذا - كما يرون - في فُرْنٍ ملتهب وهو في داخله يتقلّى، وأنت تنظر ولا يكلفك إنقاذه قبل أي عمل من أن تغلق زرَّ الفرن الكهربائي لكي تنطفئ نار الفرن ويبرد.

هذا إصلاحٌ بين الرحم فطرف الأهل موجود وأنت وكيل عن ذاك القاطع الميت، ولا أحسبك سترجع خالي الوفاض من الإصلاح والنجاح، ورب العالمين يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٥]، وماذا يريد ربنا سبحانه منا إلا الإصلاح والمسامحة، والاعتذار والإعذار، ورحمة أخينا المقصر، وهو سبحانه أرحم الراحمين، وهو سبحانه القائل: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧]، وأي إصلاح أحسن من هذا الإصلاح الذي بناءً على نتيجته؛ ستحل الرحمة - بإذن الله - بدل العذاب، حين يعود المصلحون ظافرين.

---

(١) رواه البخاري (١٤٣٢).

وأما الشق الآخر للإصلاح: هو أن يأخذ أولاد المتوفى معلِّمًا ومؤدبًا ومبينًا لهم ضرورة جبر كسر أبيهم، وجبره إنما يكون بصلة أرحامه أولًا قبل كل شيء، **ومَن اعتاد قطع أرحامه ربما كانت عليه مطالبات** من آخرين كصاحب البقالة، أو بعض العاملين في البيوت، أو السمكري، أو مصلح المكيفات، أو أمثال هؤلاء، فيستخبر عن هؤلاء واحدًا واحدًا، ثم الإنفاق لأجل والديهما احتياطًا .. وتقصد إنفاق أشياء معينة هي وقاية من النار؛ ومنها شفاعة للآخرين يشركون أباهم بها، أو يجعلونها كاملة لأبيهم، والشفاعة هنا شفاعة هناك، وبناء صدقة جارية سواءٌ كانت مسجدًا، أو مصحفًا، أو بئرًا، أو كما ورد في الحديث السابق لنا، والولد الوفي لأبيه يحرس أباه في قبره في كل حال، فيتصور حاجته، ويخاف عليه كما تخاف الأم على رضيعها المتوجع وأكثر .. فيسدُّ خلله الذي يخافه عليه الليل والنهار .. يكفل طالبًا بحفظ سورة البقرة؛ فللبقرة في القبر صنيعٌ لا نظير له .. يحفظ هو سورة تبارك، ويهب ثوابها لوالديه، ويقرأها كل ليلة عنه وعن والديه.

«وَأَهْلُ الْـمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْـمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ»:

وهذه دعوة عظيمة من رسول الله ﷺ لكل مسلم من المسلمين أن يكون في هذه الدنيا من أصحاب المعروف المعروفين في هذا .. بحيث يكون المسلم شامة، ومقامًا، وإمامًا في المعروف أينما حلَّ وارتحل .. لينال هذا المقام في الآخرة، فإذا كان عند الشفاعة تقدم وقدم ما يستطيع ليكون صاحب شفاعة في الآخرة، وإذا كان عند الصدقة كان صاحب اليد العليا ليكون صاحب اليد العليا في الآخرة، وإذا كان الموقف يقتضي نصرة تقدَّم لها ليكون مقدَّمًا عند الله صاحب نصرة كل محتاج.

وهكذا وهكذا فالموقف بالموقف، والمقدَّم هنا مقدَّم هناك عند الله وبين العالمين في اليوم المشهود ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣].

«وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْـمَعْرُوفِ»: وإذا جئت إلى الدعوة النبوية العظيمة في

هذه النتيجة والتي هي نتيجة نتائج الإنجازات والسعي والباقيات لم تجد حافزًا مثلها أبدًا ليكون الرجل يومًا من أهلها.

فمَن كان يتقدم في كل ميدان حقه أن يقدِّمه الله ﷻ ... هذا مقامه وهذا جزاؤه ورسول الله ﷺ هو إمام هذه الزمرة وسيدها.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].



الفصل الثاني
أسئلة مختصرة .. أو أطواق نجاة حاضرة

مطلع الفصل: لا ينبغي لنا أن ندع طريقًا يمكن أن نصل منه بالنجدة إلى أهلنا - أهل الإسلام في المقابر - إلا سلكناه .. وأول الوصول إنما هو بالوصول إلى عقولنا نحن وقلوبنا .. فهنا طريقة الأسئلة المقررة والأجوبة الحاسمة المبينة المختصرة .. تحاشيًا لطول البحث، وتحاشيًا لحذف أحاديث فيها من دعوات رسول الله ﷺ الكثير الكثير .. وخيرٌ لنا ولموتانا من أن نتخطاها .. ولذا كان في عرضها تجديد في العرض، وإعانة على الفقه فيها والاستنتاج .. وإسراعًا في النجدة .. فيا لعباد الله النجدة النجدة.

الحديث الرابع والعشرون: فمَن أحق بالنجدة ممَن ختم عمله؟

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ». وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**»(١).

مَن يؤمِّن موتاه من فتنة القبر؟

هل فكرنا خارج أنفسنا ونحن نقرأ خطاب النبي ﷺ هذا؟ ألم يقل النبي ﷺ: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ**»؟ فماذا عمَّن ختم على عمله ورحل .. ولم يعد له من باقيات صالحات إلا ما قدَّم وأخذه معه، فهل يمكن نجدته؟

---

(١) رواه الترمذي (١٦٢١) واللفظ له، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأبو داود (٢٥٠٠)، وأحمد (١٧٣٥٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وماذا عن مَن هو الآن يمكن أن يكون وسط أتون «فِتْنَةِ الْقَبْرِ» ألا من طوق نجاة منا له؟ تدبر وستجد طوق النجاة .. فإن أبيت فانظر في هذا الحديث وأنشئ رباطًا أو ما في معنى الرباط وحُكمه .. رباطًا علميًّا أو تربويًّا أو ملجأ للمشردين أو نحو ذلك .. فالحديث هداية عن المرابطين وصور المرابطين .. ألا يحمل الحديث على أوسع الفهم .. كيف ورسول الله ﷺ يقول في ختام الحديث: «**الْـمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**»، ألا يعني هذا أن الحلول لا تقتصر على الجهاد بمعنى القتال .. بل بمعنى الجهاد كله. أَوَلا يعني هذا الحديث أن للرباط كذلك معنى أوسع من رباط الجهاد .. وخصوصًا في هذا الزمان ... فماذا إذا أقمنا صورة من صور الأربطة الحديثة .. وأهدينا أجرها لهم، ليجري لهم أجرها - بإذن الله - إلى يوم الدين؟!

الحديث الخامس والعشرون: الحذر من قعود الشيطان - نعوذ بالله منه - ليقطع طريق النجدة:

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ؛ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَام فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْـمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْـمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْـمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْـمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(١).

كيف أستطيع أن أجعل ميتنا في أمان وضمان الآن وهو في قبره .. كيف أستطيع أن أوصل لميتنا أمانًا وضمانًا .. وقد مات ولم يفعله ..؟

---

(١) رواه النسائي (٣١٣٤) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٣٦٥١)، وقال محقق جامع الأصول (٩/ ٥٤٠ - ٥٤١): إسناده حسن، وحسنه الحافظ في الإصابة (٣/ ٦٤).

أليس فعل هذا العمل الذي فيه الضمان والأمان .. إذًا فلأعمله ولأجعل النية له فيقبل عني وعنه .. فهل يستطيع الشيطان أن يمنع دخوله في صحيفته حتى وإن أُغلقت صحيفته؟

وهل يستطيع الشيطان أن يمنع وصول الأجر وقد عملناه وأسلمناه لله رب العالمين ... هنا طريق لا سبيل للشيطان إليه أبدًا، والحمد لله رب العالمين.

أليس هذا بابًا لم يحسب له الشيطان – نعوذ بالله منه – حسبانًا .. يا أمة محمد ﷺ أليس هذا طريقًا من طرق النجدة للدار الآخرة، وهو طريق سالك ليس فيه أي عوائق أبدًا، ولا مجال للشيطان فيه، وحدود الشيطان ومسالكه هي حدود الدنيا .. أليس هذا كتابًا أُغلق، وتكليفًا رُفع .. ونحن – بفضل الله – نعمل له والله يوصل له وينقذه ويغفر له .. ويرفعه .. أليست هذه هي الحقيقة .. أليس هذا ما لا قبل للشيطان به – نعوذ بالله منه –.

الحديث السادس والعشرون: فإياك أن تنساني وإن قلَّ:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»(١).

هل حدَّد الرسول ﷺ العامل .. أم حدَّد العمل؟ هل لو عمل الرجل لأهله في مزرعته، أو في شباك بيته إناءً يقطر في حوض صغير قطرة قطرة .. في ثواب والديه .. أكان هذا قليلًا؟ أليس هذا مما يصدق عليه الحديث «**وَإِنْ قَلَّ**»؟ فماذا إذا بقيت هذه القطرة مستمرة في الذرية .. كم سيكون في صحيفة الوالدين .. وكم سَتُبَرِّدُ عليهما في قبرهما .. بل سيجمع هو مثل ذلك إلى أن يرحل .. وكم سيكون أجرها .. وكأن لسان الوالدين يحثُّك ويستنفرك قائلًا: سل أجواف العصافير والطير وستخبرك .. والله بكل شيء عليم وإن قَلَّ .. ما دام دائمًا .. وإن كان حبة .. وإن كان فسيلة .. وإن كان

---
(١) رواه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٢) واللفظ له.

منيحة، وإن كان كأس لبن .. وإن كان فنجان قهوة .. وإن كان كرسي استراحة .. وإن كان كرسي صلاة .. وإن كان ظلة، أو مظلة .. وإن كان فراشًا، أو لحافًا .. وإن كان أصغر عُمْلَةٍ للبلد .. وإن كان فكرة مباركة .. وإن كان ابتسامة دائمة .. وإن كان كلمة طيبة .. وإن كان زيارة .. وإن كان دعوة .. إي والله أي شيء نقبله .. نفرح به .. ننتظره .. سَمِّه باسمي عند ربي، وربي يوصله له في وقته، ويخبرني، بل يعطيني ثمرته إنقاذًا، أو مغفرة ورحمة، أو درجة، فأسأل عنك، وعندها يخبرني ربي سبحانه عنك وأنها منك .. يا حبيبي يا مَن لم تنسَ .. اجعله مدًّا أبدًا، وهو لك كذلك، ولن تذهب سُنتك سدى.

الحديث السابع والعشرون: ما فتح الغار يفتح القبر بالفرج:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ[١] حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[٢] عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ

(١) فإذا أرحت عليهم: أي إذا رددت الماشية من المرعى إليهم.

(٢) يتضاغون: أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْ(١)هَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ(٢)، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ، فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ»(٣).

أليس الغار قد أُغلق على أناس بأرواحهم ..

أليس القبر كذلك قد أُغلق على أناس وقد رجعت إليهم أرواحهم ..؟

أليس العمل الصالح هو مَن فَكَّ عنهم ضيقهم وأزاح صخرتهم ..

أليس هذا العمل الصالح جاهزًا لعمل نفس العمل مع ضيق القبر ..

أليست مناشدة الولد ربه سبحانه بعمله هذا وأمثاله ليوسع الله على أبيه قبره مقبولة ومجابة ..

أليس هو «**وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو**» لوالديه ..

أليس مثل هذا الدعاء من الأخ لأخيه ومن الصاحب لصاحبه له ذات المفعول .. فما لنا نُحَجِّر واسعًا .. وما للأذهان لا تتحرك وقد جعل الله الرحمة واسعة .. والدعاء مجابًا مطلقًا ودون اشتراط كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى

---

(١) فلما وقعت بين رجليها: أي جلستُ مجلس الرجل للوِقاع.

(٢) لا تفتح الخاتم إلا بحقه: الخاتم كناية عن بكارتها. وقوله بحقه: أي بنكاح لا بزنى.

(٣) رواه البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ..

أليس في جعبة كل مسلم مثل هذه الخبيئة وهي السهم النافذ .. فإلى متى ندَّخره وعندنا من سُكَّان القبور مَن هو بأشد الحاجة إليه .. والله ﷻ يحب ذلك مِنَّا .. ويفك عنه .. ويقبل الشفاعة.

هل كثير على الوالدين والأحبة أن نهديهم مثل هذه الأعمال ونشركهم معنا:

ألا يمكن أن تتحول هذه الأعمال إلى عمل مؤسسي وقفي .. ولو بعضها:

أليس رسول الله ﷺ هو مَن عَلَّمنا أنَّ الرحمة بالرحمة: والفَرَج بالفَرَج .. والشفاعة بالشفاعة .. والستر بالستر .. والعفو بالعفو .. والله يحب الإهداء للأخ والتهادي «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»[1]، وتقول عائشة رضي الله عنها: **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا**[2].

أم أن الموتى يردون الهدية ورسول الله ﷺ قال عند أضحيته: «**بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي**»[3]، وهو أضحية، وفي أمة محمد مَن مات، وفيها مَن لم يولد بعد.

الحديث الثامن والعشرون: النجدة لمن خيف عليه العطش في قبره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٩٤٦)، وحسَّنه ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير (٣/ ١٦٣) رقم (١٣١٥)، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص (٤٧٨) رقم (١٠)، وحسَّنه الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد في التعليق على حديث (٩٢٥٠).

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٥).

(٣) رواه الترمذي (١٥٢١)، أبو داود (٢٨١٠)، وأحمد (١٤٨٩٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٢) رقم (٥٩٧٠): رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَأَحْمَدُ بِاخْتِصَارٍ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ[١] يَأْكُلُ الثَّرَى[٢] مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ[٣]»[٤].

وما دام لنا في البهائم أجرٌ فلماذا لا نجعلهم مشروع حياة في أرضٍ مهلكة .. ولماذا لا نُشرك معنا في هذا الأجر أحوج الناس وأحبهم؟! فأي العطشين أشد .. عطش فوق الأرض .. أم عطشُ مقطوعٍ تحت الأرض .. أليس الأول إن اشتد بصاحبه العطش واشتد فستنتهي آلامه بموته ..أما هناك فلا ينتهي العطش ولا تنتهي آلامه .. وليس العطش مثل العطش، ولا الآلام مثل الآلام. أليس الري بالري .. والنجدة بالنجدة .. والسقيا بالسقيا .. والحياة بالحياة .. فماذا ننتظر وثَمَّ آخرون عطشى ينتظرون؟! وقد قال النبي ﷺ – عندما سأله سعد رضي الله عنه –: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ، وَلَمْ تُوصِ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ»[٥]، وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَقْيُ الْمَاءِ»[٦].

---

(١) يلهث: وهو الذي أخرج لسانه من شدة العطش والحر.

(٢) الثرى: التراب النديّ.

(٣) في كل ذات كبد رطبة أجر: معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه، ونحوه، أجر. وسُمِّيَ الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده.

(٤) رواه البخاري (٦٠٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٤).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٨٠٦١)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٣٨) رقم (٤٧٦٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٦) رواه أحمد (٢٢٤٥٩)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧)، والحاكم (١٥١١) بنحوه، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٠٤)، والنسائي (٣٦٦٤)، وأبو داود (١٦٧٩)، وصححه الأرنؤوط.

الحديث التاسع والعشرون: النجدة لصاحب كبيرة في قبره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ[(١)] بِرَكِيَّةٍ[(٢)] كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ[(٣)] مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[(٤)]، فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[(٥)].

هل حَالَ بغاء هذه البغي بينها وبين قبول عملها عند الله؟ أم أنه سبحانه تَقَبَّل عملها وغفر لها كل ما أسلفت؟ أليست هي مَن استحقت اسم البغاء كاملًا وليس وصفه فحسب، أي: ليس زناها كان مرة واحدة فحسب؟ فما لأحدنا يحتقر نفسه أن يدعو ربه بصدقٍ لحبيب يقتله العطش ربما كل يوم تحت الأرض، أو أخ تعرفه استحق اسم الزاني لإدمانه على الزنى فهو يشوى في تنور الزناة، وذاك مسكنه إلى أن تقوم الساعة .. أو امرأة غلبها الشيطان، أو الفقر فغوت واستمرت وهي مسلمة تعتز بدينها وماتت على لا إله إلا الله، وإن كانت مع ذلك مطربة أو راقصة .. أليس بهذا الحديث انفتح طريق النجدة لأهل الزنى من أهلنا وأهل الإسلام .. إنه سقي الماء لمن ليس عندهم ماء .. سقي الماء لأناس يبلغ بهم مثل هذا العطش من قبل .. أو سيبلغ بهم العطش لولا مشروعنا هذا .. وسقيا هذا .. وكفى.

ألا ما أسهل إنقاذ صاحب كبيرة في قبره لمن سهلها الله عليه: حيث جعل الله سقيا كلب كاد أن يموت عطشًا بمغفرةٍ لي ولأبي بحق ولمَن أشركه معي في هذه النية .. لا ينقص أجر أحدٍ عن الآخر!

---

(١) يطيف بالشيء: أي يدور حوله. يقال: طاف به وأطاف، إذا دار حوله.

(٢) بركيّة: الركية البئر.

(٣) بغيّ: البغي هي الزانية. والبِغاء، بالمد: هو الزنى.

(٤) موقها: الموق هو الخف، فارسي معرب. ومعنى نزعت موقها أي استقت. يقال: نزعت بالدلو إذا استقت به من البئر ونحوها، ونزعت الدلو أيضًا.

(٥) رواه البخاري (٣٤٦٧) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٥).

الحديث الثلاثون: كيف تعتق أغلى الرقاب عندك؟

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ** ﷺ **أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»**، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَغْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**»[١]، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**»[٢].

أي الرقاب عندك أغلى من رقبة الوالد، ورقبة الوالدة .. أو رقبة الأخ أو رقبة الأخت .. أو رقبة الولد أو رقبة البنت .. أو رقبة رحم مَن رحمك، أو رقبة أخ في الله، أو رقبة أخت .. فمَن خشيت عليه الخطر وقد رحل، أو أردت الاحتياط له حماية له واحتياطًا فأعتق لأجله أَنْفَس الرقاب عند أهلها .. فإذا لم توجد الآن الرقاب في كل مكان فثمة قيمتها اليوم بمقدار ما كانت .. أوقفها لله تعالى مسجدًا، أو فك فيها أسيرًا من سجنه ومظلمته، أو أي عمل علمي، أو صحي، أو حياتي تبعث به حياة، أو تحمي به الحياة؛ أليست الرقبة بالرقبة؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»[٣]، وحساب المسألة في هذا الوقت ما بين عشرة آلاف درهم إلى ثلاثين ألف .. فلتكن الحسبة بأعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها، رقبة برقبة .. كم تقاس الرقبة التي تريد عند عتقها وهو بين يدي الله ..

الله! أليست كل كلمة من كلمات رسول الله ﷺ في هذا الحديث مشروع صدقة جارية عظيمة .. أليست كل كلمة بنية في هذا الشأن عظيمة .. هدية ثمينة يوصلها الله لأحبابنا الراحلين إن قدمناها لهم سائلين الله قبولها منا لهم .. ومَن أوفى بعهده من الله؟!

---

(١) الأخرق: الأحمق الجاهل، أو مَن لا يحسن الصنعة، ومنه الحديث تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق أي لجاهل بما يجب أن يعمله، ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها.

(٢) رواه البخاري (٢٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٨٤).

(٣) رواه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩) واللفظ له.

الحديث الحادي والثلاثون: أي عدة للقبر مثلها:

عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ! قَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ»(١).

ألا يدل طلب هذا الرجل - وهو صحابي رضي الله عنه - على علمه بخطورة القبر؛ أَوَلا تراه كيف اتخذ له أعظم حصن حصينة .. أليس إقرار الرسول ﷺ لهذا الصحابي هو إقرارًا من رب العالمين له على هذا الإعداد وهذا الطلب .. أليس في هذه الطريقة فتحًا لباب عظيم عظيم للإعداد العظيم لذلك المضجع العظيم.

أليس في هذا الحديث دعوة لكل واحدٍ أن خذ لنفسك طوق نجاتك .. ويا حسرة على مَن دخل بحر البرزخ بغير زورق ولا طوق نجاة .. هذا أخذ طوق نجاته بصحبة القرآن العظيم فحفظه، وذاك ما استطاع فأخذ سورة البقرة .. وثالث ما استطاع فأخذ حفظ سورة الملك .. وهكذا وهكذا .. وآخر كفل يتيمًا حتى تربَّى على القرآن وحفظ القرآن، فجمع ما بين الحسنيين؛ كفالة يتيم، وإنشاء عالم رباني، وتحفيظ القرآن العظيم، وإهداء هذا كله لمن تشاء. فهنيئًا لمن ترسل له هذه النجدة.

الحديث الثاني والثلاثون: مقارنة واضحة بين عَمَلَيْن .. ورسول الله ﷺ يحكم:

عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْغَزْوِ، وَأَنَّ رَجُلًا تَخَلَّفَ وَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَتَخَلَّفُ حَتَّى أُصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ، ثُمَّ أُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَأُوَدِّعَهُ، فَيَدْعُوَ لِي بِدَعْوَةٍ تَكُونُ شَافِعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ الرَّجُلُ مُسَلِّمًا

(١) رواه البخاري (١٢٧٧).

عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرِي بِكَمْ سَبَقَكَ أَصْحَابُكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، سَبَقُونِي بِغَدْوَتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَبَقُوكَ بِأَبْعَدِ مَا بَيْنَ الْـمَشْرِقَيْنِ، وَالْـمَغْرِبَيْنِ فِي الْفَضِيلَةِ»(١).

هل يجوز لمسلم أن يتعلق بأذكاره .. أو بدعائه ليلة القدر لنفسه .. أو بأي ذكرٍ على حساب ترك عمل صالح متعدٍّ نفعه للآخرين .. بعد ما سمع هذا الحديث؟! أليس حديث رسول الله ﷺ دعوة لكل واحدٍ منَّا أن اسعَ .. واعمل .. واعفُ .. وارحم .. وهناك ادعُ، ولا تغفل عن الذكر أبدًا .. ألست أنت وأنت في عملك الصالح في أعظم ذكر.

أليس هذا ميزان صاحب الذكر نفسه ﷺ ...

الحديث الثالث والثلاثون: لماذا ندعو بطول العمر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْـمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ»(٢).

أليس تمني الموت يعني انقطاع الأمل وانتهاء الرجاء .. لذا مهما كان الأمر والشدة والمرض فلا سبيل إلى تمني الموت. أليس بحلول الموت ينقطع العمل الصالح ويتوقف .. وينقطع السيل عن أهل المقابر ويجف .. وفي ذلك أعظم الحزن .. ألم يرفع النبي ﷺ آمال الخير عالية منائرها في المقبل من الحياة ..؟

أليس المرض وشدائده يدفعان المسلم لمزيد الإعداد للنهاية .. لقضاء ديونه ..

---

(١) رواه أحمد (١٥٦٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٨٤) رقم (٩٤٦٩): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِيهِ زَبَّانُ بْنُ فَائِدٍ وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. وقال محققو نضرة النعيم (٨/ ٣٣٩٣) رقم (٦): وهو من مسند سهل بن معاذ وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن.

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٣).

للوصية بثلث ماله .. للمسامحة لمن ظلمه أو قصَّر في حقه .. لإنشاء صدقات جاريات .. لعتق رقبته ..لإطالة عمره بعد عمره بالباقيات الصالحات المحييات للحياة والأحياء.

ألم يُعَلِّمنا رسولنا ﷺ أنه مهما بلغ العجز أو المرض أو الحال فلابد من عمل المستطاع لأنفسنا، ولميتنا، ولا نستسلم أبدًا.

سبحان الله؛ هكذا هو المسلم مع الكبر يزداد عملًا .. مع الضعف يزداد قلبه إقبالًا.

فما أكثر الذين بطول أعمارهم يتوبون ويستعتبون!

الحديث الرابع والثلاثون: حذار من هذا التنزُّه:

عَنْ مَسْرُوقٍ ﵁ قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»(١).

ألا يعني هذا المنهج النبوي العظيم أن لا جدَّ ولا اجتهاد فوق ما جاء به رسول الله ﷺ؟

وأن لا إعداد للموت والقبر والدار الآخرة أكثر مما جاء عن رسول الله ﷺ؟ ألا يعني هذا أن لا نُسيء الظن بمَن رحلوا وكانوا يأخذون بالرخص؟! وأن على المؤمن عند الموت أن يُقْبِل على الله، أن يكون حسن الظن حسن الفأل منشرحًا فرحًا بلقاء الله .. ولا يلتفت لما يُعكِّر نفسه، ولا يندم على أخذه بالرخص كيف وقد أخذ بها رسول الله ﷺ؟

الحديث الخامس والثلاثون: هذه والله الغنائم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ

---

(١) رواه البخاري (٦١٠١).

شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[(١)].

كأننا موعودون بذهاب كل غنيمة من الغنائم الخمس ... فكيف نغتنمها قبل أن تصبح في خبر كان .. ولات ساعة مندم.

وهل من قيمة لكل غنيمة بعد أن نصبح عدمًا .. أليست أكبر الغنائم هي حياتك ... فما قيمتها بعد ذهابها «**وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»؛ فذهاب كل غنيمة إنما هو موتها وإن بقيت حيًّا بعدها ..

أليس في هذا الحديث دعوة إعانة مَن رحلوا ولم يغتنموا الغنائم الخمس وقد أصبحت الغنائم الخمس عدمًا .. أليس الواجب تعويضهم عن غنائمها .. ألا تسع حياتنا لأن نشركهم معنا في غنائمنا الخمس بنياتنا .. بدعواتنا أن يتقبل الله منا عنا وعنهم؟ وأي وقت تأخذه نياتنا .. وأي جهدٍ إن أشركناهم بدعائنا؟

ألا يعني أنك منحت والديك ومَن أهديت له من الأعمال الباقية الصالحة الغنائم الخمس من جديد بأعلى وأبقى وأنفع حياة؟

ألا يعني أن لك مثلها .. بل مثل كل واحد ممن استحضرته .. لا ينقص من أجورهم شيء كما لا ينقص من أجرك شيء؟

الحديث السادس والثلاثون: لا تؤدة في عمل الآخرة:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ الْأَعْمَشُ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التُّؤَدَةُ[(٢)] **فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**»[(٣)].

ما الذي يجعلنا نتمهل في عمل الآخرة والموت غَيْبٌ ربما حلَّ في أية لحظة؟

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٥٠)، والحاكم (٧٨٤٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(٢) التؤدة: التأنِّي والتمهل والرزانة.

(٣) رواه أبو داود (٤٨١٠) واللفظ له، والحاكم (٢١٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

هل مَن كانت عنده غنيمة في أرض المعركة يتمهل في حيازتها .. أليس هذا منهجًا في كل عملٍ من أعمال الآخرة؟

هل مَن كان يحمل هَمَّ مَن رحلوا إلى الدار الآخرة يمكن أن يتمهل في العمل لهم بطابع النجدة؟

هل يليق بقائد سيارة النجدة أن يتمهل وهو يحمل معه مَن ضاق نَفَسُه، أو مَن اشتد نَزْفه؟

ألا يعطي قول النبي ﷺ: «**إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**» ضعف الحرص والاندفاع وأكثر إذ كان «**عَمَلِ الْآخِرَةِ**» لمن رحلوا للدار الآخرة ... إذ المقتضى يقول: فكيف حرصكم على مَن هم في الدار الآخرة .. هل تنتظرون أن تكونوا أنتم من أهل الآخرة .. فتصبحوا أنتم وهم سواء؟!

الحديث السابع والثلاثون: اجعل رجلًا متضرِّعًا عنك لقضاء حوائج الناس:

عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَزْدِيِّ ﵀ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فُلَانٍ - وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ - فَقُلْتُ: حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ»، قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ[1].

أليس النصح هو ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ وتقديم النصح على كل حال حتى عند التبريك - كما يقولون - بالخلافة؟ وهل يفعلون ذلك لولا اعتقادهم الراسخ بسؤالهم عنها في الآخرة، وأول دورها القبر؟ أولم يكن الخليفة عثمان ﵁ يبكي إذا زار القبور على وجه الخصوص، وهل رأى معاوية ﵁ الخلاص من العتاب المذكور إلا بجواب عملي وفوري بأن فرغ ممثلًا عنه مفوضًا في قضاء حوائج الناس ..؟

(١) رواه أبو داود (٢٩٤٨)، وصححه الألباني، وقال محقق جامع الأصول (٤/ ٥٢): إسناده حسن.

أليس مَن أنعم الله عليه في هذه الدنيا بعمْرٍ وحباه وقد رحل عنه مَن رحل من الأهل والأصحاب والجيران فاحتجب عنهم بما بينه وبينهم من غيوب فليس من حاجب أعظم مما بين الدنيا والآخرة .. وليس من حاجة أو خلة أو فقر مثل حاجة أهل الآخرة لأهل الدنيا، وفقرًا مثل فقرهم، وخلة مثل خلتهم، هذا إن كانوا ممن ليس عندهم صدقات جارية وعندهم أوزار .. أو عليهم مطالبة للناس.

هل ترى رجلًا أعظم وأندر في هذا الزمان من رجل جعله الله ﷻ من البطانة فأخذها وأخذ الغنيمة للدار الآخرة، وقضاء أهل بلده والمسلمين، مأخذ الجد أكثر من حاجياته هو نفسه وجعل ذلك العمل الصالح بقضاء حوائج الناس عند الحاكم احتسابًا لوجه الله الكريم، وصدقة جارية لوالديه ولأموات المسلمين، فكان يشفع ويخلص الناس، ويفك العاني، ويطلق السجين المظلوم، وينصح ويصدق في نصحه حاكمه حكمة ودعوة وإنقاذًا .. وذلك لله وحده، ويهدي عمله بعد نفسه إلى الراحلين المحتاجين في البرزخ.

الحديث الثامن والثلاثون: الإحسان لذكر الراحلين:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ، أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ ﷻ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»(١).

يا عائشة: أليست كل منقبة من مناقب خديجة أم المؤمنين ﵂ تعيد فضل ما أنتم فيه إليها، أليست هي السابقة في هذا، ومع هذا فهل انتقص رسول الله ﷺ الأحياء - معاذ الله -، إذًا فلتتسابق في هذا المسلمات.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٦٤)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤) رقم (١٥٢٨١): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

أليست كل مرة يذكر النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها إنما تلك شهادة منه عظيمة يقدِّمها لها كافية وافية لها تنفعها وترفعها أكثر وأكثر، أوليس هذا دأبه وهو واضح من قولها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ، أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ».

أليست هذه منقبة عظيمة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يريد أن يريها النبي ﷺ للناس كافة، حيث إنه كان يعلم يقينًا أن عائشة رضي الله عنها سوف تروي مناقب خديجة رضي الله عنها بكل ما سمعته .. فتكون شهادة حية لها على أمانتها وصدقها في كل ما سوى ذلك مُغَلِّبَةً أمانتها ودينها على غَيْرة النساء، فتكون بهذا قدوة، وإنها والله لقدوة.

أليس الواجب على النساء أن تتوقف غيرتهن العدوانية على الراحلات وإن كنَّ ضرات؟

فكم سينتفع موتانا لو جعلنا منهجنا أن نكتم مثالبهم، وندافع عنهم، وكلما ذكرنا ذكرنا محاسنهم، ودعونا لهم، وأقل ذلك أن نقول: رحمه الله، رحمها الله، رحمهم الله.

وليس أقل من أن نسكت عن مسيئهم، فهم في حالٍ لا يعلم بها إلا الله، وكفاهم ما هم فيه.

أليس الواجب أن تتحول الغيرة بين النساء إلى غيرة لهن حيث الذكر الحسن، والدعاء، والصدقات الجاريات، فتكسب المؤمنة دفاع الله عنها حية وميتة .. وتكسب شريكتها الراحلة الدعاء والشهادة منك لها؟

أليست النساء أحق بزيادة الاحتياط لنفسها من النار وخصوصًا بعد إنذار النبي ﷺ لهن بما رآه بعينيه «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»(١)؟

الحديث التاسع والثلاثون: خلق الوقاية والإنقاذ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٧٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٨٦)، وسلم (٢٥٠٠).

أليست هذه مشاريع ضرورة ولأشد الأحوال الاجتماعية ضرورة؟ ألم يذكر النبي ﷺ حالتين: الأولى أنهم «**إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ**» أي: أنهم في سفر وفي غزو وقد قل طعامهم وسينتهي عليهم إذ هم في الحال .. هنا؛ ألا يضنُّ كل واحدٍ بما عنده على غيره، ويضنُّ بما عند أسرته على الأسر الأخرى؟! أليس من الغريب العجيب أن يكون الضد من هذا هو اختيار الأشعريين؛ فاجتمعوا مباشرة وجمعوا كل ما لديهم في إناء أو كيس أو موضع واحد وأصبح الجميع يأخذ من موضع واحد .. أو ليس هذا يعني أن الأشعرين حملوا أنفسهم، وكفوا قيادتهم ثقل حملهم .. أليس لو كان كل مجموعة هكذا لخفَّ الحمل، ونجا المسافرون، والمجاهدون من الهلاك؟ أليست على مثل هؤلاء تنزل بركة الله .. وأخيرًا هل نسيت أن مَن يروي للأمة القصة لا يرويها عن رسول الله ﷺ إنما يرويها رسول الله ﷺ عن الأشعرين وهم أصحابه رضي الله عنهم من أهل اليمن؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»(١)؟

هل سينسى بعضهم بعضًا في الآخرة إذ لم ينسوهم في الدنيا، أليست الشفاعة والشهادة المعتادة هناك بالمعرفة .. هل مَن اجتمعوا لعمل مشروع مشترك في هذه الحياة سينسون عمل مشروع مشترك لمقطوع مات منهم كان معهم ربما كان صالحًا، أو كان مُقَصِّرًا، أو حتى مَن ليس له مشروع صدقة جارية .. ومَن ليس له ولد؟

على مثل هذا فلنجتمع ولنعمل لهم هناك؛ فالإنقاذ عمل فردي كما هو جماعي.

الحديث الأربعون: الحاجة بالحاجة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ»(٢).

هل يغيب عني وعنك معنى هذه القاعدة العظيمة؛ وأن مَن جعل نفسه وقفًا لكل

---

(١) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢).

مَن له حاجة جعل الله سبحانه نفسه لكل حاجياته، فلن يحتاج لأحد ... وبقدر ما يكون همه المحتاجين بقدر ما يكون مقامه عند ربه ﷻ، وتكون الكفالة بالكفالة، والله ذو الفضل العظيم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ اللهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ**»[(١)].

فماذا عمن جعل نفسه في حاجة المحتاجين من أهله الموتى وأصحابه أو مَن يخاف عليهم في البرزخ؛ فيعمل لهم عملًا .. فما من مقامٍ أولى بالاحتياط من هذا؟

وهل يذهب العمل الصالح هدرًا لـمَن لم يكن من أهل التقصير، أم يتحوَّل إلى درجات أرفع .. أولم يقل النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْـمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[(٢)].

إي والله أهل المقابر في حاجتنا .. فاللهم افتح لنا لأجلهم فتحًا عظيمًا.

الحديث الحادي والأربعون: لقاء المسرة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ لِيَسُرَّهُ بِذَلِكَ سَرَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

ألم يذهب النبي ﷺ إلى زيارة المقبرة ليسر أهلها .. فكيف لا نذهب نحن في كل مرة معتقدين مسرتهم وفرحتهم ..؟ ألم يقل النبي ﷺ في صحيح مسلم: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»[(٤)]؛ أليس

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٤٨٠١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩٣) رقم (١٣٧٢٣): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) رواه الطبراني في الصغير (١١٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩٣) رقم (١٣٧٢١): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٤) رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

حصول هذا النور في القبور المظلمة أعظم مسرَّة ... هكذا لو كان شعاع نور .. أليس يكون مسرة في تلك الظلمة؟ فهذه نية منا مقبولة، وشهادة مقبولة، ودعوة مجابة، ونور واصل باقٍ وعظيم، وباقٍ لا ينقطع بإذن الله .. فلا ينبغي أن تنقطع عنهم الزيارة، فزيارتنا اقتداء بسيدنا ﷺ وهي وحدها قربة .. فكيف وفيها كل هذه القربات .. كيف إذا هدانا الله ﷻ في كل مرة إلى قربات جديدة؟ اللهم افتح لنا ووفِّقنا.

ألسنا ننوي نية المسرة عادة بزيارتنا للأحياء من بيوت أهلنا وأصحابنا .. فما الفارق هنا .. بل هنا الفارق أعظم؛ الفارق فوري .. الفارق عندهم عظيم وملحوظ .. كما هو الفارق بين النور والظلام.

أليس هذا وعيًا جديدًا لِأَنْ نفهم الحقيقة .. ونربط الحقيقة بالحقيقة .. وأن ننقذ إحساسنا المتبلِّد نحو أهلنا وأصحابنا الذين كنا مفعمين بالأحاسيس منهم، فما زالت أحاسيسهم أعلى ما تكون .. كما مرَّ معنا ذلك.

المسرة بالمسرة .. ما دمت حيًّا .. أدخل السرور على أهل القبور الآن وأنت في عالم التمكين .. وسيدخل الله عليك السرور يوم تكون في عالم الراحلين.

الحديث الثاني والأربعون: إدخال السرور على أهل المقابر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْـمُسْلِمِ»(١).

فهل حدد النبي ﷺ «**عَلَى الْـمُسْلِمِ**» إن كان حيًّا أو ميتًا؟ هل حدد النبي ﷺ إن كان إدخال السرور بقضاء حاجة، أو ليس بقضاء حاجة؟!

أليس مجرد زيارة المقبرة فيه إدخال سرور، أو ليس أولها السلام، والرحمة، والبركة؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١٠٧٩)، والأوسط (٧٩١١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٩٣) رقم (١٣٧١٨): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَضَعَّفَهُ غَيْرُهُ.

أليس كل مَن حمل هم أهل الآخرة سيفكِّر عند زيارتهم أن لو كان معه بشرى يحملها لهم، أو بشرى قد سبقت منه فوصلتهم ففرحوا بها وانتظروا زيارته، ولو قدروا على إيصال الشكر إليه لشكروه .. ألا والله ما أجملها من زيارة!

أولم يقل الله ﷻ في أعظم الراحلين من المؤمنين وهم الشهداء: «**أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَؤُلاءِ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٢][(١)]، وإبلاغ رسول الله ﷺ لنا كإبلاغ الله ﷻ .. سواءٌ كان صراحة، أو كان معنى مفهومًا، أو دعوة ضمنية .. وهذا البلاغ هو منهج هذا الكتاب كله، والحمد لله رب العالمين.

الحديث الثالث والأربعون: إياكم والعدوان على عتقاء الجبار:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَإِنِّي آتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَآخُذُ بِحَلْقَتِهَا، فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، فَأَدْخُلُ، فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ. فَأُقْبِلُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ، فَأُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ،

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨٨)، وأبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم (٢٤٤٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٢٠)، وفي شعب الإيمان (٤٢٤٠)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ أُمَّتِي، أُمَّتِي أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ نِصْفَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَدْخِلْهُمُ الْجَنَّةَ. فَأَذْهَبُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ، أَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ. فَإِذَا الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ. فَأَذْهَبُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمُ الْجَنَّةَ. وَفَرَغَ اللهُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَأَدْخَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ لَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا؟! فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: فَبِعِزَّتِي لَأُعْتِقَنَّهُمْ مِنَ النَّارِ. فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيَخْرُجُونَ وَقَدِ امْتَحَشُوا[1]، فَيَدْخُلُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ»[2].

إياكم أيها الأحياء من العدوان على «**عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ**».

إياكم أن تحكموا بعدم جواز الدعاء والشفاعة لـمَن لم يعمل صالحًا، حتى لو ما بقي عنده إلا الإيمان المجرد .. إلا نقطة في القلب «**حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ**»، أو «**نِصْفَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ**»، أو «**حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**»، أو أقل من ذلك.

إياكم أن تساووهم بالكفار وإن لم يعملوا .. إياكم أن تتعرَّضوا لغيرة الجبار ﷻ فتخرجوهم من الإسلام بسبب أعمال تركوها من الفرائض .. فهنا الأعمال صفر وجاءتهم شفاعة الجبار ﷻ.

---

(١) وَقَدِ امْتُحِشُوا: الْـمَحْشُ: إِحْرَاقُ الجِلْدِ.

(٢) رواه أحمد (١٢٤٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، والترمذي بنحوه (٣٦١٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحديث الرابع والأربعون: من مسجد رسول الله ﷺ طُهِّرت الكعبة المشرفة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـمَدِينَةَ، نَزَلَ فِي عُلْوِ الْـمَدِينَةِ[١]، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ[٢]، قَالَ: فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْـمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاؤُوا، فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا[٣]، فَقَالُوا: لَا وَاللهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ. قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْـمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبُورِ الْـمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْـمَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[٤] حِجَارَةً، قَالَ: قَالَ: جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ، ... فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْـمُهَاجِرَهْ[٥].

فوالله ما نقص من أجر رسول الله ﷺ مثقال ذرة من حسناته كونهم لم يأخذوا عن أرض المسجد رضي الله عنهم مالًا؛ فلقد حدَّد رسول الله ﷺ المكان، وحدد الغاية، وطالبهم أن يطلبوا الثمن الذي يريدون .. فهم إنما أرادوا رضي الله عنهم، ومشاركته في هذا كما شاركه بقية الصحابة رضي الله عنهم في البناء، فرضي الله عن الجميع وصلى الله وسلَّم على رسول الله.

---

(١) علو المدينة: كل ما في جهة نجد يسمى العالية، وقباء من عوالي المدينة. وما في جهة تهامة يسمى السافلة.

(٢) ملأ بني النجار: أي جماعتهم.

(٣) ثامنوني بحائطكم هذا: أي قرروا معي ثمن بستانكم هذا، أو ساوموني بثمنه.

(٤) عضادتيه: تثنية عِضادة - بكسر العين - وهي الخشبة التي على كتف الباب، ولكل باب عضادتان.

(٥) رواه البخاري (٣٩٣٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٤).

أليس يكفي المهاجرين والأنصار أجرًا أنهم مَن أَسَّسوا أول مسجد في الإسلام، كما أَسَّسوا مسجد رسول الله ﷺ؟ الذي منه انطلقوا فاتحين المسجد الحرام، ومطهرينه من الأصنام، وانطلقوا فاتحين المسجد الأقصى .. فكل الأجور عادت لسيد الخلق ﷺ، وله ﷺ.

ومن ذا الذي يعمل في الأمة بعمل صالح منذ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١] إلى النفخ في الصور، وليس لرسول الله ﷺ مثل أجره من غير أن ينقص من أجر أحدٍ شيئًا أبدًا؟

ثم أليس في الاشتراك في العمل الصالح تعليمٌ وتشجيعٌ لنا أن اشتركوا لله ولا تشاحُّوا، ولا تحسبوها مثل معاملاتكم التجارية .. فهنا التجارة مع الله .. فالكل رابح .. والكل أجره كامل .. بل الله يضاعف لمَن يشاء.

الحديث الخامس والأربعون: ما أعظم أجر البطانة الصالحة!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى»(١).

كم تأتي الفرص العظمى للرجل من البطانة التي لا يحصل مثلها سواه فيفوز فوزًا عظيمًا في الدنيا والآخرة إن استثمرها للآخرة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]؟

ألم تكن نصيحة رجاء بن حيوة رحمه الله لسليمان بن عبد الملك رحمه الله فُرْقانًا؟

عن رجاء بن حيوة قال: إني لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لي منه منزلة، إذ جاء رجل ذكر رجاء بن حيوة من حسن هيئته، قال: فَسَلَّمَ، فقال: يا رجاء إنك قد ابتُلِيتَ بهذا الرجل، وفي قُرْبه الوقع(٢). يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف! واعلم يا رجاء أنه مَن كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان

---

(١) رواه البخاري (٧١٩٨).

(٢) الوقع: الهلاك.

ضعيف وهو لا يستطيع رفعها لقي الله يوم يلقاه وقد ثبَّت قدميه للحساب، واعلم يا رجاء أنه مَن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته، واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله فرحًا أدخلته على مسلم. ثم فَقَدَهُ فكان يرى أنه الخضر عليه السلام(١).

الحديث السادس والأربعون: طيب النفس صدقة جارية:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْخَازِنَ الْـمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي يُنْفِذُ – وَرُبَّمَا قَالَ: يُعْطِي – مَا أُمِرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ الْـمُتَصَدِّقَيْنِ»(٢).

ألا يعجب الكثيرون من هذا قائلين: كيف أصبح أحد المتصدقين، وإنما هو خادم لا يقدر على الإنفاق؟!

فالجواب: «**فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ**».

أليس طِيب النفس منهجًا يفرق بين عامل وعامل معه في نفس العمل؟ ربما تساووا في الأمانة إلا أن [طيب النفس] هو الذي رفعه عند الله، فأصبح كأحد المتصدقين. أليس طيب النفس بابًا فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ بالعاملين مقامًا عاليًا عند الله؟ أليس هو بابًا من الصدقة للعاملين في وظائفهم ما دامت نفوسهم طيبة؟ أليس هو بابًا للمرأة؟ وهو منهج المرأة في خدمتها لأهلها ولزوجها ولضيف بيتها ... فما أجمل الحياة بطيب النفس ... ما أجمل الطعام بطيب النفس ... ما أجمل تعليم المعلم بطيب النفس ... وهذا يوسع دائرة الإحسان لمن رحلوا إلى الدار الآخرة، فالمرأة تستطيع أن تكرم الضيف وتحسن في ذلك ولها مثل طعامها صدقة، وتستطيع أن تشرك معها في هذه الصدقة أبويها رحمهما الله، ولزوجها، ولغيرهم، أليس هذا المنهج خيرًا من أن تعيش تتمنَّى فيه المال المتصدق به عن والديها وأهلها .. ولا تستطيع، بينما عندها [طيب النفس] وهو الكنز الذي لا يملكه البعض؟!

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (٥/ ١٧١).

(٢) رواه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣) واللفظ له.

الحديث السابع والأربعون: ارجع .. فأجرك من حيث أتيت:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟»، قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»(١).

أليس في هذا الحديث ضرورة بيان تحديد المسار الصحيح من الخاطئ أولًا، أليست غاية كل واحد هو [ابتغاء الأجر من الله]، دعك من الهوى ولا تحكم.

فهل بلغ هذا الضارب للمسافات .. المبتغي ما أراد من الأجر؟ الجواب من رسول الله ﷺ؛ ارجع إلى والديك الراحلَيْنِ إلى الله فليشهدوا لك، ولتكسب الآن شهادة لك يقدِّمانها عند الله قبل رحيلك لئلا يذهبا يحملان وجع فراقك.

أليس الواجب على الراغب في الصدقة أن يستشير العالم الأمين، والمختص في الصدقات المخلص المجرب؟

الحديث الثامن والأربعون: دعاة في البادية!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ(٢) **مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا»**(٣).

أليس الله سبحانه وتعالى لايضيع أجر مَن يعمل صادق النية، ويعمل ما يقدر عليه، أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، ألم يقل

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩) واللفظ له.

(٢) يترك: أي ينقصك.

(٣) رواه البخاري (١٤٥٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٦٥).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»(١)، قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم لهذا الحديث: وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»، أليس مَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى مُفَسَّرٌ مِنَ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَعْنَاهُمَا جَمِيعًا أَنَّهُ إِذَا سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ أُعْطِيَ مِنْ ثَوَابِ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ كَانَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَفِيهِ استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: يذكر أن الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة، ثم سقط وجوبها بعدها إلا لمن كان في دار الكفر ولا يستطيع إقامة دينه(٣). أليست خلاصة القول والعمل؛ أن على كل حال فليعمل كل واحد منا من موقعه هو، ولا يغادره اغترارًا، أليس البعض وفي غالب أحوال هؤلاء هو اتباعٌ لهواه؛ فيفرغ موقعه ويدخل الشيطان والعدو – عياذًا بالله منهما – فتكون ثغرة عليه لا تسد؟!

أليس الداعية إذا خرج من البادية ترك ثغرة لا تسد، والله سبحانه يقول عنهم: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧]، إذ مَن مِن أهل الحاضرة سيترك الحاضرة ويأتي إلى البادية داعية؟!

الحديث التاسع والأربعون: أي ترابط وإحساس بين مَنْ في القبر ومَن خارجه:

عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٨-٣٩) بتصرف.

مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟ فَإِذَا أَنَا مُتُّ، فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»[(١)].

أي وضوح لكل خطوة قادمة لطريق الرحيل، ودار القرار القادمة حتى نزول أول منزل من منازل الآخرة مثل هذا الوضوح؟

«**أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا**»: فسبحان الله؛ كم أنا محتاج إليكم فلا تستعجلوا العودة .. فإنها بداية تلك الدار، كما أنها بداية علاقتي الجديدة بكم، فلا تقطعوها، أنتم تعملون وأنا لا أعمل .. صحائفكم مفتحة .. وصحيفتي قد خُتمت .. أنتم تنوون بأعمالكم، وأنا لا نية ولا عمل، ابقوا بجواري الآن قليلًا هنا وأنا في هذا الحال، فإنه كبقائكم حولي في هول من أهوال الدنيا .. بقاؤكم يشد أزري، ويحمي ظهري بخلاف ما لو كنت وحيدًا؛ فرضي الله عن عمرو ابن العاص الذي أضاء نورًا بكلماته وأجمع عليها كل مَن حضره من الصحابة ﷺ ومَن سمع بها .. فما كانت هذه الجلسة إلا بداية الطريق .. ثم اذهبوا وابدؤوا بالصدقات

(١) رواه مسلم (١٢١).

الجاريات، والدعوات المجابات، كما بدأتم الآن بتقسيم لحم الجزور، فما أردت إقامتكم إلا تثبيتًا لي في مقام لم يخبرنا به مَن جربه من الناس أبدًا.

لأنه طلب وتسول فما أريد فعله فعلته بمالي، وقسمة لحم الجزور بعد ذلك لكم، والمال بعد ذلك لكم كقسمة تركتكم .. فهل تنسون جزوركم، أوليس مَن يرى محبتكم الآن يظن أنكم لا تحتاجون وصية .. أليس هذا حالك وحال كل مَن احتضر؟

الحديث الخمسون: كفالة صوَّام قوَّام:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْـمُسْلِمَ الْـمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللهِ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ»(١).

ألا يعني هذا أن حُسْن الخلق في الولد إنما هو إهداء مشروع حياة كاملة .. أليس حسن الخلق أمرًا ملازمًا صاحبه ليله ونهاره، في حديثه، وفي سكوته، في علمه، وفي عمله، في يقظته، وفي منامه، وفي كل حاله .. فهل أغلى من هذا الإرث إرث .. هذا هو الولد الصالح وإرثه.

كفالة وإنشاء صوَّام قوَّام ينشئ جيلًا من طرازه.

فالخُلُق نهر جارٍ لا ينقطع .. فهنيئًا لمَن كفل لوالديه ولغيرهما نهرًا من هذا النوع من الأنهار .. إنه نهر القدوة جارية بين العباد .. نهر حياة للأحياء.

نعم: إنك تودُّ كفالة أيتام يصبحوا بهذا الخُلُق .. ولكن ما يدريك كيف ينشأ؟

أليس هذا هو سؤالك الرئيس؟!

والجواب: بلى؛ ولكن لك أجر كفالة اليتيم أولًا، ثم إن العبرة بالحضن والمحضن؟

---

(١) رواه أحمد (٦٦٤٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢) رقم (١٢٦٧٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فإن كانت أمًّا فانظر في خُلُقِها، ثم انظر إلى تربية مَن سبق مِن أبنائها، وإن كان المحضن شيخًا، أو معلمًا، أو مدرسة، أو محضرة؛ فانظر في تعليمه ومَن علَّم وربَّى من قبل .. [وَالأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى المِسِيرِ](١)، ومَن أراد الخير سهَّل الله له سبله ورعى غرسه حتى بعد موته، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

الحديث الحادي والخمسون: ورِّث ذكْرًا .. واهد منه أجرًا:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ». قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ(٢).

أليس هذا هو المنهج الذي عَلَّمنا إياه ربنا ﷻ ورسوله ﷺ؟ تعلَّم علمًا نافعًا وانتفع به .. وانقله لمن ينتفع به .. ومنه إلى غيره، وهكذا وهكذا .. وهذا الحديث أمامنا منذ أن علمه رسول الله ﷺ وهو يتنقل ..!

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»(٣) .. أليس هو ما علمنا الله إياه بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] .. أليس إخواننا وأهلنا والمسلمون الذين رحلوا داخلين في الحاجة إلى النفع .. فماذا على مَن يستطيع أن ينفعهم ولا يفعل .. ألا يكون قد بخل؟

وماذا على مَن عَلَّم هذا الدعاء وأمثاله من الاستعاذات الكريمة، والرقى العظيمة،

---

(١) تفسير الرازي (٢/ ٣٣٤).
(٢) رواه مسلم (٢٠٢٢)، والترمذي (٢٠٨٠) واللفظ له.
(٣) رواه مسلم (٢١٩٩).

ودعوات رسول الله ﷺ في حلقات، أو في كُتيبات، أو في جلسات، ونوى بذلك أجرها له، ولوالديه، ولآخرين من الراحلين؟

أم أن الله يحاسب مَن قطعهم فحسب، ولا يجازيهم ويجازي مَن وصلهم بأحسن الجزاء؟

أليس خيرًا لك أن تبقى طويل العمر بالعلم والنور والأجر والنفع إلى الأبد - بعزة الله وقدرته -.

الحديث الثاني والخمسون: البقاء ما بقي العلم والنفع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»(١).

رواه ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فكم هم مَن رووها عن ابن عباس وبعده حتى هذا اليوم، وكم هم الذين عوَّذوا بها أبناءهم .. هذا مثال حي للعلم الذي يُنتفع به، فهل نَقَصَ من أجر أحد من هؤلاء كثرة المشتركين فيه؟!

ثم ألا ترى أن رسول الله ﷺ ذكر في أول هذا الذِّكْر أنه راوٍ لهذه الكلمات الكريمات مؤيِّدًا لها .. تعليمًا لنا أن ارووا ولا تفتروا .. ارووا ولا تدَّعوا، ارووا فلعل مَن رويتم عنه يُرفع مقامه أكثر، كما رويت أنا عن أبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لينتفع هو .. وانتفاعه لا ينقص من أجري شيئًا.

وهل للعلم الباقي صدقة جارية .. صورة معينة أو محددة .. ألا يمكن أن علمًا يحفظه حافظ ويفهمه جيدًا حتى يحسن حمله ويخلص ويحتسب .. ويمكن أن يكون رسالة إعلامية، أو برنامجًا إعلاميًّا، ويمكن أن يكون كتابًا أو مقالًا، ويمكن أن يكون مركزًا علميًّا .. فاللهم أعن وبارك.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧١).

الحديث الثالث والخمسون: حِفْظ السِّر صدقة جارية:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحَدًا، قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ(١).

هل تستغرب كون حفظ السر صدقة جارية إلى يوم القيامة، أوليس كشف السر ربما كان سيئة جارية إلى يوم القيامة - عياذًا بالله من هذا -؟

فكم من الأعمال والأخلاق يكون صدقة جارية ونحن لا ندري .. وكم من الأعمال والأخلاق ما يكون سيئة جارية، بينما قطعها وإغلاقها يحوِّلها إلى حسنة جارية ونحن لا ندري!

أليس فتح عيادات نفسية للسحرة والدجَّالين سيئة جارية في البلد .. إذًا فماذا لحاكم، أو مالٍ، أو مختار، أو عمدة أمر بإغلاقها يريد وجه الله، ألا تكون صدقة جارية له إلى يوم القيامة؟ لأنه لولاه لبقيت هذه المراكز سيئات جارية إلى يوم القيامة .. بل الله يجزي السيئة بالسيئة، أما الحسنة فتُضاعَف إلى عشر، والله يضاعف لمَن يشاء، وأعظم الحسنات يكون أولًا بإغلاقه أبواب السيئات.

الحديث الرابع والخمسون: مَعَالِي الْأَخْلَاقِ معالي في الصدقات الجاريات:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨٢).

(٢) رواه الحاكم (١٥١) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٥٩٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠١٢)، والسنن الكبرى (٢٠٧٨٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨٨) رقم (١٣٦٨٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ». وَرِجَالُ الْكَبِيرِ ثِقَاتٌ.

سِرُّ محبة العرب والمسلمين لمعالي الأخلاق إنما هو من الله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

فليكن الحرص على هذا إرثًا ليكون جاريًا في الأجيال أبدًا بإذن الله.

أليس هذا خلقًا ينشَّأ عليه النشء؛ فيكون ملازمًا لصاحبه .. ألا ترى أن الناس أيًّا كانوا ينجذبون إلى الخُلُق الحَسَن ومعالي الأمور، وإن لم يكونوا من أصحابها .. ألا ترى أن البراعم تحاكي صاحب الخلق الحسن وطالب المعالي .. وخصوصًا إن كان أبًا، أو حاكمًا، أو عالمًا؟ فصاحب معالي الأخلاق يجذب بطبعه إلى معالي الأخلاق، فهو يَغُذُّ السير ويَغُذُّه دائمًا وأبدًا، فضلًا عن جاذبيته للناس أجمعين.

إذًا أليس هذا الناشئ صدقة جارية باقية ما بقي حيًّا .. بل باقيًا ما بقيت الدنيا.

وثَمَّ سؤال آخر: هل اشترط النبي ﷺ النية أو الإخلاص أو الاتباع في الأخلاق ليحبها أو يحب صاحبها .. لا، بل يكفي أن الله ﷻ يحب معاليَ الأخلاق لنحبها ونحب أصحابها.

هل عرفت بعض الفَرْق ما بين الخُلُق وبين العبادات المحضة .. إن الخُلُق حياة كاملة .. قضية مشتركة عالمية.

أليس الخلق أحسن باب لدخول جميع أصحاب الأخلاق العالية إلى دين الله .. أولا يكفي أن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها، والله ﷻ يقول عن رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

الحديث الخامس والخمسون: البحث عن حقوق علينا لأهل الآخرة:

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»(١).

(١) رواه أبو داود (٥١٤٢) واللفظ له، وبن ماجه (٣٦٦٤)، وأحمد (١٦٠٥٩)، وابن حبان في=

فهل غريب في هذا الكتاب أن نحمل جميعًا همَّ أهل الدار الآخرة .. وأولهم الوالدان، ثم الأولاد، والإخوة، والأرحام، وأهل الإسلام في بطون الأرض، أو أي مكان من البرزخ؟

ألا ترى كيف يبحث الصحابة رضي الله عنهم عن حقوق أهل الدار الآخرة والوالدَيْنِ على وجه الخصوص، فهم أول أهل الخصوص في الدنيا ...

فرضي الله عن الصحابة وأرضاهم .. أوليست صلة الأرحام .. والصدقات هم مَن أَسَّسوها ... أليس الواجب أن نحافظ على بنيان العلاقات الذي أشادوا صرحه؟!

أليس الاستغفار للوالدين لما جاء هنا ذكره بعد الدعاء لهما؟ ألا يعني أن الاستغفار هنا أخص من الدعاء العام، فهو بالإضافة لقول: أستغفر الله، فإن منه عمل ما فيه تكفير السيئات ومغفرتها؛ مثل الصلوات الخمس والحجة المبرورة، إنه مثل حديث: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»(١) .. فعلى القبر استغفار بالدعاء، والآن كذلك ومزيد أعمال ومشاريع هي في الحقيقة المكفرات.

أليست كل فقرة من فقرات جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثِّل مشروعًا وحدها، بل مشاريع ... فهل نستطيع توثيق البرِّ أكثر وزيادة البر أكثر وأكثر من خلال تدبر الحديث جيدًا واستخراج المشروع تلو المشروع .. فاللهم زد وبارك.

الحديث السادس والخمسون: تتبع مطالبات أهل الدنيا لأهل الآخرة .. صدقة جارية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا - فَأَوْمَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، وَقَاهُ اللهُ مِنْ

=صحيحه (٧٦٣)، والحاكم (٧٢٦٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

(١) رواه أبو داود (٣٢٢١) واللفظ له، والبزار (٤٤٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٥)، والحاكم (١٣٧٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه النووي في الأذكار (٤٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني.

فَيْحِ جَهَنَّمَ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ[١] **بِرَبْوَةٍ - ثَلَاثًا - أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ**[٢]**، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ، وَمَا مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلهِ إِلَّا مَلَأَ اللهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا»**[٣].

ألا يعني أن رسول الله ﷺ يختار لنا المسامحة والتنازل عن بعض مالنا، أو عنه كله .. وأنه يؤكد هذا المعنى بكل طريق .. وأن هذا الأمر يشغله ﷺ .. وإلا لِمَ كانت هذه الإشارة بيده الشريفة قبل العبارة بالتنازل .. ثم لم كان بعدها هذا الإفصاح العظيم البليغ .. لم كان هذا التمثيل البليغ؟!

فماذا أراد رسول الله ﷺ منا حين قال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، وَقَاهُ اللهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**» .. هل أراد المعنى الظاهر منها وهو أن نتنازل ونتسامح فِعْليًّا عمَّا لنا من ديون أو بعضها فحسب .. أم أراد كذلك أن مَن كان له حبيبًا أو صاحبًا لم يكن من أهل التنازل وقد مات وأنك أردت أن يقيه الله من فيح جهنم، فإن عليك أن تتنازل عن بعض ديونك، وتهب ثوابها لصاحبك هذا أو ذاك ليقيه الله من فيح جهنم التي يفتح لها فتنفث على أهل القبور في قبورهم عياذًا بالله تعالى؟!

ألا يعني هذا أنك إن فعلتها كان لك أجرها الأساس ولـمَن أهديت له مثل ذلك، لا ينقص من أجر أحدٍ شيء؟

ألست إن فعلت هذا لوالديك وأشركتهما لتقيهما فيح جهنم كما وقياك في هذه الحياة فيح الدنيا ومصائبها.

---

(١) الحَزْن: ما غَلُظ من الأرض.

(٢) السهْوَةُ: الأرض اللينة التربة، شَّبه المعصية في سهولتها على مرتكبها بالأرض السهلة التي لا حُزونة فيها.

(٣) رواه أحمد (٣٠١٥)، وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٤٠٦): انفرد به أحمد وإسناده حسن ليس فيه مجروح ومتنه حسن.

الحديث السابع والخمسون: حَسَّنْتُ خُلُقي لأجل والدي رحمهما الله:

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»(١).

افعلها ليكرم الله أباك على رؤوس الخلائق يوم القيامة .. وإنما الأعمال بالنيات .. أليس هذا هو دأب الولد الصالح، وهذا بعض صنيعه الدائم مع والديه ..؟ أم أن الولد يهمل معتمدًا على ظنه بأن عمله يذهب مباشرة لوالديه!! لا، فليس الولد الذي لا يدعو لهما خاصة مثل الذي يدعو لهما خاصة .. لا والله: بل الوالدان أولى من أن تخصهما، ثم الأقرب فالأقرب، والأكثر حاجة، ثم الذي بعده، تخصهما كما كنت تخصهما في الدنيا وأكثر.

الحديث الثامن والخمسون: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .. صدقة جارية:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ؟»(٢).

هل من عدو أشد عداوة للإنسان الكريم من الشيطان الرجيم؟ أليس إغلاق جميع منافذ دخوله عليك وعلى غيرك من الناس أعظم فتح لأبواب الصدقات الجارية .. أليس هذا الحديث العظيم بيانًا لكل ذلك؟ أليس تعليم الناس الاستعاذة من الصدقات الجارية، لأنها تسد أخطر باب وشره وأخفاه، نعوذ بالله منه.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٧) واللفظ له، والترمذي (٢٠٢١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وابن ماجه (٤١٨٦).

(٢) رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له.

أليس دليل خطورة ترك الاستعاذة هو هذا الحديث نفسه .. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أليس الأصل أن يكون المسلم فطنًا فقيهًا متدبرًا .. لا يستغفله الشيطان؛ فإن مسه لحظة استيقظ المسلم وعاد سريعًا أحسن مما كان؛ كما قال ربنا سبحانه له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ ما أعظم فقههم!

هل رأيت أحدًا من المعالجين النفسيين يأمر أحدًا من الشاكين أو المغضبين بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .. أما أنا فأرجو ذلك ولا أزال، ولكني حتى هذه اللحظة ما رأيت .. فكم يصرف الشيطان الرجيم - نعوذ بالله منه - الناس عن الاستعاذة بالله منه.

وأخيرًا ألا يستطيع أحدنا أن يُنبِّه الناس إلى الاستعاذة .. وعلى الأخص في موقف شدة الغضب، وشدة الخصام والنزاع .. وشدة الفرح والبطر .. يفعل ذلك وينشئ نشئًا على ذلك .. ويهدي ثواب ذلك للراحلين بعد نفسه وأهله.

الحديث التاسع والخمسون: امدد أحبتك من بحور الإحسان إلى الأيتام:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١).

أليس مسح رأس اليتيم إشارة إلى رعاية اليتيم، بل هي أقل الرعاية .. فكيف بمَن تكفَّل بالرعاية كلها؟

فماذا عمَّن نوى إهداء حسنات مسح رأس هذا اليتيم وذاك لواحد من معارفه من أهل البرزخ .. ألا تصله حسناتها وهو في داره تلك .. فأي إهداء سريع لطيف .. وكبير يصله في لحظته مثل هذا الإهداء؟

(١) رواه أحمد (٢٢١٥٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٠) رقم (١٣٥١٤): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَلْهَانِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

الرعاية لهم رعاية لمن كُفِلَتْ لهم في الآخرة، فالرعاية بالرعاية، والمسحة بالمسحة، والحنان بالحنان والله أكرم مَن أعطى .. فلتكن رعاية يتيم، أو فلتكن رعاية دار أيتام، ولتكن مهداة للوالدين .. أو لواحدٍ آخر أو اثنين، ولتكن مهداة لمقبرة كاملة بمَن فيها .. كدعاء النبي ﷺ لأهل البقيع بكاملهم.

الحديث الستون: أداء حق الضعيفين صدقة جارية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»**[١].

الضعيفين على هذه الأرض .. لكن أي ضعفٍ أضعف من ذاك الذي اختنق بروحه .. وأسلم نفسه وبدنه، وحمل في نعشه وكفنه وَحْده .. وأُسلمت للأرض جثته.

وأبلغ صورة تمر على هذه الأرض لهذه الحالة قد صوَّرها رسول الله ﷺ، فيا لعظمة حقيقتها التي رآها وأبصرها ﷺ ... بينما نحن نراها ولا نبصرها؛ فقال: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**»[٢] ..

فهل من شيء أضعف من الإنسان في هذه اللحظات والحالات، فكيف إذا رحل – لا قدر الله – وعليه ما عليه من الكبائر، أو جبال الصغائر التي لم تُغفر بمكفرات لها ما كان يفعلها مع علمه بها ولتهاونه بها .. فهنا يأتي هذا العلاج لحال هذا الضعيف أو الضعيفين إن كانا والدين، وقد قال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ**»؛ إذًا أليس علاج حال الضعيف تحت الأرض بكفالة الضعيفين فوق الأرض .. وشد أزر الضعيفين فوق الأرض قوة للضعيف في الآخرة، وزوال ضعفه إلى الأبد .. ولأنه حق واجب كان أعظم أجرًا.

(١) رواه أحمد (٩٦٦٦)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي (٩١٠٤)، وقال النووي في رياض الصالحين (٢٧٠): حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

الحديث الحادي والستون: الإكرام صدقة جارية .. وبابٌ عظيمٌ لدخول الإسلام:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَأَدْلَجْنَا لَيْلَتَنَا، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ عَرَّسْنَا، فَغَلَبَتْنَا أَعْيُنُنَا حَتَّى بَزَغَتِ الشَّمْسُ. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَّا أَبُو بَكْرٍ، وَكُنَّا لَا نُوقِظُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ إِذَا نَامَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ عُمَرُ، فَقَامَ عِنْدَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يُكَبِّرُ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَأَى الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ قَالَ: ارْتَحِلُوا. فَسَارَ بِنَا حَتَّى إِذَا ابْيَضَّتِ الشَّمْسُ، نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ. فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا فُلَانُ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ. فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ فَصَلَّى، ثُمَّ عَجَّلَنِي فِي رَكْبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ نَطْلُبُ الْـمَاءَ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ(١) رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ(٢)، فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْـمَاءُ؟ قَالَتْ: أَيْهَاهْ أَيْهَاهْ(٣)، لَا مَاءَ لَكُمْ! قُلْنَا: فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْـمَاءِ؟ قَالَتْ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا(٤) حَتَّى انْطَلَقْنَا بِهَا، فَاسْتَقْبَلْنَا بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَتْنَا وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا مُوتِمَةٌ(٥) لَهَا صِبْيَانٌ أَيْتَامٌ، فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا(٦) فَأُنِيخَتْ، فَمَجَّ(٧) فِي الْعَزْلَاوَيْنِ(٨) الْعُلْيَاوَيْنِ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَاوِيَتِهَا

---

(١) سادلة: أي مرسلة مدلية.

(٢) مزادتين: المزادة: أكبر من القربة، والمزادتان: حمل بعير، وسميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر من غيرها.

(٣) أيهاه أيهاه: بمعنى هيهات. هيهات، ومعناها البعد عن المطلوب واليأس منه.

(٤) لم نملكها من أمرها شيئا: أي لم نخلها وشأنها حتى تملك أمرها.

(٥) موتمة: أي ذات أيتام.

(٦) براويتها: الراوية هي الجمل الذي يحمل الماء، وقد يسمّى مزادة.

(٧) المج: زرق الماء بالفم.

(٨) العزلاء: هو المثعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء، ويطلق أيضًا على فمها الأعلى.

فَشَرِبْنَا وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عِطَاشٌ حَتَّى رَوِينَا، وَمَلَأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، وَغَسَّلْنَا صَاحِبَنَا(١)، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا وَهِيَ تَكَادُ تَنْضَرِجُ(٢) مِنَ الْمَاءِ - يَعْنِي الْمَزَادَتَيْنِ -، ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ، فَجَمَعْنَا لَهَا مِنْ كِسَرٍ(٣) وَتَمْرٍ وَصَرَّ لَهَا صُرَّةً(٤)، فَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي، فَأَطْعِمِي هَذَا عِيَالَكِ، وَاعْلَمِي أَنَّا لَمْ نَرْزَأْ(٥) مِنْ مَائِكِ. فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ أَسْحَرَ الْبَشَرِ، أَوْ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ كَمَا زَعَمَ؛ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ذَيْتَ وَذَيْتَ(٦)، فَهَدَى اللهُ ذَاكَ الصِّرْمَ(٧) بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا»(٨).

ألم يكن هذا الصِّرْمُ ذاهبًا كله إلى النار، فأنقذهم الله ﷻ بإكرام رسوله ﷺ .. فهل من شيء يشترى بالمال من كفالة معذبين في النار الآن .. ألا ما أعلاها من صفقات لو تفطَّنَّا لها.

الحديث الثاني والستون: أهدِ لهم ﷺ صحبة رسول الله ﷺ:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(٩).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: حَقٌّ عَلَى مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ - يعني قول الرّسول ﷺ -: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١٠) - أَنْ يَعْمَلَ بِهِ

(١) وغسلنا صاحبنا: يعني الجنب، أعطيناه ما يغتسل به.
(٢) تنضرج من الماء: أي تنشق.
(٣) كسر: جمع كسرة، وهي القطعة من الشيء المكسور.
(٤) وصرّ لها صرة: أي شد ما جمعه لها في لفافة.
(٥) لم نرزأ: لم ننقص من مائك شيئا.
(٦) ذيت وذيت: بمعنى كيت وكيت وكذا وكذا.
(٧) الصرم: أبيات مجتمعة.
(٨) رواه البخاري (٣٥٧١)، ومسلم (٦٨٢) واللفظ له.
(٩) رواه البخاري (٦٠٠٥).
(١٠) رواه البخاري (٦٠٠٥).

لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ[١].

هل من أحدٍ منا يعلم أن والديه قد فاتهما رفقة النبي ﷺ إلا وتجدد لهما الأمل بهذا الحديث العظيم؛ ألم يصبح الآن بإمكانه أن يقدمهما إلى ذاك المقام الكريم مع سيد الأولين والآخرين؟

بإهداء هذا المقام العظيم لهما .. أو لغيرهما من الأهل والصحب والجيران والمسلمين؟

الحديث الثالث والستون: عدل تمرة أو شق تمرة فماذا تعني؟!

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[٣].

هل بإمكانك بعد هذا أن ترسل الدروع الواقيات من النار إلى أحبة في المقابر، بل إلى مقابر المسلمين .. أرسل الجبال الراسيات إلى موازين الأصحاب من خلال تمرة تهديها لمَن رحلوا .. أرسل الحجب العظيمات بين مَن تحب وبين النار، كل واحد كالجبل العظيم.

أوقف نخلة أو نخيلًا أو بستانًا لأهل الآخرة عن كل مسلم محتاج هناك إلى حصن من النار.

هل من إهداء أعظم من هذا .. ومن وقف يبقى مع هذه الشجرة المعمرة التي لا

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٤٣٦).

(٢) رواه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٠) واللفظ له، ومسلم (١٠١٥).

تنتهي بما تعطي من فسائل مثمرة وذريات متواصلة مباركة .. وهل يليق لطالب هذا المقام إلا أن يختار أحسنها لتنتج أحسن الرطب وأطيب التمر؟

الحديث الرابع والستون: الاشتراك والأجر كامل:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عز وجل يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ. وَارْمُوا، وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا. لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ إِلَّا ثَلَاثٌ: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ[(١)]، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا، أَوْ قَالَ: كَفَرَهَا»[(٢)].

«**وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا**»: أليس الرمي أسرع وأنفذ، أليس في الرمي سابقًا ميزة رحمة خفية منه ﷺ، وهو أنه أحفظ للمسلم من الالتحام والقتل والجروح .. ألا يعني هذا دعوة من رسول الله ﷺ إلى تطوير الصناعات العسكرية بالشكل الجماعي والتخصصي، كما ترى تقدير التخصص في هذا الحديث [صانعه، والرامي به، ومنبله]، فيا رب: حماية بحماية .. ودفع بدفع .. وكل بحسبه؟

سهم واحد بثلاثة في الجنة .. ولو اشترك ثلاثون أو ثلاث مائة لدخلوا الجنة .. أليست الصناعات كانت فردية، أما اليوم فأصبحت جماعية؟! وأصبحت مصانع، وفي المصنع الواحد يعمل مئات وآلاف.

ألا يطير السهم الواحد بثلاثة نفرٍ حتى يحط في الجنة .. أولا يعني هذا الدعوة إلى العمل المشترك المنظم في سبيل الله؟ فإذا كان هذا وقفًا لسهم واحد .. فماذا على مَن أقام وقفًا لتصنيع مثل هذا في سبيل الله .. وجعله لمَن رحلوا .. ألا يبلغهم؟

---

(١) رغبة عنه: أي كراهية له.

(٢) رواه أبو داود (٢٥١٣) واللفظ له، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٤٤٠٤)، وقال محقق جامع الأصول (٥/ ٤٣-٤٤): حديث حسن.

الحديث الخامس والستون: نشر هدي النبي ﷺ صدقة جارية:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»(١).

كم نال ابن عمر رضي الله عنهما من أجر .. كم واحدًا حمل هذه الكلمات بعد ابن عمر وبلّغها .. هل نقص أجر أحد من أجر الآخرين؟

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»(٢).

فهذان فَتيَان من فِتْيَان الصحابة عبد الله بن عمر وعمر بن أبي سلمة رضي الله عنهم أجمعين، وسؤال: كم جرت لهما من هذه السُّنَّة أنهار من الأجور؟ أليس كل واحد منهما يرويه للعالمين من مصدر النبع الأول؟ فكم من أب علَّم أولاده، ومعلم علَّم طلابه وما يزال النبع يفور كما كان أول مرة وأكثر .. ثم كم من راوٍ روى عنهما؛ فهل نقص من أجرهما رضي الله عنهما شيءٌ؟

هكذا كل مَن رواه، وعلَّمه، وأدَّب عليه غيره، وأوصى به أن يفعل مثل ما فعل هو .. وهو ناوٍ بهذا أن يتقبله الله منه، ويجعل مثل أجره لوالديه أو لمَن يخاف عليهما أكثر في الآخرة ألا يصل إليهما والنبي ﷺ قال - عندما سأله سعد رضي الله عنه -: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ، وَلَمْ تُوصِ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ»**(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) رواه البخاري (٥٣٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨٠٦١)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٣٨) رقم (٤٧٦٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

الحديث السادس والستون: عرض: مَن يأخذ هذه الخصال الخمس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا»، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»(١).

هل يمكن أن تتصور كيف كان نبض قلب أبي هريرة ﵁ حين أخذ النبي ﷺ بيد أبي هريرة ﵁ وأخذ يعدُّ الخصال الخمس واحدة واحدة ... هل يمكن أن تعيش أنت هذه الحالة .. ولكأن يدي رسول الله ﷺ قد أخذتْ بيدك .. وأخذ يعدّها على أصابع يدك؛ يضم أصبعًا حين يعدُّ خصلة، وهكذا .. وأنت تودُّ لو أنك نظرت في وجه السراج المنير ﷺ، لكنك لا تقوى لعظيم الجلال من المهابة ... والسؤال هو: هل تنسى بعد ذلك كل خصلة من الخصال الخمس .. هل تستطيع أن تستخرج من كل خصلة مشاريع عملية على أرض الواقع ببركة يد رسول الله ﷺ؟

بهذه الخمس تصنع صنعًا عظيمًا .. بهذه الخمس تصنع لوالديك وأحبائك الذين رحلوا وقفًا عظيمًا .. بهذه الخمس تصنع رجالًا، وما أغلى الرجال!

الحديث السابع والستون: مؤسسة إصلاح أُسري وقفية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥) واللفظ له، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥٤٣)، وقال محقق جامع الأصول (١١/ ٦٨٧): حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨) واللفظ له.

لا تزال النار متقدة في كثير من الأسر، ولا تزال حمَّالة الحطب تضرمها وتزيدها كل يوم جديد، وجهد الإصلاح في الجوار، ولكنه في سبات عميق .. فمَن يُطفئ هذه النار فيطفئ الله النار عن أحبته، ومَن يعطي النار الوقاية قبل أن يقعوا في هذا التنور فيقي الله أحبته الراحلين.

ألا من مشروع وقفي متخصص؟!

ألا من دورات للإصلاح عند الخلاف تُقام لأئمة المساجد، وللمعلمين والمعلمات، وللأبناء في البيوت، ليشيع الإصلاح والمصلحون الحاذقون في كل مكان؟

ألا من دورات تعليمية للأحكام الشرعية، وأخرى تربوية وقائية لمواجهة أسباب فشل الحياة الأسرية .. لتقي جمرًا ونارًا يقذف شررًا .. يأكل أسرًا ونحن ننظر .. ليطفئ الله في مقابلها عن أحباب لنا ومسلمين في القبور النار، فاللهم تقبل.

الحديث الثامن والستون: [فك اللعنة] بما يقابلها:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى بَابِ بَيْتٍ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: وَأَخَذَ بِعِضَادَتَي الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا قُرَشِيٌّ؟» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَيْرُ فُلَانٍ ابْنِ أُخْتِنَا. فَقَالَ: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ»(١).

مَن يستطيع أن يبلغ هذه الكلمات أهلها؟

مَن يستطيع أن يحوِّلها إلى مشروع مراجعة الرجل الأواب؟

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٤١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٩٣) رقم (٨٩٨٣): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ.

أليس بوسعنا أن نفك اللعنة – بإذن الله – بعمل مقابل للعمل الذي كان سبب اللعنة ..

ألا نفك اللعنة بأن نذهب لرجل من طراز الملعونين في ظاهر عمله حتى يتوب، فيكون إنقاذ أصحابنا بتوبة هذا، والحسنة بعشرة أمثالها؟

ألا يمكن ذلك بالشفاعة للمسؤول ليستبدل مثل ذاك المفلس برجل هو من أهل الحديث الذين «**إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا**».

أو رجل آخر استحق اللعنة كالذي يتغوَّط تحت الشجر، أو في ظل الناس، أو مسؤول جعل خزانات المجاري بين المنطقة السكنية حتى يغيِّر مكانها، أو يعجل في ذلك.

الحديث التاسع والستون: «الْمُفْلِسُ فِينَا»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(١)].

أليس هذا الرجل قبل أن تُطرح عليه سيئاتهم كان ناجيًا لأن كفته كانت راجحة.

فما أقبح العدوان على الغير .. وما أشد مطالب الناس هناك .. وما أضرَّ الربا الجاري عياذًا بالله، ولكن هل إذا طُرح صاحبنا في النار نتركه فيها؟! لا لن يتركه أهل الإنقاذ .. أهل الشفاعة .. فإن العمل المنقذ له هو بعمل يصلح العمل الذي به طُرح في النار .. وانتهى الأمر، فاللهم مَكِّنَّا من ذلك دائمًا وأبدًا.

لا تقل كيف ذلك؟

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

ألا يمكن ذلك بتقديم نصح لرجل مفلس مثله على رأس عمله .. حتى يتوب؟

فيكون أجر ذلك لصاحبنا .. ونحن السبب وهذا ثمن الشفاعة.

الحديث السبعون: المسرة بالمسرة إنه جزاء الله وعطاؤه:

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﵁ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ، فَقَالَ: أَصْبِرْنِي، فَقَالَ: «اصْطَبِرْ» قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، «فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ[(١)]»، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ[(٢)].

تحصَّن بأعظم حصن بأكرم قميص ليخبرنا أن التحصُّن في البرزخ هو أعظم مشروع .. فليجد كل واحد حصنًا له، وليجد كل حي حصنًا لأحبته .. أليس الحاذق العزوم هو مَن إذا ظهرت له فرصة الدار الآخرة اقتطفها ..؟ ألم يصطنع هذا الصحابي ﵁ فرصته فاغتنمها؟!

فهل رأيت رجلًا مزاحًا غنم بمزاحه كغنيمة هذا الرجل؟

ألا كيف لا يزال يواصل المطالب المحرجة لأي مؤمن مع رسول الله ﷺ حتى ظهر له مطلبه .. ورأى نور جلد رسول الله ﷺ الشريف، فرأى نجاته من عذاب الله .. تراءت له الجنة أقرب ما تكون .. فهل كانت مجرد مسِّ الجلد .. هل كانت قبلة واحدة؟ لا، بل إنها الفرصة التي لا تحصل كل مرة .. «**فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ**» .. والعظمة في هذا الفعل أنه قبل بدء المعركة، وجاء في رواية معتذرًا عما فعله: «**قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يمسَّ جِلْدِي جلدَك، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بخير**»[(٣)]، فرضي الله عن سَوَادِ بْنِ غَزِيَّة .. والقصة كاملة في

---

(١) كَشْحُ الإِنْسَانِ: الجُزْءُ الجَانِبِيُّ مِنْ جِسْمِهِ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَالخَاصِرَةِ

(٢) رواه أبو داود (٥٢٢٤)، وصححه الألباني.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٥٩٠)، والبداية والنهاية (٥/ ٩١)، وقال محقق مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك =

السيرة النبوية لابن هشام، ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية.

الحديث الحادي والسبعون: والشفاعة في الآخرة أعظم:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَسَرَتِ الرُّبَيِّعُ، وَهِيَ عَمَّةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَطَلَبَ الْقَوْمُ الْقِصَاصَ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: لَا وَاللهِ لَا تُكْسَرُ سِنُّهَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ، فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَقَبِلُوا الْأَرْشَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»(١).

هل يجوز الاستسلام لمصير أموات لا حول لهم ولا قوة إلا بالله بينما نحن أحياء والحياة قائمة؟! هل يجوز الاستسلام بينما الشفاعة عند الله محبوبة؟! هل يجوز الاستسلام، والله هو مَن يبرُّ الشفعاء؟!

أليست هذه صورة من الحياة الدنيا لما يحبه الله منا تنكشف لنا من عالم الغيب إلى الشهادة .. أليست هذه صورة يحب ربنا أن نفعلها ونحن في الحياة لإخواننا في دار البرزخ بدافع أنهم إخواننا في أشد حاجة من كل أحد.

الحديث الثاني والسبعون: لو تسامحوا بالدنيا ما حُبسوا عند قنطرة المظالم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(٢).

أيتها العقول احضري ... أيها العقلاء والحكماء اصطلحوا وأصلحوا: كم يقف

=الحاكم سَعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميَّد (٦/ ٣٠٦١): وهو بمجموع طرقه صالح للاستشهاد، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٠٨) رقم (٢٨٣٥).

(١) رواه البخاري (٤٦١١) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٥).

المتخاصمون من الوقت عند هذه القنطرة .. كم يحسبون من المدة ما بين الجنة والنار .. فماذا لو تصالحنا هنا في هذه الدنيا .. وماذا لو استسمحنا لموتانا من خصومهم هنا .. ماذا لو أنشأنا لهذا مؤسسة؟!

أولم يستسمح النبي ﷺ لنفسه من الناس .. أولم يطلب ممَّن له عليه أي شيء أن يقتص منه ..

أولم يعرض على المسامحين بعضهم بعضًا عرضًا عظيمًا باقيًا إلى يوم القيامة حيث قال: «**اسْمَحْ، يُسْمَحْ لَكَ**»[1].

أليس في هذا نداء عظيم لأهل الدنيا كافة أن خلِّص نفسك وخلِّص مَن تحب، بل خلِّص مَن تستطيع تخليصه قبل أن ينصب ذلك الصراط المخصوص ... فلا تدري كم يكون الحبس عنده، لكنك تدري أنه في ﴿يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] .. فماذا تنتظر بعد هذا الانتظار؟

الحديث الثالث والسبعون: تخلص من مؤاخذة الله قبل أن تغادر الموقف:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا فَكَسَرَتِ الْقَصْعَةَ، فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: كُلُوا، وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ[2].

مَن هو السيد في الآخرة؟

أليس السيد في الآخرة هو السيد في الدنيا .. أليس السيد هو مَن يتنازل .. هو مَن يعوِّض .. هو مَن يرضى .. هو مَن يرضى لنفسه بالأقل من الدنيا .. حماية لآخرته

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٣)، والطبراني في الأوسط (٥١١٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٩٣) رقم (١٧٤٨٠): وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال أحمد شاكر والأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري (٢٤٨١).

وآخرة مَن يحب؟ أولم يقل النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(١)، وهل السيد إلا العاقل؟ ألا ما أقبح الحماقة والحمق في شأن الآخرة؟ فإذا كان هذا الشأن في التعويض في أمر صحن ومن فوره .. فما بالك بما هو فوق الماعون؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَّلُوهُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ**»(٢).

دعوة رسول الله ﷺ الباقية المجابة لمَن استمع، فأي جزاء عظيم عاجل هذا «**رَحِمَ اللهُ**» ؟!

الحديث الرابع والسبعون: مَن أبلغنا هو مَن يبلِّغهم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَـمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩] **إِلَى آخِرِ الْآيَةِ**»(٣).

ألا تلاحظ هَمَّ الذين في الجنة وهو أن لا تتوقف السنن الجارية العظمى؛ كما قالوا: «**لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ**»، فهل أخذنا هذه الوصية من أسياد تلك الدار الجنة قبل أن ننتقل لتلك الدار؟

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٤)، والترمذي (٢٤١٩) واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٠)، وحسنه الألباني.

ألا يعني هذا أن النكول عن العمل الصالح قبيح .. وأن أهل الآخرة يكرهون هذا في حق الإسلام وكذلك في حقهم .. فهؤلاء هم الشهداء في الإسلام، فهم مَن خطَّ الطريق، وكل مَن سلك سبيلهم فله أجره ولهم مثل أجور مَن تبعهم إلى يوم القيامة .. فالله الله في صِلات أهل الآخرة ألا تُقْطع أو تتضرر بطول الأمد، وأن رسالة العليين إلينا أن لا تتحولوا إلى سافلين في أي عمل؛ فالله «**يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»[١].

الحديث الخامس والسبعون: الاعتزاز والوفاء أجر جارٍ

عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ رحمه الله **قَالَ: رُئِيَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثَوْبٌ كَأَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ لُبْسَهُ، فَقِيلَ لَهُ فِيهِ؟ فَقَالَ: «هَذَا كَسَانِيهِ خَلِيلِي وَصَفِيِّي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رضي الله عنهما **إِنَّ عُمَرَ نَاصِحُ**[٢] **اللهِ فَنَصَحَهُ اللهُ**»[٣].

ألا ترى أن عليًّا رضي الله عنه أَعْلَمَ الناس أنه ما دام لابسًا ثوب عمر رضي الله عنه فإنما يحقق أجورًا لا تعدُّ ولا تُحصى لعمر رضي الله عنه؛ منها إعلان المحبة، والإخاء، ومنها الرد على المفترين، وإطفاء الفتنة، ومنها اعتزازه رضي الله عنه بكل شيء عن عمر وفيه عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

ثم أليس هو دفاعًا عن الإسلام .. أوليسوا هم الإسلام وصورة الإسلام من قبل وحقيقة الإسلام على الواقع إلى يوم الدين؟!.

الحديث السادس والسبعون: مَن يرسل كفارة لقبر مقطوع؟

عَنْ بُرْدَةَ رضي الله عنه **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا**

---

(١) رواه الحاكم (١٥١)، والطبراني في الكبير (٥٩٢٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨٨) رقم (١٣٦٨٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ». وَرِجَالُ الْكَبِيرِ ثِقَاتٌ.

(٢) ناصح الله: أي اشتد وبالغ في نصيحة الله، ومعنى نصيحة الله: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته/ النهاية (٥/ ٦٣).

(٣) كتاب الإخوان (٢٣٨).

الْحَاجَةِ الْـمَلْهُوفَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْـمَعْرُوفِ، أَوِ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»(١).

حين تسمع: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» هل يتعدَّى تفكيرك نفسك .. هل يذهب تفكيرك إلى مَن حولك بأن تُبَلِّغه الحديث .. وهل يذهب إلى مَن هو أحوج مني ومنك للصدقة الآن؟ ممن هم في منازل الدار الآخرة؟ هل تُشرك أولئك الأحبة معك في الصدقة .. أم تفكر أن تنشئ لهم أوقافًا في هذه الأنواع من الصدقات؟

فأي صاحب «**حَاجَةٍ مَلْهُوفٍ**» مثل حاجة مَن في حساب القبر .. وحاجته تكفير ذنب لم يكفَّر حتى مات؟

اللهم أعنَّا أجمعين على فعل ذلك لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

الحديث السابع والسبعون: حق الإسلام لا ينقطع بالموت:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

فما معنى «**لَا يُسْلِمُهُ**»: بعدما مات أخوه المسلم .. أليس مَن دفنه وبعد فترة نسيه، ثم قطعه من العمل والدعاء .. لا يدري عنه أبدًا. أليس هذا أسلم أخاه، إذ هو أعظم ما يكون إليه حاجة؟

ألا ينبغي أن يكون «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ**» حيًّا وميتًا؟

«**كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»: أي حاجة للأخ أكبر من حاجة مَن أغلقت صحيفته، وأُغلق عليه قبره؟!

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٠).

«سَتَرَ مُسْلِمًا»: أليس الستر بالستر، والفضيحة بالفضيحة .. اعمل وأهدِ لهم.

فهنا يقول النبي ﷺ: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فماذا عن مسلم فرَّج عن مسلم كربة من كربات يوم القيامة مباشرة ممَّن رحلوا إلى البرزخ، وهذا المسلم ما يزال في الدنيا .. فهو في الدنيا يفرِّج عن مكروب في قبره كرباته؟ أليست هذه كربات ما اعتاد الناس التفكير في تفريجها ... ويا لها من كربات.

الحديث الثامن والسبعون: «وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِه»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»[1].

هل تعدَّى تفكيرنا إلى ربط الحديث بأهل الدار الآخرة .. فهل المؤمن باقٍ أخًا للمؤمن ما بقي الإيمان .. هل الإخاء باقٍ وإن رحلوا .. هل يترك الأموات المسلمين أحيانًا نقصًا، أو كسرًا يريد جبرًا، أو نحو ذلك .. فمَن يكف عليه ضيعته إذا لم يفعلها أخوه، وأي كسر أصعب من كسر سيئة جارية تركها، أو قطيعة رحم ورثها، أو خصومة أبقاها، أو فريضة كالحج لم يؤدها أو نحو ذلك، ثم أي عمل في إحاطته من ورائه أبلغ من وراء الموت ووراء الغيب؟!

الحديث التاسع والسبعون: هل يموت الإخاء بموت الأخ:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

أليس أعظم التداعي أول ما يكون للحبيب إذا مات .. فلم ينقطع بدفنه؟

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٦).

أليس السهر والحمى أحق ما يكون لمن أصبحوا أسرى في القبور؟

ألا ينبغي للتداعي أن يبقى حتى وإن غفلنا أو طال الأمد .. وهل لهذا من طريقة إلا أن نحوِّله إلى مشروع ثابت نافع للأحياء.

الحديث الثمانون: ضع .. واستوضع الآخرين عن الراحلين:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَ خُصُوم بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: «أَيْنَ الْـمُتَأَلِّي عَلَى اللهِ[(١)] لَا يَفْعَلُ الْـمَعْرُوفَ؟»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ[(٢)].

هكذا وقف النبي ﷺ مع الطرف الأضعف والأقل .. فكيف بالطرف الميت؟ أيمكن أن يتحوَّل هذا إلى عمل مؤسسي وقفي لصاحبه ولمَن رحلوا .. ليضع الله عنهم بعد إذ ذهب عنهم؟

هل ذكَّرك هذا الحديث بواحد من أهلك وأرحامك كان صوته يعلو دائمًا في الخصومات على المال، ويرفض التسامح، ويرد الاسترفاق، ويحلف على أنه لن يتنازل عن شيء .. هو اليوم في قبره وهو متألٍّ على الله .. ومَن ذا الذي يحميه من الله .. ألستم أنتم مَن تعرفونه، وأنتم مَن تنقذونه، فما دام كان هذا حاله وهذا خُلُقه لما كان في الدنيا، فهل أنسب وأنفع له من التنازل عن حقنا عند آخرين وبسرعة، وأن نهديه له، فالجزاء من جنس العمل ... وإنما الأعمال بالنيات.

الحديث الحادي والثمانون: دعوة بظهر الغيب لمَن أصبح في علم الغيب، فادعُ لنفسك بما شئت:

عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟

---

(١) المتألي على الله: أي الحالف المبالغ في اليمين، وهو من الألية بمعنى اليمين.

(٢) رواه البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧) واللفظ له.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(١).

«دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ» أليس مَن مات هو أخوك: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»(٢).

أليس دعاء للميت يجيبك عليه الملك: «وَلَكَ بِمِثْلٍ»؟

أليس الميت المسلم في غيوب، وليس في غيب واحد؟!

أليس هو في غيب، وغيوب، وغياب؟

الحديث الثاني والثمانون: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»:

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا، قَالَ شُعْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ عَاصِمًا بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ، فَحَدَّثَنِيهِ، وَقَالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ»(٣).

كلمة يودُّ كل حبيب رحل يقولها لك في كل حجة وكل عمرة: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ».

ما بالك بمَن تكفَّل بعمرة المعتمرين مُهديًا عمرتهم لوالدَيْنِ ولغيرهما؟

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٢١) واللفظ له، والبزار (٤٤٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٥)، والحاكم (١٣٧٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه النووي في الأذكار (٤٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢١١) رقم (٥٢٨٦): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ عَاصِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَاصِمٍ، وَفِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ لِغَفْلَتِهِ، وَقَدْ وُثِّقَ.

الحديث الثالث والثمانون: يتوضَّؤون ... ويُعذَّبون! فما السبب؟!

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ وَبُطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْـمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءٍ بِالطَّرِيقِ تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا الْـمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ»(٢).

إنها دعوة من رسول الله ﷺ لأصغر متعلم كما هي لأكبر عالم أن اصنعوا لأنفسكم من هذا الحديث سنة حسنة جارية .. فمن أين تأتي الصدقة الجارية والسنة الحسنة هنا؟

والجواب: أليس من علَّم المخطئ في وضوئه لـمَّا لم يغسل ما بين الأصابع إنقاذًا له من تخلل النار من بين أصابعه .. أليس مَن كان سببًا في هذا التحول لصبيٍ أو رجلٍ استحق هذا العقاب إلى رجل استحق ضد ذلك من ثواب الله والجنة قد صنع سنة حسنة، ما دام هذا الرجل مقيمًا على هذا إلى الأبد ..؟ ثم سنة حسنة أخرى ما دام هو يعلم من المخطئين الآخرين فينقذهم من النار؛ فيكون جزاؤه إنقاذ نفسه بقدر ما أنقذ من الناس من هذا الإثم، وإنْ صغر إلى يوم القيامة، وإنما هو إنقاذٌ لمن استحق العذاب من العذاب، وهكذا تكون السنة الحسنة في إنقاذ المستعجلين الناسين أعقابهم من غسل أرجلهم.

فيحمل هؤلاء الذين تعلموا من خطأهم هذه الأمانة فلا يجاملوا مَن يخطئ مثل أخطائهم؛ فيصبح الواحد من هؤلاء نورًا يمشي بهداه هذا بين الناس، يعدِّل المعوج،

(١) رواه أحمد (١٧٧١٠)، والترمذي (٤١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٣)، والدارقطني (٣١٦)، وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم (٢٤١).

وينقذ الهالك، ويعيد الجانح إلى الصراط المستقيم، فيكون صدقة جارية، وسنة حسنة سارية ما سارت الأيام، وهكذا تجد أن ما معنى أمرٍ ولا نهي، ولا ترغيب ولا ترهيب إلا وتجد لرسول الله ﷺ مقصودًا دقيقًا، وتجد فيه دعوة للعمل .. وما أن نتدبر الحديث أو القصة قليلًا حتى تجد دعوة النبي ﷺ ساطعة مثل الشمس ..



الفصل الثالث
النجدة: نجدة القرآن

النجدة القرآنية الأولى: اجعل جيلًا مع السفرة الكرام البررة:
الحديث الرابع والثمانون:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهْوَ حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهْوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهْوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ»[1].

هل هذه المعية «**مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ**» خاصة في الدنيا .. أم أنها أخص وأظهر ما تكون في الآخرة؟

ألا يمكن أن تكون هذه الجمعية «**مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ**» في الدنيا بالمقام الأول .. وتكون في الآخرة في الحقيقة والجزاء الأعلى، والأعظم، والأبقى؟

ألا يمكن أن تكون هذه المعية في الدنيا حقيقة، لكنها لن تكون مشاهدة، لأن هذا من الغيب والإيمان بها من الغيب، أما بالآخرة فتكون معية مشهودة من السفرة الكرام البررة مع (الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له)؟

فماذا عن والدي الذي مات مثلًا، ولم يكن حافظًا ماهرًا بالقرآن .. لكني كفلت لأجله فتى حتى نشأ على القرآن وحفظه وأصبح ماهرًا فيه عاملًا به .. فهل لوالدي حظ من هذا ونصيب؟

ولو قلت: له مثل الأجر تماما لما كان ذلك كثيرًا على فضله سبحانه .. إذ أنا مَن كفلت، وأنا ولده ..وحين ابتدأت الكفالة توجَّهت إلى الله داعيًا أن يتقبَّله مني عن أبي

(١) رواه البخاري (٤٩٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٨٩).

ولأُمي .. وحين أتم هذا حفظه توجهت إلى الله ودعوته - وأنا ولده - فقلت: يا رب هذه لأبي فتقبلها كاملة تامة له، واجعله مع السفرة الكرام البررة .. أليس هذا داخلًا في «**وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»(١)؟ أليس هذا داخلًا في «**بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ**»(٢)؟ أليس لو جعلت هذا الحافظ لأكثر من واحد لدخلوا جميعًا - بفضل الله - فيه، وذلك لقوله ﷺ عند التضحية: «**بِسْمِ اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، هَذَا عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي**»(٣)؟

الجواب: يقول النبي ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**»(٤).

النجدة القرآنية الثانية: اجعله في إهاب لا يحترق:

الحديث الخامس والثمانون:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ جُعِلَ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ»(٥).

فماذا يا رب: لو أردت أن أجعله إهابًا لوالدتي ؒ وهي في قبرها .. حين تكفَّلتُ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤١)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٣٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٥٠)، وابن أبي شيبة (٣٢٠٤٠، والحاكم (٢٠٨٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٩) رقم (١١٦٣٢): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) رواه أبو داود (٢٨١٠)، والترمذي (١٥٢١)، وأحمد (١٤٨٣٧)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) رواه البخاري (٢٨٤٣).

(٥) رواه أحمد (١٧٣٦٥)، وأبو يعلى (١٧٤٥)، والدارمي (٣٤١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٩٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٨) رقم (١١٦٢٧): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ، وَفِيهِ خِلَافٌ، وضعفه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٦٨١) رقم (٨٠٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٦٦).

بمَن حفظ القرآن العظيم وأصبح حافظًا ومُعَلِّمًا .. أتقبله يا رب مني .. أتجعله هدية واقية للنار عن أبي .. يا رب وأنت ربنا الأكرم ..

أليس ما قلناه في الحديث السابق في (النجدة القرآنية الأولى) يصدق على هذه النجدة .. لكنها نجدة من نوع آخر بفضل الله تعالى.

ألا يعني أن هذا طريق لكل مَن خاف على والده، أو والدته، أو حبيب له مقصر من النار، فدعا الله وهو الحافظ الماهر العالم العامل بالقرآن أن يجعله إهاب القرآن له فلا يحترق أبدًا .. بالإضافة لتاج وحُلَّة لهما في المحشر.

أو كفل له ناشئًا ورعاه هو حتى كان كمَن ذكرنا، ألا يعطيه الله بما أراد كما أراد، وكما نوى، لأنه نوى، وتقدم، وعمل، ووفَّى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وكيف لا يتحقق له ذلك كله وقد قال النبي ﷺ: **«إِنَّ بِالْـمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْـمَرَضُ»**(١)، وفي رواية: **«إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»**(٢).

النجدة القرآنية الثالثة: أعقد صفقة ما بين والديَّ رحمهما الله وبين القرآن العظيم:

الحديث السادس والثمانون:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»(٣).

يا رب: قد كان والدي - وهو حِبي - لا يحفظ إلا الفاتحة والقليل القليل من

(١) رواه مسلم (١٩١١).

(٢) رواه مسلم (١٩١١).

(٣) رواه الترمذي (٢٩١٣)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٤٣)، والحاكم (٢٠٣٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وأحمد (١٩٤٧)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، والدارمي (٣٣٤٩)، وقال محققه حسين أسد والزهراني: إسناده حسن.

القرآن .. وقد عزمت على أن أعقد صفقة صحبة بينه وبين القرآن .. بوساطة حديث رسول الله ﷺ هذا .. ألا يعمر قبره كما عمرتُ جوفَ مسلم الآن على الأرض بالقرآن .. وأنت أرحم الراحمين؟

يا رب قد كانت حبيبتي أُمّي أُمِّيَّة، وأردت أن أعقد لها صحبة مع القرآن العظيم، وأنا في الدنيا، وهي في قبرها.. اللهم وها أنذا ولدها، وأنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك أدعوك و«**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[1] أن تتقبل مني هذا لها، وتجعل القرآن ربيع قلبها، ونور صدرها، وجلاء حزنها، وذهاب همها وغمها في قبرها، وتجعله نورًا وعمارًا في قبرها، ويوم حشرها، وفي الجنة.

يا رب ولي أخت حبيبة قريبة .. هي أمي بعد أمي، هي حبي ولبي .. يا رب فاجعل كل ذلك لها.

يا رب لي أهل .. لي أرحام .. لي صحب .. لي معارف، وقد كان لي أعداد من أهل القرآن وما زالوا لا أحصيهم، قد تكفَّلنا بهم إيواءً، وغذاء، ورعاية، وكفالة لهم ولمعلميهم وللقائمين عليهم .. يا رب فاجعل هذا كله لي ولمن ذكرت، واجعله يا رب لجميع أمة محمد ﷺ؛ مَن مات ودُفن في الأرض، أو ذهب محرَّقًا، أو غاب في بطون السباع، أو في أعماق البحار، أو في أجواف الأسماك، أو ذاب في البلاء والعذاب، أو تبخَّر في الهواء، وأنت القائل سبحانك: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٖ مِّنْ خَرْدَلٖ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦]، وأنت القائل: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن

---

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، والحاكم (١٨٧٧)، وقال الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٥٠-٥٢].

وأنت القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

النجدة القرآنية الرابعة: يا رب نجدة القرآن تقدِّم الشهيد على الشهيد:

الحديث السابع والثمانون:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ[١].

يا رب: إذا كان القرآن العظيم رفع صاحبه الشهيد بقدر صحبته وحفظه للقرآن .. فهل لي أن أرفع مقام صاحبٍ لي بالقرآن العظيم هو عندك الآن .. ليس على أصحابه أولئك؟ هو أبي وأنا ابنه .. هي أمي وأنا ولدها .. هو أخي .. هو صاحبي .. هو شيخي .. هو تلميذي .. هو محبي وأنا لا أعرفه .. هو خصمي وظلمني وأنا عفوت عنه .. وأهديت له هذا .. هو مسلم معذَّب في قبره، وأنا أهديت له هذا .. هو لم يعمل خيرًا إلا أنه يقول: (لا إله إلا الله) ..

إنها صحبة القرآن وأنا طالبها له .. هي شفاعة القرآن، وشفاعة القرآن ما انتهت بموته .. فلنفزع إلى القرآن العظيم.

فاللهم تقبل مني كل عمل مقبول هديتني له مع القرآن العظيم علمًا وتعليمًا .. قولًا وكتابة .. وتدريسًا .. إنشاءً وبناء، وغذاءً. اللهم آمين.

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٣).

النجدة القرآنية الخامسة: النجدة بالزهراوين:

الحديث الثامن والثمانون:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ. اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ(١) الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ(٢)، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ(٣) تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا. اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٤). قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ.

حاشا لله وهو ربنا الأكرم القائل في أول ما أنزل: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣] أن تقطع عن ميتنا هذه التجارة، ونحن هنا في الحياة ونريد أن نوصلها إليه .. حاشاك فأنت أرحم به منا وأنت أرحم الراحمين، وهذه وديعة استودعناكها يا خير مَن استودع ... يا خير مَن وفَّى بما وعد، وقد قال رسولك ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»(٥).

يا لها من تجارة ما انقطعت بالموت ..

فمَن لم يستطع الحفظَ اليوم ... فعنده أبناؤه .. أحفاده.

مَن لم يستطع إيصال شيء بحفظه لوالديه فليسرع الخطى في الكفالة.

مَن لم يستطع أخذ القرآن كاملًا فليأخذ البقرة وآل عمران .. وإلا فالبقرة، وإلا فتبارك، ويرفعها إلى ربه، وذلك أحب شيء له سبحانه، وقد قال رسولك ﷺ: «**إِنَّكُمْ**

---

(١) الزهراوين: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

(٢) كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه: سحابة وغيرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

(٣) فِرْقان من طير صوافّ: أي باسطاتٍ أجنحتها في الطيران، والصوافّ: جمع صافّة.

(٤) رواه مسلم (٨٠٤).

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٧٧) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٥٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢٦٩)، وصححه الألباني.

لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ»[١] - يَعْنِي الْقُرْآنَ -، وربنا القائل لنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وأنت أَدَّيْتَ لله، ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»[٢].

يا رب هاتان السورتان بلِّغهما عني والدي، ومَن سلف من أهلي، وصحبي، وأرحامي، وأهل بلدتي، وبلدي، وأمتي .. كله يا رب لهم، وأنت ربي الأكرم ..

وكذا يا رب كل ما كتبته من كتب، وما كان مني في أي مجال .. ولا تحرمني يا رب ثواب ذلك، وأنت الغني الكريم .. أرحم الراحمين .. رب العالمين.

النجدة القرآنية السادسة: النجدة بالقرآن والصيام:

الحديث التاسع والثمانون:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»[٣].

هل ذكر النبي ﷺ في كون الصيام والقرآن يشفعان لحافظهما أو لصاحبهما .. وإن كانا هما أولى وأول الناس ..؟

لا لم يقل ذلك ﷺ، إنما قال: «**يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ**».

يا رب: أنا عبدك ابن عبدك مسكين ابن مسكين عزمت أن أكفل كفالة اجعلها

---

(١) رواه الحاكم (٢٠٣٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٧٧) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٥٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢٦٩)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٦٦٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٨)، والحاكم (٢٠٣٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٨١) رقم (٥٠٨١): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُ الطَّبَرَانِيِّ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

خاصة خالصة لأبويَّ حبيبيَّ؛ يتيم أكفله يحفظ القرآن، وينشأ على الصلاة والصيام والقرآن والقيام .. وآخذ عليه عهدًا أن يعلِّم ما تعلَّم، ويؤدب بالخلق الحسن كما تأدَّب .. ويأخذ على مَن يعلمهم ذلك العهد أخذًا ..

يا رب فاجعل هؤلاء جميعًا ومَن ورثهم جميعًا في ميزان أبواي، فهما حِبَّاي، وإخواني، وأخواتي، وأبنائي، وبناتي، وصحبي، ومَن أعرف، ومَن ولا أعرف مِن أمتي... فذلك هو ما تحبه يا رب، وخزائنك ملأى لا يُنْقِصها إنفاق الليل والنهار.

النجدة القرآنية السابعة: النجدة بسورة المُلك:

الحديث التسعون:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[1].

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ»**[2].

ثلاثون آية هكذا صنعت حتى شفعت فَشُفِّعت قبل يوم الشفاعة العظمى ..

ثلاثون آية كانت هي النجدة المنجدة المنقذة له من عذاب القبر، ومن أهوال القيامة، كذلك فقد حولت قبره إلى روضة من رياض الجنة ..

وفي الحشر حفظًا وحرزًا وصحبة ملازمة له حتى أدخلته الجنة ..

إنها الصحبة .. نعم، هو صاحبها **«خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا»**.

---

(١) رواه أحمد (٧٩٧٥)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وأبو داود (١٤٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٧)، والحاكم (٢٠٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٠٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٥٤٨)، والترمذي (٢٨٩١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٤٩٠)، والأوسط (٣٦٥٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٧) رقم (١١٤٣٠): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

فأنا يا رب كفلت مشروعًا للصغار والكبار ممن لا يحفظون سورة الـمُلْك ... أليس لي مثل أجر كل مَن حفظها وحافظ عليها .. فاشهد يا رب أني جعلت أجره لوالديَّ، ولكل مسلم من المسلمين مات ولم يحفظها ولم يحافظ على قراءتها، فتقبَّله يا رب عنِّي ولهم أجمعين، وأنت أرحم الراحمين.

النجدة القرآنية الثامنة:

الحديث الحادي والتسعون:

عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها تَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَغَارَ عَلَى جَارٍ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّهُ أُقِيدَ مِنْهُ فَقُتِلَ، فَمَا زَالَ الْقُرْآنُ يَنْسَلُّ مِنْهُ سُورَةٌ سُورَةٌ، حَتَّى بَقِيَتِ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ جُمُعَةً، ثُمَّ إِنَّ آلَ عِمْرَانَ انْسَلَّتْ مِنْهُ، وَأَقَامَتِ الْبَقَرَةُ جُمُعَةً، فَقِيلَ لَهَا: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] **قَالَ: فَخَرَجَتْ كَأَنَّهَا السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أُرَاهُ يَعْنِي أَنَّهُمَا كَانَتَا مَعَهُ فِي قَبْرِهِ تَدْفَعَانِ عَنْهُ وَتُؤْنِسَانِهِ، فَكَانَتَا مِنْ آخِرِ مَا بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ**(١).

هل من نجدة مثل نجدة سورة البقرة ..؟

أليس هذا رجلًا قاتلًا .. معتديًا .. مُغيرًا عدوانًا وظلمًا؟

أليس هذا المقتول جاره .. أليس هو من أمة محمد ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ: **«مِمَّنْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ»**؟

ألم تخرج سورة [الملك] الحافظة من عذاب القبر مع جميع سور القرآن العظيم - وإنها لعظيمة كلها - وما بقيت إلا البقرة وآل عمران؟ ألم تنسل سورة آل عمران مع كل ما جاء بعدها من القرآن .. لهول الأمر وخطورته ..؟

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤)، وفضائل القرآن للقاسم بن سلام ص(٢٣٦)، وجاء في الأحاديث الواردة في فضائل سور القرآن الكريم -دراسة ونقد- ص (٢٠٣) في دراسة حكم الحديث بأنه: حسن وهو من قبيل المرفوع.

فهل خرجت سورة البقرة لعظم الأهوال القادمة .. الجواب: لا، إنها لم تتحرك من عند صاحبها حتى جاءها نداءٌ خاص من رب العالمين: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]..، فالجار وما أدراك ما الجار؛ ألم يقل النبي ﷺ في هذا: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَغَارَ عَلَى جَارٍ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّهُ أُقِيدَ مِنْهُ فَقُتِلَ، فَمَا زَالَ الْقُرْآنُ يَنْسَلُّ مِنْهُ سُورَةٌ سُورَةٌ، حَتَّى بَقِيَتِ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ جُمُعَةً، ثُمَّ إِنَّ آلَ عِمْرَانَ انْسَلَّتْ مِنْهُ، وَأَقَامَتِ الْبَقَرَةُ جُمُعَةً، فَقِيلَ لَهَا:** ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] **قَالَ: فَخَرَجَتْ كَأَنَّهَا السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ**». قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أُرَاهُ يَعْنِي أَنَّهُمَا كَانَتَا مَعَهُ فِي قَبْرِهِ تَدْفَعَانِ عَنْهُ وَتُؤْنِسَانِهِ، فَكَانَتَا مِنْ آخِرِ مَا بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

ومع هذا فهل ذهبت بعيدًا، أم بقيت ظلة ظليلة .. صاحبة مصاحبة .. سحابة عظيمة .. رحمة قريبة .. فالخروج قد تحقق، أما البعد عن صاحبها فلا، بل هو المستحيل .. يا رب اشهد وتقبل منا هذه الهدية لكل مَن ذكرنا، لوالدينا، وأهلنا، وكل مَن ذكرنا في هذا الكتاب، ومَن لم نذكر .. سورة البقرة، وتقبلها منا وعنا يا رب العالمين.

يا رب قد كتبت في سورة البقرة الأول: في حفظها، وذلك في كتاب واسمه [العروج إلى سنام القرآن]، والثاني: ماذا بعد حفظها، واسمه [رشف الشكر]، والحمد لله رب العالمين.





الفهرس

الفصل الثالث: النجدة؛ نجدة القرآن



نجدة أهل المقابر

نجدة أهل المقابر